طرابلس الغرب



دراسات فى التراث المعمارى والفنى

الدكتور/ صلاح أحمد البهنسى



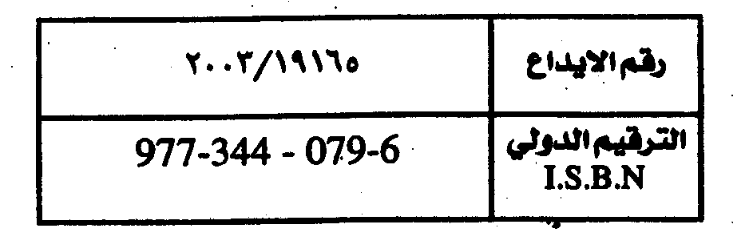
الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

دار الآفاق العربية


٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤



رقم الإيداع	٢٠٠٣/١٩١٦٥
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-344-079-6

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ .

صدق الله العظيم

إهداء:

إلى علي ويمنى

رزقهما الله حلمًا وعلمًا..



مقدمة

«. . . إن هذه المدينة هى أكبر مما كنت أتصور، ورغم أن الذين يشيدون بها يتحدثون عنها حديثًا طيبًا، ولكنى أرى أنهم لم يقولوا إلا نصف الحقيقة، وبين المدن الكثيرة التى رأيتها فى العالم لم أجد مدينة تضاهيها فى تحصيناتها أو نظافتها حتى لتبدو مدينة إمبراطور أكثر منها مدينة لا تنتمى إلى ملك خاص. . .»

ورد هذا ضمن الرسالة التى أرسلها «بيترو دى نافارا Pietre Di Navarra» قائد الأسطول الأسبانى إلى نائب الملك فى صقلية، وذلك بعد أربعة أيام من نجاحه فى الإستيلاء على طرابلس سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م.

وطرابلس مدينة عريقة التاريخ، وواحدة من مراكز الحضارة فى مختلف العصور، كما كان لموقعها على ساحل البحر المتوسط فى مقابل السواحل الأوربية، وتحكمها فى طرق التجارة بين أوربا والدول الأفريقية، أكبر الأثر فى جعلها مركزًا سياسيًا وإقتصاديًا هامًا، كما كانت مطمعًا دائمًا للقوى الأجنبية التى سعت للإستيلاء عليها، وتمكنت من ذلك فى بعض الفترات، مثل إستيلاء النورمان عليها سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، والجنويون سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م والأسبان سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م، إلى أن تنازلوا عنها سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م لفرسان مالطة (فرسان القديس يوحنا)، حتى تمكن العثمانيون التغلب عليهم وفتح طرابلس سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، لتبدأ طرابلس مرحلة جديدة من تاريخها، وأصبحت قاعدة لإنطلاق الأساطيل العثمانية نحو الشمال.

وإن كان لمثل هذه الظروف من الصراع آثارها على التراث الحضارى، حيث خلقت ظروف الصراع المستمر تحديات مضادة للبواعث والإتجاهات العمرانية، لما

يترتب عنها من إلحاق الضرر بالعديد من العمائر الدينية والمدنية أو تهدمها؛ كما أنه يوجب على الحكام والأهالى الإهتمام فى المقام الأول بتحصين المدينة والإهتمام بشكل أساسى بالعمائر الحربية من الأسوار والأبراج والقلاع، إلا أن الرغبة فى التشييد وإعادة البناء كانت دائمًا السمة المميزة لأهالى طرابلس.

ومن ذلك فقد وصلتنا أعداد كبيرة من العمائر المتنوعة (دينية - مدنية - حربية) ترجع إلى عصور تاريخية مختلفة، وتعد إنعكاسًا لمختلف الظروف الدينية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية التى عايشتها طرابلس فى فترات إنشاء هذه العمائر.

أما عن إسم مدينة طرابلس فأنه مشتق من الكلمة اليونانية Tre - polis وتعنى المدن الثلاث، حيث كان بالقسم الغربى من ليبيا خلال العصر اليونانى ثلاث مدن هامة، وهى لبدة العظمى Leptis Magna وصبراته أو صبراتن Sabraton وأويا Oea. وقد أورد ابن خررازبة فى كتابه «المسالك والممالك» والحموى فى كتابه «معجم البلدان» هذا التعريف لطرابلس فقال الأول أنها تعنى «ثلاث مدائن»، أما الثانى فقد ذكر أنها تعنى «المدن الثلاث».

وفى الفترة المبكرة من العصر الإسلامى أطلق عليها العرب إسم «إطرابلس»، فقد أرسل عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رسالة جاء فيها «إن قد بلغنا إطرابلس، وبينها وبين إفريقية تسعة أيام». وظلت تكتب هكذا «إطرابلس» فى كتابات الرحالة والمؤرخين حتى النصف الأول من القرن ٥هـ/ ١١م، فيذكر «المقدسى» فى «أحسن التقاسم» «إطرابلس مدينة كبيرة على البحر..». وفى أوازخر القرن ٥هـ/ ١١م صارت تكتب «طرابلس» فعند حديث «البكرى» عنها، قال «وعلى مدينة طرابلس سور ضخم جليل البنيان وأسواق حافلة جامعة».

وفى العصر العثمانى أضيف إلى إسم طرابلس كلمة الغرب، فأصبحت تعرف بـ «طرابلس الغرب» تمييزًا لها عن طرابلس الشام. وقد وردت بهذه الصيغة على مختلف الآثار الثابتة والمنقولة التى ترجع إلى فترات الوجود العثمانى فى طرابلس.

ومن الصفات التى إقترنت باسم طرابلس فى كتابات الرحالة بياض لون مبانيها، حيث وصفت بالمدينة البيضاء، وكان ذلك شائعًا عنها، فعندما زارها التجانى (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م حتى ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) كان يعرف عنها هذه الصفة وتأكد منها، حيث أورد فى رحلته «ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يغشى الأبصار، فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء». ويبدو أن هذه الصفة ظلت تقترن بالمدينة فترة طويلة، فعندما زارها الوزير المغربى «الإسحاقى» سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، ذكر «تراءت لنا قصورة لها وميض، وقد صدق أهلها فى تسميتهم لها بالمدينة البيضاء». ومازالت طرابلس تحتفظ بهذه الصفة حتى اليوم.

وقد أفاض الرحالة فى الثناء على نمط التخطيط العمرانى لمدينة طرابلس، فقد ذكر التجانى «لم أر أكثر من شوارعها نظافة ولا أحسن إتساعًا وإستقامة، لأنها تخترق المدينة طولاً وعرضًا على هيئة شطرنجية». كما وصفها الرحالة الأوربى «مارمول» بأنها «مدينة متسعة التعمير تفوق مدنية تونس بهجة ورونقًا». ويتفق كل من الناصرى والعياشى والحشائشى بأن المدينة «أنيقة البناء، فسيحة الفناء، عالية الأسوار، متناسبة الأدوار واسعة طروقها، سهل طروقها».

أما عن أهل طرابلس فقد إقنت أراء معظم من تعاملوا معهم بأنهم أحسن خلق الله معاشرة، وأجودهم معاملة، وأبرهم بغريب.

وعلى الرغم مما تحفل به مدينة طرابلس من مفردات تراثية متنوعة تشكل منظومة معمارية متناغمة، وتعد قراءة حية لمختلف الظروف التى واجهت أهالى طرابلس فى مختلف العصور، إلا أن هذا التراث لم ينل بعد ما يستحقه من الدراسة، حيث إقتصرت الدراسات القليلة التى صدرت فى هذا المجال على دراسة العمارة الدينية فى مختلف العصور، فى حين إقتصرت دراسة العمارة المدنية والحربية على بعض المقالات فى عدد من الدوريات. وهى دراسات وإن كانت قد سلطت الضوء على بعض هذه العمائر من حيث تاريخ إنشائها، والدور

الذى كانت تؤديه، إلا أنها لم تتناول الطراز الخاص بكل منها، والوحدات والعناصر المعمارية التى تميز كل نمط من هذه العمائر مثل الفنادق والأسواق والمنازل والحمامات والقنصليات، والقلاع والأسوار والأبراج.

وهذا الكتاب إطلالة تاريخية نتعرف من خلالها على أهم الأحداث التاريخية التى عاشتها المدينة، والدور الذى لعبته فى تاريخ ليبيا، والمنطقة بشكل عام، منذ تأسيس المدينة وحتى الإحتلال الإيطالى لها سنة ١٩١١م. كما أنه جولة آثارية فى أرجاء المدينة نتوقف فيها عند بعض العمائر (الدينية ـ المدنية ـ الحربية) ونتعرف على تاريخيها وطرازها المعمارى، وأهم مكوناتها، ومقارنتها بما يماثلها فى بلاد العالم الإسلامى، لنخلص من ذلك إلى أهم الخصائص التى تميز الطرز المعمارية فى طرابلس فى مختلف العصور، ومعرفة مظاهر التأثير فيها، سواء تلك التى إنحدرت إليها من طرز معمارية إسلامية أو أوربية. ولأن متاحف المدينة تشكل مظهرًا حضاريًا، ومرآة لما كانت عليه الفنون فى مختلف العصور، فقد وجدنا أنه من الضرورة بمكان أن تشمل جولتنا متحفى المدينة، وهما المتحف الجماهيرى والمتحف الإسلامى.

والله نسأل أن يوفقنا لما قصدنا، وعلى الله قصد السبيل.

د. صلاح البهنسى

الأهرام ـ ١/ ٨/ ٢٠٠٣م

الفصل الأول

طرابلس من الغزو الفينقى إلى الإحتلال الإيطالى

منذ الألف الأولى قبل الميلاد أدرك الفنيقيون أهمية وجود مراكز تجارية لهم على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط، فقاموا فى القرن السادس قبل الميلاد بتأسيس مدينة «أوئيا أو أويات» فى المكان الذى تشغله مدينة طرابلس الحالية[1]. وعلى الرغم من الإرتباط بين الفنيقيين وبين تأسيس المدينة إلا أن الأبحاث الحديثة أثبتت وجود مدينة أو مركز تجارى فى نفس المكان قبل هذا العصر بفترة طويلة[2]. ومنذ تأسيس المدينة فقد تعرضت إلى العديد من الأحداث السياسية؛ ففى القرن الثانى قبل الميلاد دخلت طرابلس تحت حكم دولة نوميديا، وفى سنة ١٤٦ ق.م وقعت ضمن مدن الشمال الأفريقى تحت السيادة الرومانية. وظلت المدينة تلعب دورًا هامًا ومؤثرًا فى الأحداث السياسية والدينية فى المنطقة حيث أصبحت فى القرن الثالث الميلادى مركزًا من أهم مراكز الديانة المسيحية، وصارت فى القرن الرابع الميلادى عاصمة للمنطقة بكاملها[3]، وذلك بعد أن إنقسمت الدولة الرومانية بعد وفاة ثيودوسيوس إلى دولة رومانية شرقية وأخرى غربية. وكانت طرابلس تابعة للدولة الرومانية الغربية. إلا أن تبعية المدينة للرومان لاتلبث أن إنهارت وذلك عندما إتحدت القبائل الليبية مع الوندال فى سنة

(1) Haynes (D.E.L); An Arshaeological and Historical guide to pre Islamic Antigui of Tripolitania. 4th edition Tripoli. 1981. P.25.

وكلمة طرابلس ماخوذة من اليونانية Tripolis وتعنى المدن الثلاث وهى لبدة العظمى وصبراته وأويات Murabet (M); Some Facts about Libya - Malta - 1961 - P. 122.

(٢) خليفة محمد التليسى: حكاية مدينة. طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب. الطبعة الثانية. الدار العربية للكتاب - ليبيا وتونس - ١٩٨٥ - ص٧.

(٣) الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا - القاهرة - ١٩٥٤ - ص٣٤.

٤٥٥م وقاموا بمهاجمة المدن الرومانية فى ليبيا، ومنها طرابلس، وتمكنوا بالفعل من الإستيلاء عليها.

لكن الوفاق بين الليبين والوندال لم يدم طويلاً، بل دب خلاف بينهم، وإستغل ذلك البيزنطيون. وتمكنوا من القضاء على نفوذ الوندال فى شمال أفريقيا، بينما لجأوا إلى مهادنة وخداع الليبيين، فقاموا بدعوة ثمانين من زعماء القبائل إلى حفل عشاء فى لبدة حيث قتلوهم جميعًا إلا واحدًا تمكن من الهرب، ونقل الخبر إلى أفراد القبائل الذين كانون مجتمعين خارج أسوار مدينة لبدة.

أما فى العصر الإسلامى، فأنه بعد أن تم لعمرو بن العاص فتح مصر سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، فقد إتجه بناظره نحو الغرب، وفكر فى فتح طرابلس، التى كانت تشكل عقبة كبيرة، وذلك لأنها كانت مدينة حصينة يحيط بها سور منيع من الشرق والغرب والجنوب، مما جعل حصار المسلمين لها يستمر شهرًا كاملاً دون أن يقدروا منها على شىء. وبعد أن فتحت سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م ولايلبث أهلها أن نقضوا عهدهم لعمرو بن العاص، وذلك بعد مقتل عمر بن الخطاب فى ذى الحجة سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م، وإنقطعت صلة العرب بالمدينة إلى أن تم فتحها مرة ثانية سنة ٢٧هـ/ ٦٤٧م بجيش بقيادة عبد الله بن سعد[1]. وهو الجيش الذى عرف بـ «جيش العبادلة».

ومنذ أن فتح المسلمون طرابلس كانت بمثابة جسر يصل بين بلاد الشرق والغرب الإسلامى، كما كانت رباطًا من أربطة المسلمين لمواجهة أطماع القوى المسيحية التى كانت تسعى دومًا للإستيلاء عليها لما تتمتع به من موقع جغرافى متميز على الشاطىء الجنوبى للبحر المتوسط فى مقابل السواحل الأوروبية، كما أنها تتحكم فى طرق التجارة مع بلاد السودان وغيرها من بلاد أفريقيا؛ وكذلك مع دول وجزر البحر المتوسط. وقد أكسبها هذا الموقع أهمية تجارية منذ أقدم العصور، وإستمر ذلك خلال العصر الإسلامى، فقد ذكر ابن حوقل «أن المراكب

(١) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق، ص٤٩.

تحط بطرابلس ليلاً ونهاراً، وترد بالتجارة على مر الأوقات من بلاد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم»[1]. كما ذكر البكرى أن بها أسواق حافلة جامعة[2].

ويبدو أن طرابلس ظلت تحتفظ بهذه الأهمية خلال العصور التالية، فقد ذكر الرحالة الهولندى مارمول الذى زارها فى أوائل القرن ١٦م أنها كانت أهم قبلة يتوجه إليهًا التجار القادمون من مالطة والبندقية وصقلية[3].

وقد جعلها هذا الموقع مطمعًا للقوى الأجنبية، لذلك فقد حرص المسلمون على تحصينها ففى سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م استكمل هرثمة بن أعين الجانب الشمالى من السور، والذى كان قد بناه الإمبراطور الرومانى سبتموس سيفيروس من الشرق والغرب والجنوب[4]. وفى عصر الأغالبة (١٨٤ ـ ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م) الذين كان ملكهم يشمل أفريقية (تونس) والجزء الغربى من ليبيا، والجزء الشرقى من الجزائر، كانت المحارس والمراقب والرباطات والقلاع تنتشر على الشواطئ[5]. وقد أثنى الرحالة الذين زاروا المدينة على سورها الجليل البنيان ومحارسها، ومن ذلك ما ذكره المراكشى (النصف الثانى من القرن ٧هـ/ ١٣م)

(١) ابن حوقل (أبو القاسم محمد)؛ المسالك والممالك (صورة الأرض) طبعة ليدن ـ ١٩٣٨ ـ ص٧٢.

(٢) البكرى (أبو عبيد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (المسالك والممالك). الجزائر ـ ١٨٥٧ ـ ص٧.

(٣) مارمول (كرينجال)؛ أفريقيا ـ جـ٣ ـ ترجمة محمد حجى، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق ـ الرباط ـ ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ ـ ص١٢١.

(٤) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق ـ ص٣٥.

والمقصود هنا الإمبراطور الرومانى سيتموس سيفيروس الذى ولد بمدينة لبدة الليبية سنة ١٤٤م وتعلم فى روما ثم إلتحق بالجيش الرومانى سنة ١٦٤م، وترقى بالمناصب حتى صار نائبًا عن لبدة بمجلس الشيوخ بروما، ثم أصبح إمبراطورًا سنة ١٩٣م، أجرى عدة إصلاحات بلبدة وغيرها من المدن الليبية سنة ٢٠٣م، ومن أهم آثاره بلبدة قوس النصر الذى يحمل إسمه، وقد إختلفت الأراء حول تاريخ وفاته، فقيل أنه توفى بمدينة يورك بإنجلترا فى ٤ فبراير سنة ٢١١م، بينما هناك رأى بأنه توفى سنة ٢٣٥م، (انظر: نجم الدين غالب الكيب: مدينة لبدة. الإسم والنشأة والتاريخ ـ طرابلس ـ ١٩٨١ ـ ص ص ١٩١ ـ ١٩٣).

(٥) سليمان مصطفى إزييس: آثار المغرب العربى (العدد ٢٨ من كتاب البعث) تونس ـ ١٩٥٨ ـ ص ص ٣٣ ـ ٣٥.

من أنه كان بين الإسكندرية وطرابلس الغرب حصون متقاربة، وأن خبر العدو ينتهى من طرابلس إلى الإسكندرية أو العكس فى ثلاث ساعات أو أربع من الليل[1]. كما لاحظ التجانى الذى زار طرابلس من ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م إلى ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) ذلك فقال «ورأيت بسورها من الإعتناء وإحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها»[2].

إلا أن هذا التحصين لم يوقف هجمات الطامعين فى طرابلس، سواء كانت القوى المسيحية، أو تسلط بعض جيرانها عليها، والتعرض لهجوم بعض القبائل. وكان لذلك الصراع المستمر أثره الواضح على النشاط العمرانى فى طرابلس إذ تحول إهتمام الناس إلى الكفاح بدلاً من توفير وسائل العمران ونشر المعارف، فكانت كلما خطت المدينة خطوة فى سبيل التعمير تكالبت عليها الظروف وعرقلت مسيرتها، وقضت على الكثير من نتاجها العمرانى.

ويمكن الإستدلال على ذلك من خلال تتبع بعض الأحداث، ففى خلال الفترة من سنة ٨٢هـ/ ٧٠١م وحتى سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م لم تتوقف أعمال التخريب التى مارستها جيوش الكاهنة البربرية «داهية». وفى سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٤م ثار أهل طرابلس على سفيان بن المضاء عامل إبراهيم بن الأغلب على طرابلس ونصبوا إبراهيم بن سفيان بن التميمى حاكمًا عليهم. وفى سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م ثار أهل طرابلس على عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب، كما تكررت ثورتهم سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م ضد أحمد بن محمد بن الأغلب - وخلال النصف الثانى من القرن ٤هـ/ ١٠م إستمر الصراع محتدمًا حول إمارة طرابلس على مدى قرن ونصف من الزمان بين كل من الزيريين والزناتيين، حتى تمكن

(١) المراكشى (عبد الواحد)؛ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين - تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلى - القاهرة ١٩٤٩ - ص٣٤١.
- إحسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى - الطبعة الأولى - ليبيا - ١٩٦٧ - ص٩٦.

(٢) التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد)؛ رحلة التجانى فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى (٧٠٦ - ٧٠٨هـ) تقديم حسن حسنى عبد الوهاب -تونس ١٩٥٨ - ص٢٣٨.

الزبريون من إخضاع طرابلس نتيجة للصراع بين الزعامات الزناتية[١]. وفى سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م تلقت طرابلس الضربة الأولى من هجوم قبائل بنى هلال الذين خرجوا من مصر للإنتقام من المعز بن باديس عامل الفاطميين على أفريقية لخروجه عن المذهب الشيعى وولاؤه للخليفة العباسى[٢]. وقد خرب هؤلاء التحصينات الساحلية المنيعة التى أقامها الأغالبة[٣]. وفى سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٥م وقعت طرابلس ولأول مرة منذ الفتح الإسلامى لها - فى قبضة المسيحيين وذلك بعد أن تمكن نورمان صقلية من الإستيلاء عليها، وإستمروا بها حتى تمكن أبو يحيى مطروح إخراجهم منها سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م[٤]. وعلى الرغم من قصر الفترة التى قضاها النورمان فى طرابلس إلا أنهم قاموا بهدم العديد من عمائر المدينة[٥].

وإن كانت طرابلس قد نعمت بكثير من الإستقرار فى العصر الحفصى وترتب على ذلك بعض الإنجازات المعمارية التى تدل عليها كتابات الرحالة، فقد أعجب التجانى بسور المدينة بالإضافة التى أحاط بها أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص السور سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م والتى تعرف بـ «الستارة» والمسجلة على أحد أبواب السور وهو باب عبد الله[٦]. كما كانت المدرسة المنتصرية من أجمل عمائر المدينة، فقد أثنى عليها كل الرحالة الذين زاروا طرابلس، حتى الرحالة العبدرى الذى زار طرابلس سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م وتحامل على أهلها فقد قال. وما رأيت

---

(١) سنوسى يوسف إبراهيم: وورزناته فى المغرب الإسلامى من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين (٣٦٢ - ٤٦٢هـ). رسالة دكتوراه - آداب عين شمس - ١٩٨٥ ص ١٩٩.

(٢) ابن خلدون (عبد الرحمن)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر. الجزء الرابع - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ١٩٨٣ - ص ٧٣، والجزء السادس - ص ١٤.

- التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ المرجع السابق - ص ١٧.

(٣) عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات فى تاريخ المغرب الإسلامى - الطبعة الأولى - دار الشروق القاهرة - ١٩٨٣ - ص ١٧.

(٤) حسين مؤنس: اطلس تاريخ الإسلام - القاهرة ١٩٨٦ - ص ٢٩١.

(٥) سعيد على حامد: المعالم الإسلامية بمتحف طرابلس مصلحة الآثار - طرابلس - ١٩٧٨ - ص ١٣.

(٦) التجانى (ابو محمد عبد الله)؛ المرجع السابق - ص ٢٤٠.

فى الغرب مثل مدرستها المذكورة[1] ولكن يد التخريب إمتدت إلى العديد من العمائر الحفصية، نتيجة للخلاف بينهم وبين قبائل البدو، وتشدد الحفصيين فى جمع الضرائب بالإضافة إلى نجاح الجنويين فى الإستيلاء على المدينة سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، فعاثوا فيها فساداً وخربوا العديد من العمائر، إلى أن تمكن بنو ثابت من إسترداد المدينة سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م[2].

خلال القرن ١٠هـ/ ١٦م إحتدم الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية لفرض السيطرة على شواطئ البحر المتوسط. ولما كانت طرابلس أقرب نقطة لتموين ونجدة الجيوش الأوروبية التى تغزو الشرق الإسلامى، فقد كرس الأسبان جهودهم لإحتلال طرابلس، حتى يمكن منها التصدى للجيوش العثمانية التى أصبح لها نفوذ فى البحر المتوسط[3]. وتمكن الأسبان بالفعل من إحتلال طرابلس سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م، فأصابوا المدينة بالدمار، حتى قيل أنه لم يبق منها قائماً سوى القصر الذى حصنه الأسبان[4]، فقد إقتحموا جامع الناقة وقتلوا الأهالى بداخله، وقوضوه حتى سووه بالأرض[5]، مما إضطر أهالى المدينة إلى هجرها وإتجهوا إلى مدينة تاجوراء (شرق طرابلس)، وقد جاء ذلك محققاً لآمال الأسبان الذين سعوا إلى توطين أكبر عدد من الأسبان فى سواحل البحر المتوسط لتكون قواعد لغزو المناطق الداخلية، ومقاومة الإندفاع العثمانى فى أوروبا. فقد أصدر نائب الملك فى صقلية مرسوما فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٥١٣م أعلن فيه أن كل من يريد الهجرة إلى طرابلس من أهل صقلية فأنه سيمنح منزلاً وأرضاً للزراعة

(١) العبدرى (أبو عبد الله محمد بن محمد)؛ الرحلة المغربية. تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسى. الرباط - ١٩٦٨ - ص ٧٧.

(٢) إبراهيم شحاته حسن: أطوار العلاقات المغربية العثمانية (قراءة فى تاريخ المغرب عبر خمسة قرون). الإسكندرية - ١٩٨١ - ص ٦١.

(٣) الطاهر احمد الزاوى: المرجع السابق - ص ٢٤٦.

(٤) مارمول (كربتجال): المرجع السابق - ص ص ١٢١ - ١٢٣.

(٥) ميسانا (غاسيرى): المعمار الإسلامى فى ليبيا. ترجمة على الصادق حسنين - طرابلس - ١٩٧٣ - ص ١٦٦.

ويعفى من الضرائب[1]. ويدل على إبتهاج أوروبا الإحتلال الأسبان لطرابلس، أن مندوب البلاط البابوى فى بولونيا دعى المسيحيين إلى تنظيم إحتفال بهذه المناسبة، كما نظم موكب دينى فى روما[2].

لكن نظرة الأسبان إلى طرابلس لا يلبث أن تغيرت، ووجدوا أن وجودهم فيها يكلفهم الكثير نظراً لبعد طرابلس عن أسبانيا، لذلك فقد تنازل الأسبان عنها لفرسان القديس يوحنا (فرسان مالطة) سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م، وكان هؤلاء قد طردهم الجيش العثمانى من جزيرة رورس[3].

ولم يكن فرسان مالطة أحسن من سابقيهم فى معاملة المنشآت المعمارية فى طرابلس، بل أنهم قاموا بتخريب وتدمير العمائر، ومن ذلك القلعة التى أسند خير الدين بربار وسا إلى خير الدين كرمان وإليه على تاجوراء بنائها، وكانت تعرف بقلعة القائد[4].

ولولا هذه الظروف السياسية الصعبة التى مرت على طرابلس، وتعاقبت عليها

(١) عمر البارونى: الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس ـ طرابلس ١٩٥٢ ـ ص ٦٦.

(٢) روسى (إيتورى)؛ طرابلس تحت حكم الأسبان ـفرسان مالطا. ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسى ـ الطبعة الثانية ـ طرابلس ـ ١٩٨٥ ـ ص ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) فرسان القديس يوحنا (فرسان مالطة) فرقة من المغامرين إتخذوا من جزيرة رودس مقراً لهم، إلى أن تمكن العثمانيون من هزيمتهم وطردهم منها سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، فإتخذوا من جزيرة مالطة بديلاً ومارسوا منها أعمالهم البحرية، معلنين أنهم يجاهدون باسم السيد المسيح للوصول إلى بيت المقدس وتأسيس دولة مسيحية فى فلسطين. وكانت أسبانيا تستعين بهم فى تنفيذ مخططاتها فى شمال أفريقيا. وكان شعار فرسان القديس يوحنا شكل قلعة محصنة وأسود تتوائب رافعة ذيولها ومخالبها بحثًا عن فريسة، يحرسها أسد رابض فى أعلى. (مجموعة: تاريخنا ـ ليبيا ـ الكتاب الرابع ـ جنيف ـ بدون تاريخ ـ ص ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤).

وإستمر فرسان القديس يوحنا يقيمرن فى مالطة حتى إحتلها نابليون بونابرت وهو فى طريقه إلى مصر سنة ١٧٩٨م (أنظر:

Mantrean (R); North AFrica in the Sixteenth and seventeenth Centuries. (The Cambridge history of Islam - Vol - 2. Cambridge University Press - 1970) P. 261.

ـ محمد فريد بك المحامى: تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٧ ـ ص ص ٦٦ ـ ٦٧.

ـ رأفت غنيمى الشيخ: فى تاريخ العرب الحديث ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ـ ص ٨٠.

(٤) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق ـ ص ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣.

الدول ما بين إسلامية ومسيحية، لكانت طرابلس واحدة من أغنى مدن العالم الإسلامى بآثارها ولعل ذلك يتأكد من خلال كتابات الرحّالة الذين مروا بها، ومنهم العبدرى الذى تحدث عن جامعها ومدرسنها فقال «أن لهما من حسن الصورة نصيبًا، ومن إتقان الصنعة سهمًا مصيبًا، وما رأيت فى الغرب مثل مدرستها المذكورة»[1] والمقصود هنا المدرسة المستنصرية، كما أن المقصود بالغرب غرب العالم الإسلامى. أما التجانى فقد قال «لم أر أكثر منها نظافة، ولا أحسن إتساعًا وإستقامة، وشوارعها على هيئة شطرنجية، فالماشى فيها يمشى مشى الرخ»[2]. ولم يقتصر ذلك على الرحالة المسلمين، بل أشاد بها الغزاة أيضًا، فقد ذكر القائد الأسبانى «بيترو دى نافارا Pietre di Navarra الذى إستولى على طرابلس، فى الرسالة التى أرسلها إلى نائب الملك فى صقلية، وذلك بعد أربعة أيام من إحتلال المدينة «... وبين المدن الكثيرة التى رأيتها فى العالم، لم أر مدينة تماثلها فى قوتها ونظافتها حتى لتبدو مدينة إمبراطورية وليست مدينة لا تنتمى إلى أى ملك خاص، وانى أرى أن الذين كانوا يشيدون بذكرها لم يقولوا إلا نصف الحقيقة سواء فيما يخص تحصيناتها أو ثرواتها»[3].

ولم يكن أمام سكان طرابلس وقد ذاقوا الأمرين من الوجود المسيحى فى بلادهم إلا أن يستنجدون بالدولة العثمانية، فذهب وفد منهم سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م إلى إستانبول، ملتمسين إنقاذهم من ويلات الحكم المسيحى لبلادهم. كما كرر أهل طرابلس طلبهم عندما مر الإسطول العثمانى بطرابلس متجها إلى تونس سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، ولكن درغوث الذى كان قائدًا للإسطول إعتذر عن ذلك متعللاً بأنه ليست لديه تعليمات من السلطان العثمانى بذلك[4]. إلا أن موقف العثمانيون لا يلبث أن تغير، حيث وجدوا فى الإستيلاء على طرابلس

(١) العبدرى (ابو عبد الله محمد بن محمد)؛ المصدر السابق - ص ٢٣٩.

(٢) التجانى (ابو محمد عبد الله بن محمد)؛ المصدر السابق - ص ٢٣٨.

(٣) برينا (ك)؛ طرابلس من ١٥١٠ إلى ١٨٥٠ - تعريب خليفة محمد التليسى - الطبعة الأولى. مصراته - ١٩٨٥ - ص ٢٢.

(٤) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق - ص ٧٥.

فرصة لإحكام حلقة سيطرتهم على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، وذلك بعد أن أستولوا على مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، والجزائر سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، خاصة وأن الأسبان كانوا قد إستولوا على وهران وبجاية وتونس، كما كان فرسان مالطة يسيطرون على طرابلس، ويعنى ذلك أن السيادة على سواحل أفريقيا الشمالية كانت للقوى المسيحية، وفى ذلك تهديد للوجود العثمانى حيث أن ذلك يسهل للإسبان الإستيلاء على رودس وجزر اليونان بصفة عامة، وسواحل فلسطين، وقد يتجهون شرقًا إلى مصر[١]. لذلك فقد أصدر السلطان سليمان القانونى أمرًا فى ٦ شعبان ٩٥٨هـ/ ٩ أغسطس ١٥٥١م بالهجوم على طرابلس[٢] وفى يوم ١٣ شعبان ٩٥٨ه/ ١٦ أغسطس ١٥٥١م تمكنت القوات العثمانية من فرض سيطرتها على طرابلس[٣]، وتم تعيين مراد أغا والٍ على طرابلس لأنه كان يحسن اللغة العربية[٤].

ويمثل العصر العثمانى الأول (٩٥٨ ـ ١١٢٣هـ/ ١٥٥١ ـ ١٧١١م) بداية مرحلة جديدة وهامة فى تاريخ طرابلس، فقد أصبحت قاعدة بحرية هامة ونقطة إنطلاق للإسطول العثمانى، كما أنها شهدت تطورًا معماريًا وفنيًا، وتوسعًا عمرانيًا لم تشهده من قبل، فقد إهتم الولاة العثمانيون بتحصين المدينة وذلك بتقوية وترميم الأسوار وبناء الحصون والأبراج، كما حرصوا على تشييد العمائر الدينية التى إمتلأت بها المدينة، ونتيجة لإهتمام الولاة العثمانيون بالتجارة لما كانت تدره عليهم من مكاسب، فقد تطلب ذلك إنشاء الأسواق، فأنشأ عثمان باشا الساقزلى (١٠٥٩ ـ ١٠٨٣هـ/ ١٦٤٩ ـ ١٦٧٢م) سوق الربع (سوق العرب

(١) أحمد الأنصارى النائب: المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ـ طرابلس ـ ١٩٦١ ـ ص ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.
ـ برنيا (ك)؛ المرجع السابق ـ ص ص ٤٠ ـ ٤١.
(٢) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق ـ ص ٢٦٩.
(٣) رأفت غنيمى الشيخ: المرجع السابق ـ ص ٨٦.
(٤) أحمد الأنصارى النائب: المرجع السابق ـ ص ٢٠٠.
(٥) عن أسواق طرابلس، انظر الفصل الرابع من الكتاب.

حاليًا) كما أنشأ محمد باشا شائب العين (١٠٩٩ - ١١١٣هـ/ ١٦٨٧ - ١٧٠١م) سوق الترك(٥). كما نطلب ذلك إنشاء الفنادق لإقامة التجار، ومن أهمها الفندق الكبير الذى أنشأه عثمان باشا سنة ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م، كما أنشأ فى سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م فندقًا بالقرب من باب البحر، كذلك فقد أنشأ سليمان كاهية سنة ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م فندقًا بالقرب من جامع درغوت[1]. وإهتم الولاة العثمانيون بتجميل مدينة طرابلس، كما أنشأ دوغوت باشا (٩٦٤ - ٩٧٣هـ/ ١٥٥٦ - ١٥٦٥م) ضاحية جديدة عرفت بإسم «المنشية».

وقد ساعد على إنجاز هذه العمائر الوضع الذى تمتعت به طرابلس خلال العصر العثمانى الأول، فقد بلغ الإسطول الطرابلسى درجة من القوة والمهابة جعلت الدول الأوروبية تسعى إلى عقد المعاهدات مع طرابلس حتى تضمن الحماية لسفنها، ومن ذلك المعاهدة التى عقدت بين عثمان باشا وإنجلترا سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م، وجددت سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م، والتى تم بمقتضاها إنشاء قنصلية بريطانية فى طرابلس[2]. وكان ولاة طرابلس يحصلون مقابل هذه الإتفاقيات على مبالغ مالية كبيرة وهدايا قيمة. كما كان للنشاط البحرى المتزايدة فى العصر العثمانى الأول دوره على الحصول على الغنائم، فقد بلغت غنائم طرابلس خلال الفترة من سنة ١٦٦٨م وحتى سنة ١٦٧٨م مائة وأربع سفينة، منها ثلاث وثلاثين سفينة فرنسية[3]. كما كان من ضمن الغنائم أعداد كبيرة من الأسرى إستغلوا فى قطع الأحجار بمحاجر قرقارش والهنشير بطرابلس، كما كان بينهم ضاع ومعماريين شاركوا فى تشييد العمائر، فقد ذكر أن كل من مراد أغا ودرغوت باشا وعثمان باشا الساقزلى قد استعانوا بالأسرى فى تشييد عمائرهم. ولم تقتصر موارد طرابلس على الغنائم، بل كان للضرائب التى بالغ الولاة العثمانيون فى فرضها على أهالى طرابلس أثرها فى زيادة موارد الولاية، وقد إستخدم جزء كبير منها فى أعمال البناء والتشييد.

---

(١) عن فنادق طرابلس، أنظر الفصل الرابع من الكتاب

(٢) Mantran, (R); OP. cit. P. 264.

(٣) Wright, (J); Libya. London. 1969. P. 94.

وعلى الرغم مما واكب فترة الوجود العثمانى الأول فى طرابلس من إنجازات، إلا أنها قد شابتها بعض الشوائب، ومن ذلك مغالاة ولاة طرابلس فى فرض الضرائب على الأهالى مما أدى إلى تذمرهم وثورتهم على الولاة منذ بداية العصر العثمانى حتى أنه عندما زار درغوت باشا إستانبول سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦١م، أبدى السلطان سليمان القانونى تعجبه من كثرة الثورات فى دواخل طرابلس، فقال له درغوت «أنه من العسير يا سيدى التغلب على شعب ينتقل بمدينته ويحملها معه»[(١)]. وكان من أعتى الثورات ضد العثمانيين الثورة التى قادها يحيى بن يحيى السويدى فى تاجوراء سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م، ولكن الأتراك تمكنوا من التغلب عليه[(٢)].

كما شاب تلك الفترة الصراع المستمر بين الوالى (الباشا) المعين من قبل السلطان العثمانى، والداى الذى يرأس مجلس الديوان، والباى الذى يرأس الحامية الإنكشارية وكان ذلك يرضى السلاطين العثمانيين الذين حرصوا على عدم إستمرار الولاة فترة طويلة فى الولاية، لذلك فقد بلغ عدد ولاة طرابلس خلال العصر العثمانى الأول ثلاثة وأربعين واليا[(٣)]، منهم أربعة وعشرين دايًا خلال الفترة من سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م وحتى سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م[(٤)]. وبلغت مدة ولاية أحدهم يومين فقط وهر يلك محمود الذى تولى سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢[(٥)]، بل أن الحاج رجب تولى لمدة ثلاث ساعات فقط، عندما قام أحمد

---

(١) برنيا (ك)؛ المرجع السابق - ص ص ٥٩ - ٦٠.
Wright, (J): Op. cit. P. 93. -

(٢) روسى (إيتورى)؛ ليبيا منذ الفتح العربى حتى ١٩١١. تحقيق خليفة التليسى. الطبعة الثانية - طرابلس - ١٩٩١ - ص ٢٣٩.

(٣) حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضى والحاضر. سلسلة الألف كتاب. العدد ٤٢٦ - القاهرة ١٩٦٢. ص ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٤) Wright (J); Op. cit. P. 97.

(٥) ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل)؛ التذكار فى من ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار الطبعة الثانية - طرابلس - ١٩٦٠ - ص ١٣٨.

القرمانلى بعزله لتبدأ أسرة جديدة فى حكم طرابلس وهى الأسرة القرمانلية[1]. ومن الطريف أنه قولى الحكم فى نترة الوجود العثمانى بعض الحرفيين مثل إبراهيم الترزى الذى تولى لمدة عشر أشهر سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م، وعثمان القهوجى الذى حكم عدة ثلاثة أشهر وعشرين يومًا وذلك سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م[2].

يضاف إلى ما سبق إنشغال الولاة العثمانيين بالإسطول والنواحى العسكرية دون الإهتمام بالنواحى المدنية، فقد ذكر العياشى الذى زار طرابلس ثلاث مرات خلال تلك الفترة (١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م، ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م، ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م) أن لطرابلس مراكب قل نظيرها، معدة للجهاد فى البحر، قلما تسافر وترجع بغير غنيمة، وقلما أسرت لهم سفينة[3]. ولكن هذه الأعمال إذا كانت قد حققت العديد من المنافع للولاة، إلا أنها كانت وبالأعلى المدينة التى تعرضت لهجمات إنتقامية من الدول المتضررة، ومن ذلك الهجوم الفرنسى الذى حدث على طرابلس أثناء فترة حكم محمد باشا شائب العين (١٠٩٩ ـ ١١١٣هـ/ ١٦٨٧ ـ ١٧٠١م) وقصفوا المدينة عدة أيام، وأشعلوا فيها الحرائق[4].

طرابلس فى العصر القرمانلى:

وقد أدت ظروف الإضطراب السياسى فى الفترة الأخيرة من العصر العثمانى الأول إلى تمكن الأسرة القرمانلية من الوصول إلى الحكم سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م، وعلى الرغم من معارضة الدولة العثمانية لهذا الأمر، إلا أن الظروف السياسية الداخلية التى كانت تواجهها، بالإضافة إلى الأخطار الخارجية التى

(١) فيرو (شارل)؛ الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالي. الكتاب الثانى. تعريب محمد عبد الكريم الوافى ـ طرابلس ـ ١٩٧٣ ـ ص ٣٧٩.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: ولاة طرابلس الغرب من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى. الطبعة الأولى ـ بيروت ـ ١٩٧٠ ـ ص ٢٠٤.

ـ رأفت غنيمى الشيخ: المرجع السابق ـ ص ٨٧.

(٣) العياشى (عبد الله بن محمد بن أبى بكر)؛ الرحلة. طبعة فاس ١٣١٦هـ. ص

(٤) مجموعة: ليبيا ـ تاريخنا ـ الكتاب الخامس . جنيف ـ بدون تاريخ ـ ص ٥٧.

كانت تتهددها وخاصة الخطر الروسى، جعلتها تقبل ذلك مضطرة، وأصدرت مرسومًا فى سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م بتعيين أحمد القرمانلى واليًا على طرابلس ومنحه لقب «ميرميران ولقب باشا[١]. وكان ذلك فى عهد السلطان العثمانى أحمد الثالث.

ويرجع أصل الأسرة القرمانلية إلى ولاية «قرمان» فى الأناضول، وقد وصل أحمد القرمانلى إلى منصب «باش أغا فرسان الساحل والمنشية» وذلك فى عهد الوالى العثمانى على طرابلس «خليل باشا». وقد بدأ أحمد القرمانلى فترة حكمه بشىء من العنف والتهور، ففى الحفل الذى أقامه بمناسبة توليه الحكم تخلص من ثلاثمائة من الضباط الأتراك، كما تأزمت علاقاته مع القبائل الليبية ورفضت هذه القبائل دفع الجزية، فى نفس الوقت الذى ساءت علاقاته مع أوربا وخاصة فرنسا. إلا أن بعض الدول الأوربية حاولت الإبقاء على علاقاتها مع طرابلس حفاظًا على مصالحها، ومن تلك الدول هولندا[٢].

وعلى الرغم من هذه الظروف مجتمعة إلا أن أحمد باشا تمكن من إخماد ثورات القبائل ضده فى كل من تاجوراء وترهونة ومسلاته، وساعده على ذلك أن هذه الثورات لم تقم فى وقت واحد وإنما فى فترات متفرقة[٣].

وقد دامت فترة حكم أحمد القرمانلى لطرابلس أربعة وثلاثين عامًا حيث إنتهيت سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، عندما إنتحر بعدما فقد بصره. ويعتبر الكثير من المؤرخين أن فترة حكمه كانت أفضل فترات حكم الأسرة القرمانلية والعصر العثمانى فى ليبيا بشكل عام[٤]، وذلك لأنه تمكن من السيطرة على كل الأراضى الليبية وحقق الوحدة لها، ومن ذلك أقليم فزان الذى أخضعه لسلطانه، بعد أن

(١) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق ـ ص ٣٣٨.
(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلى. تقديم كمال الخربوطلي مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلي. القاهرة ـ ١٩٦١. ص ص ى ـ ١٧.
(٣) رأفت غنيمى الشيخ (و)؛ المرجع السابق ـ ص ص ٩٠ ـ ٩١.
(٤) الطاهر أحمد الزاوى: المرجع السابق ـ ص ٢٢٣.

أعلن حاكم فزان «محمد ناصر» إنفصاله عن باشا طرابلس وإمتنع عن دفع الجزية[١]، وكانت سيطرة العثمانيين تقتصر خلال العصر العثمانى الأول على المدن الساحلية فقط، وقد أفاد ضم أقليم فزان إلى سيطرته من فتح طرق التجارة بين طرابلس والمدن الأفريقية[٢]، مما إنعكس بالتالى على الأحوال الإقتصادية والسياسية لليبيا.

فمن الناحية الإقتصادية فقد أدت زيادة الموارد إلى تحسن الأحوال المعيشية لأفراد الشعب الليبى، وساعد ذلك الحكومة على القيام بالإصلاحات المطلوبة والمتمثلة فى المنشآت بكافة أنماطها من قلاع وحصون لحماية المدينة، ومنشآت دينيه ومن أهمها الجامع الكبير الذى أنشأه بمدينة طرابلس[٣]، بالإضافة إلى بئر المياه التى حفرها لضمان تزويد المدينة بالمياه، كما إهتم إهتمامًا كبيرًا بالأسطول البحرى وأعاد إليه سابق شهرته مما جعل الدول الأوربية وعلى رأسها إنجلترا وهولندا تسعى لكسب ود أحمد باشا القرمانلى حتى تضمن عدم التعرض لسفنها فى البحر المتوسط، وكان ذلك من أسباب زيادة موارد طرابلس فى العصر القرمانلى[٤]. خاصة وأن عددًا من الدول الأوربية قد إندرج ضمن هذه المعاهدات مثل فرنسا وأسبانيا والسويد والجمهوريات الإيطالية، فى الوقت الذى كانت الدولة القرمانلية تغالى فى فرض الإتاوات على سفن هذه الدول. كما كانت من عوامل قوتها العسكرية، ففى نفس المجال قدمت حكومة جنوة لطرابلس سفينة مزودة بخمسين مدفعًا وكميات من البارود والذخائر، كما قدمت الحكومة الهولندية عند تجديد المعاهدة التى عقدت بينها وبين طرابلس سنة ١٦٨٣م، أربعة مدافع من البرونز، وخمسة قناطير من البارود[٥].

(١) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٢٠.
(٢) رافت غنيمى الشيخ (و)؛ المرجع السابق - ص ٩٢.
(٣) أنظر صفحات. ٥٥ - ٥٨.
(٤) حسن سليمان محمود: المرجع السابق - ص ١٨٢.
- زاهر رياض: شمال افريقيا فى العصر الحديث. القاهرة ١٩٦٧ - ص ١٠٥.
- ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ص ى/ ك.
(٥) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ص ١٦ - ١٧.

ومن المحاسن فى فترة حكم أحمد باشا أنه وضع قوانين للدولة وأشرك بعض الوطنيين فى الجيش وإدارة البلاد، كما أسس جمعية علمية، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة[1].

وقد توفى أحمد باشا منتحراً سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، وخلفه إبنه محمد على الرغم من أنه لم يكن أكبر أبناءه، ولكن كان يتمتع بسمعة طيبة[2]. وقد واجه العديد من المصاعب خلال فترة حكمه القصيرة والتى لم تدم إلا سبع سنوات فقط، وخاصة ثورة الألبان والأرناؤوط من الإنكشارية عليه، وكذلك ثورة أهل درنه وغريان، مما دفعه إلى الإستعانة بجنود من الإنكشارية من أزمير. أما عن الأحوال الخارجية فى عهده، فأنه نتيجة لإحتفاظ الإسطول القرمانلى بقوته فقد أسرعت بعض الدول الأوربية يعقد معاهدات مع محمد باشا لضمان سلامة سفنها، ومن ذلك المعاهدات التى عقدتها كل من النسما والدنمراك وإنجلترا وفرنسا. وقد توفى محمد باشا فى ٢٤ يوليو سنة ١٧٥٤م[3]، إلا أن ميكاكى يذكر زن وفاته كانت فى ٢٤ يوليو سنة ١٧٥٢م[4].

وتولى حكم طرابلس بعده إبنه على، الذى واجه مصاعب عدة، ففى الداخل تعرضت البلاد سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٦٧م لمجاعة شديدة دفعت الأهالى إلى الهجرة إلى تونس ومصر. وفى سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٨٥م أصيبت البلاد بطاعون أودى بحياة الآلاف من الأهالى. ومن الطبيعى أن يصاحب ذلك إنتشار القلاقل والفتن والإضطرابات. هذا فى الوقت الذى كان جنود الإنكشارية يسيرون الأمور حسب أهوائهم، ويعتدون على السفن الأوربية التى تربط بلادهم بطرابلس معاهدات مما أدى إلى تدهور العلاقات بين أوربا وطرابلس وتعرض طرابلس لهجوم بحرى أوربى.

(١) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ المرجع السابق. ص ٩٣، ص ١٠٩.
(٢) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ نفس المرجع. ص ٩٣.
(٣) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ نفس المرجع. ص ص ٩٤ ـ ٩٦.
(٤) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ٨٩.

ولم يجد الأهالى وقد ساءت أحوالهم سوى الإستنجاد بالأستانة، فإستفاد من ذلك أحد المغامرين ويدعى «على برغل» وعرض على السلطان سليم الثالث أن يخلصه من أسرة القرمانلى دون أن يكلف الباب العالى شيئًا فى ذلك حيث سيتولى تجهيز الحملة وكافة نفقاتها بنفسه مقابل تعيينه واليًا على طرابلس. وقد وافق السلطان سليم الثالث وأصدر فرمانًا بذلك، ولما علم على القرمانلى بذلك فرو معه أسرته إلى تونس[1].

وكان على برغل رجلاً فظًا غليظًا لم يحسن معاملة السفراء والقناصل الأجانب بطرابلس، كما ساءت علاقته مع حمودة باشا حاكم تونس، بالإضافة إلى ما تعرض له أهالى البلاد من أعمال السلب والنهب وهتك الأعراض، وقد دفع ذلك حمودة باشا إلى مساعدة القرمانليين لإسترداد طرابلس، وقد تمكنوا من ذلك بالفعل فى ١٩ يناير ١٧٩٥م، وهرب على برغل إلى الإسكندرية حيث إستضافه مراد بك فى قصره بالجيزة[2].

وتعتبر فترة حكم يوسف القرمانلى من أزهى الفترات فى تاريخ الأسرة القرمانلية فقد ذكر الكاتب الأسبانى Domingo Bediay Leblick الذى أقام فى طرابلس من سنة ١٨٠٥م حتى ١٨٠٦م «... لقد إنقضت عشر سنوات ونصف وهو متربع على العرش والشعب راض عنه كل الرضا»[3]. ولا شك أن هذا الرضا كان لما أقدم عليه يوسف القرمانلى من إقرار النظام فى البلاد، والقضاء على الفساد، وإشاعة روح التسامح بين أبناء الشعب بمختلف دياناتهم، مما دفع أعداد كبيرة من يهود تونس والجزائر وأوربا للهجرة إلى ليبيا[4]. كما تمكن من القضاء على كل الثورات الداخلية التى قامت ضده فى كل من غريان وفزان

(١) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ الرجع السابق. ص ص ٩٦ ـ ٩٨.

(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

ـ رافت غنيمى الشيخ (د)؛ المرجع السابق. ص ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٣) على بك العباسى: رحلات فى أفريقيا وآسيا من ١٨٠٣ حتى نهاية ١٨٠٧م. حـ ٢. ترجمة سيتفانو تيكوزى ـ ميلانو ١٨١٦م. ص ١٨٥.

(٤) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق ـ ص ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

وغدامس ونالوت وترهونه وسرت[1]. كذلك فقد إهتم يوسف القرمانلى بتنظيم الأسطول البحرى وأسند قيادته إلى إنجليزى «بيتر ليل» الذى إعتنق الإسلام وسمى «مراد رئيس» كما شيد العديد من المبانى وأصلح أسوار مدينة طرابلس[2].

أما عن علاقات يوسف القرمانلى الخارجية فقد شهدت فترات من التوتر خاصة عندما خالف توجهات الباب العالى الذى كان يعد حملتين لطرد الحملة الفرنسية من مصر، بينما وقع يوسف القرمانلى معاهدة فى فرنسا سنة ١٨٠١م. يتمكن بمقتضاها الفرنسيون من إمرار الرجال والعتاد إلى مصر عبر ليبيا[3]. ولم يخرج يوسف القرمانلى من هذا المأزق إلا جلاء القوات الفرنسية عن مصر سنة ١٨٠١م. كما توترت العلاقات بين ليبيا وأمريكا بعد ما هاجمت السفن الليبية السفن الأمريكية، وأدى ذلك إلى حصار ميناء طرابلس وقذف المدينة بالقنابل، وإزداد الأمر سوءاً عندما تمكنت البحرية الليبية من أسر السفينة الأمريكية «فيلا دلفيا» وبحارتها الثلاثمائة، مما جعل السفير الأمريكى فى تونس «إيتون Iton» يرتب لحملة بقيادة «أحمد القرمانلى» الذى فر إلى مصر. وبعد أن تمكنت تلك الحملة من الإستيلاء على درنة ،افق يوسف القرمانلى على إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين مقابل فدية من المال[4].

وعلى العكس من سنوات حكمه الأولى، فقد ساءت الأحوال خلال الفترة الأخيرة من حكمه، وضعفت الموارد المالية حتى إضطر لبيع الإسطول، وقام بسك المدافع فلوسًا، وبالغ فى فرض الضرائب والتعسف فى جبايتها. وفى ١٢ أغسطس ١٨٣٢م عقد إجتماعًا تنازل فيه عن الحكم لإبنه على[5].

(١) نقولا زيادة (د)؛ ليبيا من الإحتلال الإيطالي إلى الإستقلال. مصر ١٩٥٨ ص ٤٤.
(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق. ص ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٣) نقولا زيادة (د)؛ المرجع السابق. ص ٤٦.
(٤) نقولا زيادة (د)؛ المرجع السابق. ص ٤٧.
(٥) رافت غنيمى الشيخ (د)؛ المرجع السابق ـ ص ١٠٦.

وقد شهدت الفترات التالية تدهوراً فى أحوال البلاد، وكانت الدولة العثمانية تراقب الأحداث وتتحين الفرص لكى تستعيد سيطرتها على طرابلس، فإستغلت ظروف الصراع بين أفراد البيت القرمانلى وخاصة الصراع بين على ومحمد القرمانلى، وكذلك ثورات القبائل وخاصة قبيلة أولاد سليمان بفزان التى يتزعمها عبد الجليل سيف النصر، وقبيلة المحاميد التى يتزعمها غومة بن خليفة المحمودى. كما كانت تركيا تخشى أن تمتد أطماع فرنسا إلى ليبيا بعد أن سقطت تونس بأيدى الفرنسيين سنة ١٨٣٠م، فقام السلطان محمود الثانى بإرسال إسطول عثمانى إلى طرابلس، وتم عزل على باشا القرمانلى وتعيين مصطفى نجيب باشا واليًا على طرابلس، لينتهى بذلك حكم الأسرة القرمانلية الذى دام من سنة ١٧١١م إلى سنة ١٨٣٥م[١].

ويعتبر العصر القرمانلى إحدى النتائج التى تمخضت عن سياسة العثمانيين فى المنطقة، والتى كان دور الحاكم فيها لا يتعدى جمع الأموال التى تساعده على دفع رواتب الجنود، لكى يحافظ على بقائه فى الحكم[٢]. فقد إستمرت هذه السياسة فى العصر القرمانلى وكان جنود الإنكشارية والقولوغلية أدوات القرمانليين لجمع الضرائب والتعسف فى ذلك. كذلك فقد تحولت القرصنة فى تلك الفترة من عمل تمارسه أفراد وعصابات إلى أسلوب دولة، وأن كان هذا الإسلوب قد أدخل إلى الخزينة القرمانلية أموالاً طائلة، إلا أنه كان أحد عوامل إنهاك الدولة عندما ضعف أسطولها وفقدت مكانتها فى البحر المتوسط، وأخذت الدول الأوربية تفرض عليها الإتاوات[٣].

إلا أنه مما يحسب لحكام العصر القرمانلى إلى جانب ما قاموا به من إنشاءات

(١) سيكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق ـ ص ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
ـ محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط. ص ٣١٥.
(٢) مجموعة: ليبيا. تاريخنا. المجلد الخامس ـ جنيف ـ بدون تاريخ ـ ص ٦٤.
(٣) رافت غنيمى الشيخ: المرجع السابق ـ ص ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

مدنية ودينية، والإهتمام بتحصين مدينة طرابلس، إهتمامهم بالتعليم وتشجيعهم وإحترامهم للعلماء[1].

طرابلس فى العصر العثمانى الثانى:

عاد الأتراك إلى طرابلس وهم يواجهون حالة رفض من قبل أهالى طرابلس، لأن الروح العدائية لدى العرب كانت قد إزدادت بسبب تسلط جنود الإنكشارية، وعلم الأهالى أن الأتراك لن يسعوا إلى تغيير ما أدى إلى سخط الشعب سابقًا، وأن إهتمام الحكام الأتراك سيتركز على جمع الأموال. لذلك فأنه عندما تولى «محمد رئيف» أو «رءوف باشا» سنة ١٨٣٥ ـ ١٨٣٦م، فقد واجه رفضًا من أهالى منطقة المنشية بطرابلس، كما قام بإخضاع أهل تاجوراء وجنزور والزاوية بالقوة. لكن الدولة العثمانية كانت تسعى فى كثير من الأحيان إلى إرضاء الأهالى عندما تشعر بإزدياد غضبهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما حدث سنة ١٨٣٨م عندما علمت تركيا بغضب الأهالى من حسن باشا (تولى فى أبريل ١٨٣٧م) فإستدعته إلى تركيا وعينت بدلاً منه على عسكر، الذى تنازل للأهالى عن الضرائب القديمة[2]. وإذا كانت مثل هذه الثورات بالإضافة إلى قصر فترة حكم الولاة العثمانيين من أسباب تعويق مسيرة الإصلاح والنهوض بالبلاد، الأمر الذى جعل بعض الرحالة والكتاب يصفون هذا العصر بأنه قد خلا من مظاهر الإصلاح والتقدم، ومن ذلك الرحالة الحشائشى الذى وصف أهالى البلاد فى ذلك العصر قائلاً «أما العلوم والمعارف العصرية فلا توجد عندهم ولا يشمون لها رائحة»[3]. وعندما زار الرحالة الألمانى هـ. بارث H.Parth طرابلس سنة ١٨٦٤م ذكر أنه وجد المدينة فى ظروف صعبة بسبب الحروب الأهلية التى سادت الفترة الأخيرة

(١) عمر على بن إسماعيل: إنهيار حكم الأسرة القرمانلية فى ليبيا ١٧٩٥ ـ ١٨٣٥. طرابلس. بدون تاريخ. ص ١٧٢.

(٢) كاكيا (أ. ج): ليبيا فى العهد العثمانى الثانى. ترجمة يوسف حسن العسلى ـ مصر ١٩٤٦. ص ص ٣٩ ـ ٤٣.

(٣) الحشائشى (محمد بن عثمان): جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ـ تحقيق على مصطفى المصراتى ـ بيروت. ١٩٦٥ ص ٩٠

من العصر القرمانلى، وسوء الإدارة العثمانية فى عهدها الثانى[1]. كما يذكر «فرانشيسكو كورو» أن الحكومة التركية لم تهتم برفع المستوى المعنوى والمدنى للسكان، كما لم تفعل شيئًا للنهوض برعاياها، وخاصة القبائل التى تعيش خارج المراكز الرئيسية، كما يذكر فى موضع آخر لم تفعل الحكومة العثمانية شيئًا فى طرابلس أو برقة لتحسين طرق المواصلات بين المدن الساحلية ومراكز الإنتاج الزراعى، ولم تتخذ إجراءات لإنشاء مخازن للحبوب لمواجهة سنوات الجدب[2].

إلا أنه من الحق القول أن هذا العصر إذا كانت قد شابته بعض العيوب، إلا أنه شهد أيضًا العديد من الإصلاحات، ولعل من أهم الإصلاحات فى تلك الفترة إشتراك أفراد من الشعب الليبى فى شئون حكم الولاية، فقد أوجد الأتراك وظيفة «شيخ البلد» التى كان يتولاها أحد أصحاب المكانة من أبناء الشعب الليبى، ويقوم بمساعدة الوالى فى إدارة شئون المدينة، ويعاونه مجموعة من الموظفين يسمى كل منهم «قائد» وإستمر هذا النظام متبعاً حتى سنة ١٨٦٩م حين صدر قرار سلطانى بتأسيس نظام البلديات فى المدن وإلغاء وظيفة شيخ البلد[3]. كما كان ضمن أعضاء مجلس كل من ولاية طرابلس وبرقة ستة أعضاء من الليبيين ينتخبهم الشعب كل عامين[4].

كما شهد العصر العثمانى الثانى إقامة أول محكمة تجارية فى طرابلس، وكانت مركزًا للوكلاء التجاريين من أوربا وأفريقيا، وكان ذلك سنة ١٨٥١م[5].

أما فى مجال التعليم والثقافة، أنه يستدل من إحصائية عن المنشآت بمدينة طرابلس عند بداية الإحتلال الإيطالى أنه كان بها ثلاثة وثلاثين مسجدًا، وواحد وعشرين كتابًا وثلاثة معاهد إسلامية، وخمس زوايا، وخمس مدارس إيطالية،

(١) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق ـ ص ٧٥.

(٢) كورو (فرانشيسكو)؛ ليبيا أثناء العهد العثمانى الثانى. تعريب وتقديم خليفة محمد التليسى. الطبعة الثانية طرابلس ـ ١٩٨٤ ص ٢١، ص ص ١١٠ ـ ١١١.

(٣) تيسير بن موسى: المجتمع العربى الليبى فى العهد العثمانى ـ طرابلس ـ ١٩٨٨ ـ ص ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٤) كاكيا (أ. ج): المرجع السابق ـ ص ٨٧.

(٥) تيسير موسى: المرجع السابق ـ ص ١٧.

ومدرستان فرنسيتان وإثنان وعشرين معبداً يهودياً، وكنيستان[1]. وكانت كل هذه المنشآت حتى الدينى منها سواء المساجد أو الزوايا أو المعابد والكنائس تؤدى دوراً تعليمياً إلى جانب دورها الدينى، مما يدل على إنتشار التعليم فى ذلك العصر. ولم يقتصر الأمر على التعليم الدينى بل بدأ فى هذا العصر الإهتمام بالتعليم الفنى، وذلك عندما أنشأ نامق باشا مدرسة الفنون والصنائع سنة ١٨٩٨م.

وفى مجال الثقافة فقد تأسست فى هذا العصر أول مطبعة وكانت بقلعة طرابلس، وهى مطبعة حجرية، صدرت عنها أول صحيفة فى ليبيا وهى صحيفة «طرابلس غرب» وذلك سنة ١٨٦٦م، وقد نقلت هذه المطبعة بعد ذلك إلى مدرسة الفنون والصنائع[2]. كما صدرت أول جريدة شعبية فى ليبيا، وهى جريدة الترقى التى صدرت سنة ١٨٩٧[3].

وفى مجال الرعاية الطبية فقد تأسس فى عهد الوالى أحمد عزت سنة ١٨٧٨م أول مستشفى مدنى عام، وقد إستغرق بناؤه ثلاث سنوات، وأفتتح فى عهد أحمد راسم سنة ١٨٨١م وكانت تعرف بمستشفى الغرباء[4]. وتوجد وثيقة محفوظة بدرا المحفوظات التاريخية بطرابلس تشير إلى أن العثمانيين قاموا بتأسيس مستشفى عسكرى سنة ١٨٣٨م كانت مخصصة للعسكريين فقط. كما أنشأت بلدية طرابلس سنة ١٨٧٠م مستوصفاً داخل مدينة طرابلس القديمة. إلا أن البعثات التبشيرية الأجنبية كان لها دورها فى مجالات الطب فى طرابلس، ففى رسالة من والى طرابلس إلى الديوان العثمانى مؤرخة فى ٦ أكتوبر سنة ١٨٩٨م ذكر، أن الراهبات إفتتحن مستشفى يداوين فيه المرضى الفقراء، ويصرفن لهم

(١) كورو (فرانشيسكو)؛ المرجع السابق - ص ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) كورو (فرانشيسكو)؛ المرجع السابق - ص ١٥٣، نقولا زيادة: ليبيا فى العصور الحديثة مصر. ١٩٥٨. ص ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) تيسير موسى: المرجع السابق - ص ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٤) محمد ناجى، محمد نورى: طرابلس غرب. ترجمة أكمل الدين محمد إحسان - طرابلس ١٩٧٣ ص ص ٢٠٠ - ٢٠١.

الدواء مجانًا، ويأخذون رسمًا رمزيًا من ذوى اليسار، كما أن المبشرين البروتسنانت يقدمون الأدوية لمرضى ويقرأون عليهم الإنجيل[1]

ومما يجدر ذكره أن العلاج قبل العصر العثمانى كان يتم فى الأربطة التى تضم مستشفيات لعلاج المرضى[2]. وكان يوجد فى طرابلس حتى سنة ١٧٨٥م طبيب واحد فقط من جنوة بإيطاليا يختص بعلاج الباشا القرمانلى وأفراد أسرته وقناصل الدول الأجنبية، فى حين كان يوجد بطرابلس فى العصر العثمانى الثانى مجموعة من الأطباء المجازين من الكلية الطبية الملكية فى إستانبول[3].

وقد أزدهرت فى طرابلس خلال العصر العثمانى الثانى بعض الصناعات، ومن أهمها صناعة المنسوجات، فقد أدخل أحمد راسم باشا صناعة نسج الحرير، وقام فى سنة ١٨٩٩م بإحضار ٢٢٠٠ شجرة توت من الأناضول وزرعها فى منطقة سيدى المصرى بطرابلس[4] وكان بطرابلس سوق للحرير، ولكن الولاة العثمانيين لم يهتموا بهذه الصناعة، وبعد الحرب الإيطالية التركية سنة ١٩١١م هاجر عدد كبير من صناع الحرير إلى تونس، كما كانت صناعة الحصير من الصناعات التى إشتهرت بها طرابلس خلال ذلك العصر، وكان يصدر إلى تركيا وبرقة والإسكندرية وتونس[5].

وقد ترتب على أزدهار التجارة ووجود صناعات إنشاء أسواق جديدة، ومنها سوق الحميدية الذى أنشىء فى عهد أحمد عزت باشا، وسوق المشير الذى أنشىء فى عهد رجب باشا. وسوق العزيزية التى أنشىء فى عهد على رضا باشا[6].

كما نالت المرافق والخدمات العامة إهتمامًا كبيرًا من ولاة العثمانيين فى العصر

(١) عبد السلام أدهم: وثائق تاريخ ليبيا الحديث. بنغازى ١٩٨٣ ص ١٣٥.
(٢) عثمان الكعاك: محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب من القرن ١٦ - ١٩م. القاهرة ١٩٥٨. ص ١٦.
(٣) تيسير موسى: المرجع السابق - ص ٢٧٥.
(٤) كاكيا (ا. ج): المرجع السابق - ص ١٧٧.
(٥) كاكيا (ا. ج): نفس المرجع. ص ١٤١.
(٦) أحمد الأنصارى النائب: المنهل. ص،ص ٣٩٩ - ٤٠٤، كاكيا (ا. ح) المرجع السابق. ص ٦٠.

العثمانى الثانى، ففى عهد نامق باشا إمتدت أنابيب المياه لجلب الماء من عين زارة بعد أن أصبحت عين «بومليانة» لا تكفى لإمداد طرابلس بالماء[١]. كما إهتم على رضا باشا بمد الطرق وتنظيم البريد، وفى عهد أحمد عزت باشا زاد الإهتمام بالبريد وخصص باخرة، كانت تعرف بـ «المولودية» لنقل البريد. كذلك إمتدت أسلاك البرق بين طرابلس والخمس (على بعد ١٢٠كم شرق طرابلس)، وإمتدت فى سنة ١٨٦٢م بين طرابلس ومالطة[٢]. كما كانت الشوارع الرئيسية بالمدينة معبدة وتضاء ليلاً بقناديل الكيروسين[٣]، وقد أستبدلت هذه المصابيح بأخرى تعمل بالكهرباء سنة ١٩١٠م كما تم تسيير حافلات كهربائية (ترام) بالمدينة[٤].

ومن الأعمال الأخرى التى تنسب إلى تلك الفترة، الباب الذى فتح فى عهد الوالى محمود نديم فى الجهة الغربية من طرابلس وذلك لتسهيل الإنتقال بين المدينة وحى المنشية والقرى المجاورة، وأعمال إصلاح وتدعيم أسوار المدينة والقلعة، والتى تمت فى عهد أحمد عزت باشا، وكذلك منار ميناء طرابلس، والمرقتخانة، وهى عبارة عن ساعة كبيرة دقاقة، عملت فى عهد على رضا باشا[٥].

* * *

مما سبق يتضح أن فترة الوجود العثمانى فى طرابلس لم تكن كلها مساوئ كما يعتقد البعض، بل أنها شهدت العديد من الإصلاحات التى لم تكن الهدف منها مجرد تحقيق مصالح الولاة العثمانيين، بل أنها أنعكست على جوانب الحياة العامة للشعب، خاصة وأنها شملت التعليم والرعاية الطبية، وإستخدام بعض الوسائل الحضارية مثل البرق والبريد والكهرباء والمياه ووسائل الإنتقال.

(١) كاكيا (ا. ج)؛ المرجع السابق. ص ٥٩.
(٢) احمد الأنصارى النائب؛ المرجع السابق، . ص ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩، كاكيا (ا.ج)؛ المرجع السابق. ص ص ٤٨ ـ ٥٢.
(٣) كاكيا (ا.ج)؛ المرجع السابق. ص ١٠٧.
(٤) تيسير موسى: المرجع السابق. ص ٣٣.
(٥) احمد الأنصارى النائب: المرجع السابق. ص ص ٣٩٥ ـ ٣٩٩، كاكيا (ا. ج)؛ المرجع السابق ـ ص ٥٢

وفى سلسلة الصراع بين تركيا وإيطاليا توجهت أنظار إيطاليا إلى ليبيا، وأعلنت الحرب فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١م، وفى الثالث من أكتوبر من نفس العام ألقيت أول قنبلة على ميناء طرابلس وبعد يومين كانت طرابلس وضواحيها خاضعة لإيطاليا[١]. وبعد أن أخضعت برقه وطرابلس توغلت جنوبًا إلى الكفرة وفزان[٢]. ولما كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مرحلة من الضعف لا تقوى معها على الدفاع عن ليبيا، بعدما أنهكت فى حرب البلقان فقد إضطرت تركيا تنفيذًا للبنود السرية لمعاهدة لوزان التى عقدت بين تركيا وإيطاليا سنة ١٩١٢م إلى منح ليبيا الإستقلال التام عن الدولة العثمانية[٣]. وعلى الرغم مما كُان يصف به موسولينى ليبيا من أنها «صندوق للرمال» إلا أنها كان تمثل نقطة هامة فى المخطط الإيطالى الذى يرمى إلى مشروع إستعمارى يبدأ من ليبيا وينتهى عند اليمن ليصل بذلك بين إيطاليا ومستعمراتها الأفريقية فى إريترتا والصومال والحبشة، وبذلك يعود البحر المتوسط بحرًا إيطاليًا كما كان أيام الرومان، أو بحر الروم كما كان يسميه العرب، كما يصبح البحر الأحمر بحيرة إيطالية[٤].

* * *

(١) كاكيا (أ. ج)؛ المرجع السابق - ص ٦٥.

(٢) جمال حمدان (د)؛ الإستعمار والتحرر فى العالم العربى. سلسلة المكتبة الثقافية. العدد ١٢٣ ديسمبر ١٩٦٤. ص ٤٧.

(٣) عيسى محمد صالحية (د) صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا. مجلة كلية الآداب جامعة الكويت - العدد الأول ١٩٨٠ - ص ٧.

(٤) جمال حمدان (د)؛ المرجع السابق - ص ص ٤٧ - ٤٨.

- عند حديث القزوينى عن طرابلس فى القرنه ٧هـ/ ١٣ ذكر بأنها «مدينة على شاطىء بحر الروم». أنظر: آثار البلاد وأخبار العباد - ص ٤٠٨.

الآثار القديمة بمدينة طرابلس

عثر فى مناطق باب بن غشير وأبى ستة وقرجى وشارع بن عاشور على مقابر بونيقية وهى عبارج عن حجرات صغيرة مربعة المسقط تؤدى إليها فتحة باب تغلق بقطعة من الحجر.

وكانت العادة أن يوضع مع الميت أدوات الحياة اليومية التى كان يستعملها أثناء حياته، لذلك أمدتنا هذه المقابر بعدد كبير من التحف التطبيقية مثل أدوات وأوانى الطعام، وأدوات الإضاءة، ومَواد وأدوات الزينة والتطيب مثل الدبابيس والمراور والمرايا والحلى وقنينات العطور، وغيرها.

كما عثر فى داخل مدينة طرابلس القديمة وفى منطقة قرقارش وسيدى المصرى على مقابر من الطراز البونيقى الرومانى. وهى وإن كانت مشابهة من حيث التخطيط المعمارى للمقابر البونيقية إلا أن طريقة الدفن قد إختلفت وأصبحت تتمثل فى حرق جثث الموتى والإحتفاظ برمادها فى أوانى من الفخار أو الزجاج أو الرخام أو الحجر أو الرصاص، تشكل بأشكال مختلفة[1].

ومن أهم الآثار القديمة القائمة بمدينة طرابلس قوس ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠م) ومن المعلوم إن إقامة أقواس النصر كان مظهراً من مظاهر الأبهة والفخار إذ أنها تسجل لمناسبة من المناسبات أو حدثًا هامًا وقع فى عهد أحد أباطرة الرومان، لذلك كان تعرف بأقواس النصر لأنها إرتبطت بالإنتصارات فى المعارك. وقد حرص الرومان على وضع هذه الأقواس فى مداخل المدن لتكون أو ما يصادف زائر المدينة.

(١) انظر: محمود النمسى: دليل منطقة حقائر جنزور الأثرية - منشورات مصلحة الآثار الليبية - طرابلس - بدون تاريخ. ص ص ١٤ - ١٩.

ويعتبر قوس ماركوس أورتلييوس فى طرابلس من الأقواس الفخمة، لأن معظم أقواس النصر الرومانية كانت عبارة عن فتحة أو مدخل كبير على جانبيه فتحتين أقل إتساعًا، إلا أننا نجد أن هذا القوس يشتمل على أربعة مداخل بحيث يقطعه الداخل إلى المدينة من أى إتجاه، وهى ميزة قلما وجدت فى أقواس النصر الرومانية فى مدن شمال أفريقيا إلا فى مدينة لبدة الليبية أيضًا التى تشتمل على أربعة أقواس من هذا النوع، منها القوس الذى أقامه ماركوس أوريليوس بها، وتبقت بعض أجزائه، إلا أنه من المرجح أنه كان على نفس نمط القوس الموجود بطرابلس الذى كان هو الآخر مختفيًا تحت الرمال حتى كشف عنه سنة ١٩١٢م، وتم ترميمه.

الوصف المعمارى لقوس ماركوس أوريليوس:

يتكون من أربع واجهات يزيد طول كل من الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية قليلاً عن الواجهتين الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية. ويتوسط كل واجهة فتحة معقودة يعقد نصف دائرى على جانبيها فتحتان صغيرتان كانتا تخصصان لوضع التماثيل. وقد إختلفت الأراء حول الشكل الذى كان عليه الجزء الأعلى من القوس هل كان مغطى بقبة أم ببرج يعلوه عربة تجرها الخيول وعليها تمثال الإمبراطور ماركوس أوريليوس. ومن أصحاب الرأى الأول العالم الآثارى الإيطالى «سالفاتورى أوريجميا» الذى إعتمد فى رأيه على الرسومات القديمة لمدينة طرابلس والتى ترجع إلى فترة الإحتلال الأسبانى (١٥١٠ ـ ١٥٣٠م) وفترة الوجود التركى بطرابلس إعتباراً من سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م وعلى وصف الرحالة العبدرى الذى زار طرابلس سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، وكذلك وصف الرحالة التجانى الذى أقام فى طرابلس من سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٧م إلى سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م، الذى ذكر أيضًا أن القوس تحول فى عهده إلى مسجد. أما أصحاب الرأى الآخر فأنهم يعتمدون على مقارنة القوس بغيره من أقواس النصر الرومانية[1].

(١) انظر تفنيداً لهذه الآراء فى مقال: محمد على عيسى: هل تحول قوس ماركوس أوريليوس بطرابلس إلى مسجد فى العصور الوسطى. مجلة آثار العرب ـ طرابلس مصلحة الآثار ـ العدد الثانى ـ مارس ١٩٩١ ـ ص ص ٢٤ ـ ٣٣.

وتشتمل واجهات القوس على زخارف منحوتة تمثل أبو للويركب عربة يجرها أسدان مجنحان، وكذلك الإلهة «مينرفا» التى تركب عربة يجرها حيوانان خرافيان على شكل أبى الهول. (صورة ١).

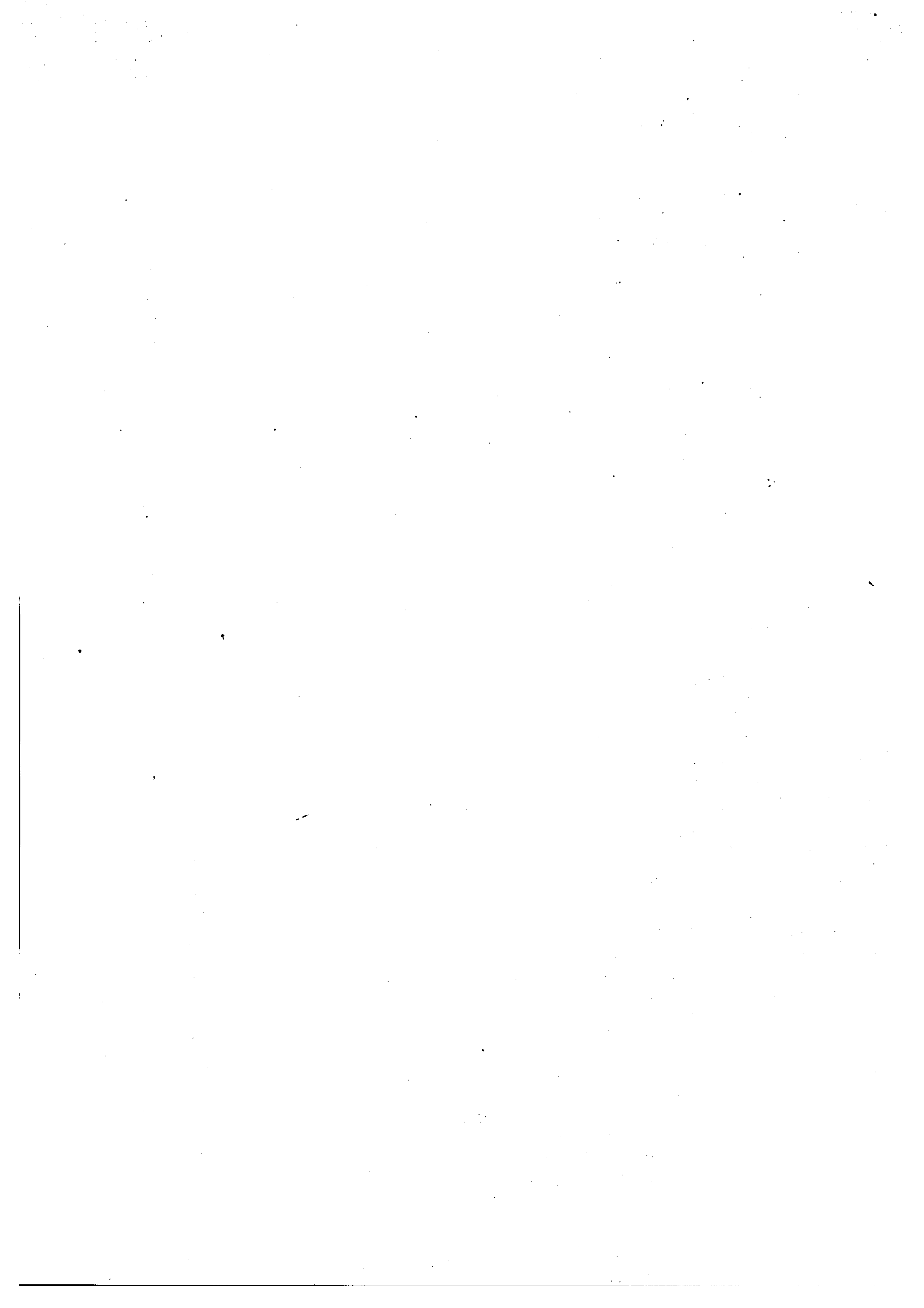
ومن الطرائف التى أوردها التجانى عن هذا القوس أن على أحجار الجهة الشمالية كانت توجد كتابة بخط رومى، وأن أبو البركان بن محمد بن أبى الدنيا الذى كان من أشهر علماء طرابلس، أخبره أن والده قد بحث عن من يترجم هذه الكتابات، فوجد أنه تبين أن فى يوم تمام البناء أو الشروع فيه جاء الخبر من بلاد الشام أن نبيًا من العرب ظهر فى بلاد الحجاز وإسمه محمد بن عبد الله[١].

وإن كانت هذه بعض أو أهم الآثار المكتشفة بمدينة طرابلس، فإن باطن المدينة مازال يحتفظ بالكثير من الآثار المطمورة، والتى تحول ظروف العمران الكشف عنها. حيث أن مدينة طرابلس ظلت مدينة عامرة منذ إنشائها، حيث توالت عليها العصور وأقيمت العمائر فى نفس المكان الذى كانت تشغله مدينة طرابلس القديمة، مما جعل من الصعوبة بمكان الكشف عن كل الآثار القديمة بالمدينة. ولكن عند هدم بعض العمائر وإعادة تشييدها أو عند إجراء بعض أعمال الحفر، فأنه تكتشف آثار لمبانى قديمة أسفل المبانى الحالية، ومن ذلك مثلاً الحفائر التى أجرتها مصلحة الآثار الليبية بالمدفن الجنائزى الملحق بمدرسة عثمان باشا. ووجدت فى أسفله معالم لبعض المبانى القديمة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فأنه كثيرًا ما كان يستعان فى بناء بعض المنشآت بقطع أثرية منزوعة من عمائر سابقة، فقد سجل الطبيب «جوناثان كودرى» الذى بقى أسيرًا فى قلعة طرابلس من سنة ١٨٠٣م حتى سنة ١٨٠٥م يومياته وملاحظاته عن مدينة طرابلس، ومن ضمنها أنه شاهد فى صحن المنزل الذى يسكنه الضباط الأمريكيين الأسرى تسعة أعمدة من الرخام، كما يوجد فى العديد من المنازل أعمدة إغريقية ورومانية دون معرفة قيمتها أو تقديرها[٢].

(١) التجانى (ابو محمد عبد الله): الرحله ـ ص ٢٥١.

(٢) مركز جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالى: يوميات الطبيب جوناثان كودرى فى قلعة طرابلس الغرب ـ ١٨٠٣ ـ ١٨٠٥م. ترجمة وتعليق د. عبد الكريم أبو شويرب. طرابلس ١٩٨٢. ص ٧٨.



العمارة الدينية فى طرابلس

مقدمة:

تتميز مدينة طرابلس بكثرة مساجدها، فقد أجمع معظم الرحّالة الذين زاروا المدينة فى عصور مختلفة أن «مساجد البلد لا تحصى كثرة وتكاد تناهز الدور عدة». إلا أن هذه المساجد قد هدمت أو أعيد بناؤها، أو جددت، نتيجة لما أصابها من دمار على أثر سقوط المدينة أكثر من مرة تحت الحكم الأجنبى من قبل بعض الدول الأوربية، ومن ذلك على سبيل المثال - ما تعرض له جامع الناقة، الذى يرجع إلى العصر الفاطمى - من تقويض على أيدى الأسبان عندما تمكنوا من إحتلال طرابلس سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م.

لذلك فإن معظم المساجد الباقية بمدينة طرابلس ترجع إلى فترة العصر العثمانى الأول، والعصر القرمانلى، والعصر العمانى الثانى، وذلك لأن طرابلس كانت تشكل فى تلك الفترة قوة مهيبة الجانب، تسعى الدول الأوربية إلى كسب ودها، وعقد الإتفاقيات معها، بالإضافة إلى ما كان يرد إلى حكام طرابلس من مكاسب وغنائم نتيجة للنشاط البحرى للإسطول الطرابلسى، مما أدى بالتالى إلى الإهتمام بتشييد العمائر، أو إصلاح وترميم العمائر السابقة. وتشكل عمائر تلك الفترات مرحلة جديدة متميزة فى تطور فن العمارة والزخرفة فى طرابلس، وهوما سنتعرف عليه فى هذا الفصل من خلال عرض نماذج مختلفة من العمائر الدينية فى طرابلس من مساجد جامعة ومساجد صغيرة ومدارس والتعرف على النمط التخطيطى لكل منها، وأهم الوحدات والعناصر المعمارية التى تشتمل عليها، والمعالجات الزخرفية لكل منها، مع دراسة تحليلية لكل من هذه العناصر المعمارية والزخرفية لمعرفة أصولها ومظاهر التأثير فيها.

١ـ المساجد الجامعة.

ـ جامع درغوت باشا:

يقع بمحلة باب البحر، وتطل واجهاته الثلاث على كل من شارع جامع درغوت، وزنقة درغوت، وشارع الميناء. وقد أنشأه درغوت باشا الذى كان من أبرز ملاحى إسطول السلطان سليمان القانونى[١]. وفى سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م تمكن من فتح طرابلس وإنتزاعها من إيدى فرسان القديس يوحنا، إلا أنه لم يكن أول والٍ عثمانى على طرابلس، حيث تولى مراد أغا ولاية طرابلس، إلى أن تم تولية درغوت باشا، وكان ذلك سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م[٢]. وقد إتخذ درغوت من طرابلس قاعدة لنشاطه البحرى فى البحر المتوسط إلى أن توفى سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م فى جزيرة مالطة التى يوجد بها مكان يطلق عليه حتى الآن «رأس درغوت» يعتقد أنه المكان الذى توفى فيه، إلا أنه دفن فى الضريح الملحق بجامعه فى طرابلس[٣]. وقد إهتم درغوت بتحصين مدينة طرابلس، كما بنى قصراً ليقيم فيه، وأنشأ الجامع الذى نتناوله بالدراسة.

الوصف المعمارى للجامع:

نتيجة للإضافات التى طرأت على الجامع فقد أصبح شكله الخارجى غير منتظم الأضلاع، كما أصبح بيت الصلاة على شكل حرف T. وأتبع فى تخطيطه الإسلوب الشائع فى عمارة المسجد الليبى فى العصر العثمانى الأول، والتى كانت بدايتها الحقيقية فى هذا الجامع، وذلك من حيث تقسيم بيت الصلاة بواسطة بوائك من العقود التى تمتد موازية ومتعامدة على جدار القبلة، وترتكز على أعمدة، إلى بلاطات مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية. وتقسم البائكات بيت الصلاة إلى ٣٢ بلاطة مربعة مغطاة بقباب (شكل ١).

---

(١) حسين لبيب: تاريخ الأتراك العثمانيين. الجزء الثانى ـ القاهرة ـ ١٩١٧ ـ ص ٨٧.

(٢) الطاهر احمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى لليبيا. ص ٢٧٢.

(٣) ابن غلبون (ابو عبد الله محمد)؛ التذكار. ص ٩٨.

ويتميز جامع درغوت بأن محرابه مغطى ببلاطات خزفية حديثة الصنع، وذلك لأن هذا الجزء م البناء قد أضيف للجامع فى تاريخ لاحق، ويبدوأن المحراب الأصلى للجامع كان مغطى أيضًا ببلاطات من القاشانى، يستدل على ذلك من المحراب القديم والذى يوجد فى السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة فى الجهة المقابلة للقبلة، حيث أنه مغطى ببلاطات خزفية مجلوبة من تونس، وتشتمل على زخارف نباتية موضوعة داخل أشكال معقودة. ويتضح فى زخارف هذه البلاطات التأثير بالفن العثمانى فى إستخدام الأوراق المسننة وأزهار القرنفل وزهرة اللالة، مع إستخدام بعض العناصر الشائعة فى المنتجات الخزفية التونسية فى العصر العثمانى، والتى تظهر فى عمائر تونس فى العصر العثمانى مثل جامع يوسف داى، والبلاطات الخزفية بالجامع الجديد بتونس (صورة ٢).

والمنبر الموجود بالجامع ليس أصيلاً، وإنما مضاف فى تاريخ حديث.

وللجامع مئذنة تعد أقدم المآذن العثمانية الباقية بمدينة طرابلس، إذ ينسب بناؤها إلى إسكندر باشا، وذلك فى سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٤٠م (صورة ٣) وتتكون من قاعدة مربعة يرتكز عليها بدن إسطوانى فى طابقين تفصل بينهما شرفة مستديرة، ويتوج المئذنة قمة مخروطية مدببة. ويخلو بدن المئذنة من أى زخارف، ولكن كانت مثبتة عليه مزولة لتحديد أوقات الصلاة، والإشارة إلى ذلك إلى بقية مآذن المدينة عن طريق رفع راية على المئذنة عندما يحين وقت كل صلاة. وقد سارت مآذن طرابلس خلال العصر العثمانى على هذا الطراز الإسطوانى للمآذن مثل مئذنة جامع سيدى سالم المشاط (صورة ٦) ومئذنة مسجد محمود، ومئذنة جامع خليل باشا (صورة ١١) ولم يخرج عن ذلك إلا جامع محمد باشا شائب العين التى إتخذت الشكل المثمن، وساد هذا الشكل المثمن فى العصر القرمانلى والعصر العثمانى الثانى.

ويلحق بالجامع عدة ملحقات من أهمها حجرة الشعرة النبوية الشريفة التى يحتفظ فيها بشعرة من شعر الرسول (ص). كما يلحق بالجامع أربعة أضرحة

وثلاثة مدافن، أهمها الضريح الذى يضم رفاة درغوت باشا ومجموعة من أفراد أسرته وبعض حكام مدينة طرابلس من العثمانيين، ويقع هذا الضريح خلف جدار القبلة، وهو عبارة عن حجرة مربعة مغطاة بقبة نصف كروية محمولة على مثلثات كروية مقلوبة. ومن الجدير بالذكر أن ضريح درغوت يحظى بإهتمام العثمانيين لما كان لدرغوت من دور بارزفى حركة الفتح العثمانى، وتقوم السفارة التركية بطرابلس بتجديد كسوة الضريح سنويًا.

ومن الأضرحة الهامة بجامع درغوت ضريح محمد باشا الساقزلى. ويوجد باب الضريح فى الواجهة التى تطل على شارع الميناء. وهو أيضًا عبارة عن حجرة مربعة مغطاة بقبة نصف كروية، ويوجد على مدخلها لوحة تشير إلى إسم محمد باشا الساقزلى. كما يوجد مدفن فى الفناء الخلفى للجامع حيث كان هذا المكان مخصصًا لدفن الدايات والباشوات من حكام طرابلس حتى أنشأ عثمان باشا الساقزلى مدرسته بطرابلس، وخصص بها مدفنًا لأفراد الحامية العثمانية بطرابلس. ويعتبر وضع الضريح خلف جدار القبلة من الظواهر المعمارية التى إستحدثت فى ذلك الجامع وصارت تقليداً متبعًا فى عمارة العصر العثمانى الأول والعصور اللاحقة، حيث أصبح يدخل إلى الضريح من باب فى جدار القبلة. وفى ضريح درغوت باشا يوجد باب آخر من الفناء الخلفى للجامع. ومن أهم التجديدات التى طرأت على الجامع تجديد على بك للجامع سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م والمثبت على لوحة أعلى إحد مداخل بيت الصلاة فى الجهة الشمالية الغربية. كذلك جدد الجامع بعد الغارات التى حدثت أثناء الحرب العالمية الثانية، وأدت إلى تدمير أجزاء كبيرة من الجامع[١]. كذلك تم تجديد الجامع فى أواخر سنة ١٩٩٢م.

ـ جامع الناقة:

يقع بشارع الفنيدقة بمدينة طرابلس القديمة. وقد إختلفت الأراء حول تاريخ

(١) للمزيد عن جامع درغوت، أنظر:
صلاح احمد البهنسى: العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول ـ مخطوط رسالة دكتوراه ـ كلية الآثار جامعة القاهرة ـ ١٩٩٤ ـ ص ص ٢٥ ـ ٣٧.

بناؤه، ويعتقد البعض أن أصل البناء كان بعد فتح عمرو بن العاص لطرابلس[١]. بينما يذهب البعض أن العبيديين بنوه بعد تأسيسهم لاولتهم فى إفريقية (تونس)، فى حين يرى فريق آخر أنه بنى عندما زار المعز الفاطمى طرابلس وهو فى طريقه إلى مصر، حيث بركت ناقته فى هذا المكان فأعطى أهلها كمية كبيرة من الدنانير ليبنى بها جامع فى نفس المكان.

ولكن البناء الأصلى للجامع لم يبق منه إلا آثار قليلة جداً، وذلك لأنه هدم بعد هجوم الأسبان على طرابلس سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م[٢]. وتم تجديد الجامع على أيدى حاكم طرابلس العثمانى «صفرداى» وذلك سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، كما تشير إلى ذلك لوحة التجديد المثبتة على أحد الأبواب بواجهة الجامع (شكل ٢). وصفرداى هو أول من تلقب بلقب داى من الحكام العثمانيين لطرابلس، وذلك لأنه لم يعين من قبل السلطان العثمانى ويحصل على لقب باشا، أو أمير ميران، كما كان متبعًا، وإنما تم تعيينه عن طريق الحامية الإنكشارية فى طرابلس لذلك لقب بلقب «داى».

الوصف المعمارى للجامع:

يتكون الجامع من بيت صلاة على شكل مستطيل تتخلل جدرانه خمس فتحات أبواب تختلف فى إتساعها وفى أشكال العقود التى تتوجها، كما تتخلل جدار بيت الصلاة سبع فتحات نوافذ معقودة بعقود مستقيمة. أما من الداخل فإن بيت الصلاة مقسم بواسطة بائكات إلى سبعة أروقة موازية لجدار القبلة، وسبعة أروقة متعامدة على جدار القبلة، وذلك بواسطة ست بوائك من العقود الموازية والمتعامدة على جدار القبلة يتكون كل منها من سبعة عقود مختلفة

(١) Revoira (G.T); Muslim architecture. its Origins and Development. Oxford. 1981. P. 174.

(٢) ميسانا (غاسبرى)؛ المعمار الإسلامى فى ليبيا. ترجمة على الصادق حسنين ـ طرابلس ١٩٧٣ ـ ص ص ١٦٥ ـ ١٦٦. (وتشبه قصة الناقة هذه ما ورد عن مسجد الرسول (ص) بالمدينة حيث اختط فى المكان الذى بركت فيه ناقته المسجد، انظر: أحمد فكرى: عوامل الوحدة فى الآثار الإسلامية فى البلاد العربية ـ المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦١ ص ٢٦٩.

الأشكال كما تختلف أحجام وأشكال الأعمدة التى ترتكز عليها هذه العقود، وكذلك تيجان الأعمدة. ويغطى بيت الصلاة إثنتا وأربعون قبة نصف كروية محمولة على مثلثات كروية مقلوبة، بينما يغطى الرواق الأخير قبو طولى (شكل ٣). ويتوسط المحراب جدار القبلة وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد نصف دائرى يرتكز على عمودين، وإلى يمين المحراب توجد حنية أخرى أقل إتساعًا وعمقًا عن حنية المحراب، ولكنها أكثر إرتفاعًا. ويعتقد بعض الباحثين أن هذه الحنية كانت المحراب الأصلى للجامع. ولكنى لا أتفق مع هذا الرأى، ولكنها كانت مكان المنبر، وذلك لأن المحراب الحالى يقابل باب الدخول وعلى نفس محورة كما هو متبع فى عمارة المساجد. ويتقدم بيت الصلاة من الجهة الجنوبية الغربية صحن أوسط مكشوف على شكل مستطيل تتوسطه بركة ماء، ويحيط به أربع ظلات تتكون كل منها من رواق واحد، بينما جهة القبلة كانت من رواقين، هدم أحدهما فى أثناء الحرب العالمية الثانية، فأصبح من رواق واحد (شكل ٣) وتلاصق المئذنة الجدار الشمالى الشرقى لبيت الصلاة، ويدخل إليها من داخل بيت الصلاة، وهو أمر غير مألوف فى مساجد مدينة طرابلس إلا فى المآذن المسلم التى توجد فى المساجد الصغيرة. ومئذنة جامع الناقة من نوع المآذن المربعة، تلتف حول بدنها من الخارج ثلاثة إطارات بارزة تقسم البدن إلى أربعة أقسام تختلف فى إرتفاعها. وينتهى البدن بشرفة تنتهى بشرافات (صورة ٤).

ومن الجدير بالذكر أن طرابلس عرفت نمطين من المآذن المربعة، يتميز أولهما بمحاكاة مآذن غرب العالم الإسلامى من حيث التكوين المعمارى، بينما يتسم الثانى بالبساطة سواء كان من حيث التكوين المعمارى أو إهمال الجانب الزخرفى. وتنتمى مئذنة جامع الناقة إلى النمط الثانى، ومن أمثلته فى عمائر مدينة طرابلس مئذنة مسجد الكتانى، ومئذنة مسجد سيدى عطية (الفلاح) ومئذنة مسجد بن صابر، كما كانت مئذنة مسجد مولاى محمد التى هدمت سنة ١٩٦٨م على نفس النمط.

وإذا كان طراز المآذن المربعة قد ظهر وأستعمل فى عمائر بلاد الشام، فقد ذكر

المقدسى الذى زار سوريا سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م أن مآذنها تبنى على النمط المربع[١]. وقد تبقت نماذج منها ترجع إلى عصور مختلفة مثل مئذنة المسجد الجامع بحلب ٤٨٢هـ/ ٨٩ ـ ١٠٩٠م، ومئذنة جامع الخضر ببصرى ٥٨٢هـ/ ١١٣٤م ومئذنة العروس بجامع معرة النعمان ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، ومئذنة جامع الدباغة بحلب ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م. وظهرت نماذج له فى شمال العراق ومنها مئذنة جامع الرقا، ومئذنة المسجد الجامع بحران[٢].

لكن هذا النمط من المآذن المربعة أصبح أكثر إنتشاراً فى غرب العالم الإسلامى حيث أصبحت مئذنة جامع عقبة بن نافع بالقيروان نموذجًا سارت على نهجه المآذن فى المغرب والأندلس[٣]. وإذا كان المعمار الليبى قد إقتبس طراز المآذن المربعة من عمارة غرب العالم الإسلامى، إلا أنه لا يلبث أن أضفى على هذا الشكل طابعًا ليبيًا يتميز بالبساطة فى التكوين المعمارى، والخلو من الزخارف.

ـ جامع سيدى سالم المشاط:

أنشأ هذا الجامع رمضان بن عثمان بن ريس، الذى تولى والده حكم طرابلس لفترة وجيزة وذلك سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م ولكن الجامع ينسب إلى سيدى سالم المشاط الذى توفى سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٨٤م[٤] وقد ورد ذكر ضريح ومسجد سيدى سالم فى كتابات العديد من الرحالة، ومنهم العياشى الذى زار طرابلس سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م وذكر «وكان فيها فيما مضى مزارات كثيرة لكثير من أكابر الصالحين، ولا يعرف منهم الآن إلا قليل كسيدى سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذى بأقصى المدينة وقبره يزار[٥]. كما ذكر عبد السلام بن عثمان (ت سنة

(١) المقدسى (ابو عبد الله محمد البشارى)؛ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. ط ٢. ليدن ١٩٠٩ ـ ص ٧٥.

(٢) Creswell, (K.A.C); The evolution of the minaret. (Burling tin magazine. Mars. June 1926). P. 7.

(٣) أحمد فكرى (د)؛ المسجد الجامع بالقيروان ـ القاهرة ـ ١٩٣٦. ص ١١٠.

(٤) أحمد الأنصارى النائب: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان. ط١. بيروت ـ ١٩٦٣ ـ ص ١٨٠، أحمد الأنصارى النائب: النمهل. ص ١٤٨.

(٥) العياشى (عبد الله بن محمد)؛ الرحلة ـ ص ٦٥.

١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) ضريح سالم المشاط، وقال «وقبره بداخل سور المدينة، مما يلي سور البحر قريب منه مشهور[1] كما ذكره المنالى فى رحلته إلى طرابلس سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م عند حديثه عن مزارات طرابلس، فقال «ومنهم سيدى سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذى بأقصى المدينة[2].

يقع الجامع فى الجانب الشمالى الغربى من مدينة طرابلس القديمة فى منطقة القبة، فى مكان مرتفع عن سطح البحر بحوالى ١٧م.

الوصف المعمارى للجامع:

يشغل مبنى الجامع مساحة غير منتظمة الأبعاد نتيجة للإضافات والتعديلات التى حدثت على الجامع فى فترات متعاقبة (شكل ٤) ويشتمل على المسجد القديم الذى بنى فى أثناء حياة سيدى سالم المشاط فى القرن ٩هـ/ ١٥م، وهو عبارة عن مساحة ضيقة لكنها تصبح أكثر ضيقًا فى أحد جانبيها، وتقسمه ١٠ بائكة من عقدين نصف دائريين يرتكزان على عمود أوسط إلى ثلاثة أقسام. ويتوسط الجدار الجنوبى الشرقى من المسجد حنية محراب معقودة بعقد نصف دائرى. وفى الركن الجنوبى الغربى من المسجد توجد حجرة ضيقة بها فتحة ضيقة بالسقف، ويعتقد أنها الخلوة التى كان ينقطع بها سيدى سالم المشاط للتعبد. وتوجد فى مساحة المسجد القديم هذا ثلاث تراكيب قبور، تخلو من الشواهد، ولكن يعتقد أنها لبعض أفراد عائلة سيدى سالم أو بعض أتباعه.

أما المسجد الحالى فأنه عبارة عن مساحة مستطيلة، يدخل إليها من فتحته باب فى المسجد القديم. وينقسم بيت الصلاة إلى ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة، ورواقين عموديين على جدار القبلة، وبالتالى فإن مساحة بيت الصلاة تنقسم إلى ستة أقسام صغيرة مربعة يغطى كل منها قبة نصف دائرية ترتكز على حنايا

(١) الفيتورى (عبد السلام بن عثمان)؛ كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات. طرابلس ـ بدون تاريخ ـ ص ١٤.

(٢) على فهمى خشيم (د)؛ الحاجية من ثلاث رحلات فى البلاد الليبية. ط١ ـ طرابلس ١٩٧٤. ص ص ١٣٠ ـ ١٣١.

ركنية معقودة بعقود نصف دائرية (شكل ٤) ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد نصف دائرى يرتكز على عمودين مندمجين بالجدار، وتبرز كتلة المحراب عن سمت الحائط حيث ترتكز عليها رجل العقد الممتد متعامد على جدار القبلة، كما هو متبع فى العديد من المساجد الصغيرة فى طرابلس. ويقابل المحراب سدة خشبية يصعد إليها من داخل بيت الصلاة، ومن المرجح أنها مضافة حديثًا إلى المسجد، وكذلك المنبر الخشبى.

وفى الجانب الشمالى الغربى من بيت الصلاة يوجد ضريح سيدى سالم المشاط، وتخطيط الضريح على شكل متقاطع، حيث توجد مساحة مربعة وسطى تضم قبر سيدى سالم المشاط، وتغطى هذه المساحة قبة نصف كروية، وعلى كل جانب من جوانب المساحة الوسطى دخلة صغيرة (سدلة). وتتميز قبة ضريح سيدى سالم المشاط عن قباب عمائر طرابلس بأن رقبة القبة تظهر من الخارج، وهى عبارج عن مربع أوجهه مقعرة وليست مستقيمة أو مسطحة كما تتوسط كل ضلع فتحة نافذة (صورة ٥). أما السدلات الجانبية فإنها كانت مخصصة لجلوس أتباع سيدى سالم المشاط لقراءة الأوراد والأذكار الدينية.

وفى الجانب الجنوبى من بيت الصلاة يوجد ضريح المنشئ «رمضان بن عثمان بن ريس» ويؤدى إليه إيوان معقود على كل جانب من جوانبه مصطبة، وأعتقد أن هذا الإيوان كان يستعمل ككتاب لتعليم الصبية. أما حجرة الضريح فإنها مربعة ومغطاة بقبة نصف كروية ترتكز على حنايا ركنية معقودة بعقود قوسية، وقد زخرفت أضلاع مثمن منطقة الإنتقال زخارف جصية عبارة عن أشكال بوائك من العقود الصماء. وهذا النوع من الزخارف شاع فى زخرفة العمائر الدينية والمدنية فى العصر العثمانى الأول، وإنتقل إلى عمائر العصر القرمانلى والعصر العثمانى الثانى وكان أول ظهورها فى ضريح عثمان باشا الساقزلى (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م) ثم الضريح الخاص برمضان بن عثمان بن ريس، ثم جامع خليل باشا (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)، وفى العصر القرمانلى فى جامع أحمد باشا (١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م)، وفى مسجد عمورة محمد فلمنك (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م)، وفى مقبرة

القرمانليين (ق١٢هـ/ ١٨م) وفى المنازل فى العصر القرمانلى والعصر العثمانى الثانى، ومن أوضح أمثلتها فى «فيلا فولبى» التى شيدت فى أواخر العصر القرمانلى. وهذا النوع من الزخارف إن كان قد إنتقل إلى طرابلس من بلاد المغرب الإسلامى، إلا أن تنفيذه إقتصر على الزخارف الجصية القالبية، فى حين نفذ فى بلاد المغرب والأندلس على الحجر والرخام، كما نفذ فى زخرفة الأجزاء السفلى من بواطن المحاريب فى العمارة المملوكية بمصر وبلاد الشام.

وفى الركن الشمالى الغربى من المبنى وإلى جانب المدخل الرئيسى توجد المئذنة وهى وإن كانت على نفس نمط مآذن العصر العثمانى الأول فى طرابلس حيث أنها من قاعدة مربعة يعلوها بدن إسطوانى تتخلله شرفة واحدة، وينتهى البدن بقمة مخروطية مدببة من ستة أوجه، (صورة ٦) إلا أنها تتميز بالقصر، إذ أن إرتفاعها الكلى لا يتجاوز خمسة عشر متراً، فى حين نجد أن المآذن التى ترجع إلى نفس العصر مثل مئذنة مسجد درغوت، ومئذنة مسجد محمود، ومئذنة جامع شائب العين، ومئذنة جامع خليل باشا، تتسم جميعها بالإرتفاع (الصور ٣، ٩، ١١، ١٢، ١٨).

ـ جامع شائب العين:

أنشأه محمد باشا شائب العين الذى تولى حكم طرابلس فى الفترة من سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م حتى سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠١م حيث أطيح به فتوجه إلى مصر[1]، لكنه عاد إلى طرابلس بعد أن تولى صهره خليل باشا الحكم سنة (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م)، وبقى بها إلى أن توفى فى شهر رجب سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م كما يشير شاهد القبر الخاص به، وليس سنة ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م كما ذكرت بعض المراجع[2].

(١) ابن غلبون (أبو عبد الله محمد)؛ المرجع السابق ـ ص ١٥١.
ـ احمد الأنصارى النائب: المنهل ـ ص ٢٨٦، روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق ـ ص ٢٨٦.
ـ مجموعة: ليبيا. تاريخنا ـ الكتاب الخامس ـ ص ٥٧.
(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق ص ص ٦ ـ ٧، مجموعة: المرجع السابق ـ ص ٥٧.

وكان الإهتمام بعمران مدينة طرابلس من أكثر إهتماماته، حيث قام بإصلاح وتحصين أسوار وقلعة المدينة، كما جدد بناء سوق الترك وسوق الحرير، إلا أن من أهم إنجازاته المعمارية إنشاء هذا الجامع، الذى يعد من أهم العمائر العثمانية فى مدينة طرابلس وقد شيد الجامع سنة ١١١٠هـ/ ٩٨ - ١٦٩٩م على أيدى ثقته قاربطاق التونسى[١]. وعلى الرغم من إصلاحاته العديدة إلا أنه قد أضر ببعض الآثار الليبية القديمة، وذلك عندما وقع إتفاقية مع فرنسا سنة ١٦٩٣م، أتاحت لها نقل الأعمدة الأثرية من مدينة لبده وغيرها إلى فرنسا، وقد أستعملت هذه الأعمدة فى بناء قصر فرساى وكنيسة سان جرمان فى باريس[٢].

يقع الجامع فى الجهة الشمالية من سوق الترك شمال مدينة طرابلس القديمة، كما تظل الواجهة الشمالية الغربية على سوق الحرير، كما يطل المدخل الجنوبى الشرقى على زنقة شائب العين.

الوصف المعمارى للجامع:

يبدو الشكل العام بصورة غير منتظمة سواء كان ذلك من الخارج، وذلك نظراً لأن الحوانيت التى توجد فى الجدران الخارجية للجامع تقطع إمتداد الواجهات، أو من الداخل نظراً للإضافات والتعديلات التى حدثت فى فترات لاحقة لتاريخ إنشاء الجامع، ومن ذلك الإضافات التى ألحقت ببيت الصلاة فى كل من الجهات الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، ودورات المياه الى أضيفت فى الجهة الشمالية الشرقية.

وتعتبر الواجهة الجنوبية الغربية التى تطل على سوق الترك هى الواجهة الرئيسية للجامع، وتتخللها فتحتى باب تؤديان إلى الجامع، ويعلو أحد هذين المدخلين اللوحة التأسيسية التى تشتمل على تاريخ بناء الجامع سنة ١١١٠هـ. ويظهر الإهتمام واضحًا بالجانب الزخرفى فى هذه الواجهة، ويتمثل فى إحاطة

(١) ابن غلبون: المرجع السابق. ص ١٥٤.
(٢) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق - ص ٢٥٩، Wright (J); OP. cit. P. 56.

فتحات الأبواب والنوافذ بأطر من الرخام المزخرف بزخارف نباتية وهندسية محفورة (صورة ٧) أو فى تكسية الجدران ببلاطات الزليج (القاشانى). (صورة ٨).

أما بيت الصلاة فأنه عبارة عن مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٧م تنقسم بواسطة ثلاث بوائك من العقود تمتد موازية ومثلها متعامدة على جدار القبلة إلى أربعة أروقة موازية، وأربعة أروقة متعامدة على جدار القبلة، ينتج عنها ست عشرة مساحة مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية (شكل ٥).

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد على شكل حدوة الفرس يرتكز على عمودين، وقد زخرفت صنجات العقد بأشكال وريدات متعددة الفصوص حول هلال أوسط بينما يزخرف باطن المحراب أشكال هندسية من أشكال عقود وأهلة ونجوم خماسية بالإضافة إلى شريط كتابى.

ويضم بيت الصلاة منبرًا رخاميًا قسمت ريشتيه بواسطة خطوط رخامية بارزة إلى جامات مربعة تشتمل على أشكال وريدات وأهلة ونجوم خماسية وسداسية ويقابل المحراب سُدة (دكة المبلغ) من الخشب وترتكز على أعمدة خشبية، ويصعد إليها من فتحتى باب فى الجدار الشمالى الغربى لبيت الصلاة.

ومن الظواهر المعمارية المستحدثة فى تكوين بيت الصلاة وجود زيادتين فى كل من الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، وتكون هاتان الزيادتان مع دكة المبلغ شرفة (محفل) يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات فيما عدا جهة القبلة فى الجزء الأعلى من بيت الصلاة.

ويُدخل من فتحة باب فى الطرف الشرقى لجدار القبلة إلى ضريح محمد باش شائب العين، وهو عبارة عن حجرة مربعة تضم سبع تركيبات رخامية بالإضافة إلى التركيبة الرخامية التى تغطى قبر محمد باشا والتى تتميز عن البقية بأنها تنتهى من أعلى بشكل عمامة، وهى من السمات التى تميز كبار الشخصيات فى

العصر العثمانى. وتغطى الضريح قبة نصف كروية ترتكز على حنايا ركنية مقوسة.

وفى الناحية الشمالية من المنشأة إلى جانب المدخل الذى يوجد فى سوق الحرير توجد المئذنة وتتكون من قاعدة مربعة القطاع يرتكز عليها بدن مثمن يزخرف كل ضلع من أضلاعه شكل غائر معقود بعقد حدوة فرس، ويمتد هذا الشكل بطول كل ضلع، وينتهى هذا الطابق من المئذنة بشرفة من ثمانية أضلاع أيضًا، حيث يبدأ منها طابق أخر إسطوانى أقل إرتفاعًا من الطابق الأول، ويصل إرتفاعه ٢,٧٥م، ويتوج هذا الطابق قمة مخروطية من ستة أوجه. (صورة ٩).

وهذه المئذنة هى الوحيدة من مآذن العصر العثمانى الأول فى طرابلس المثمنة البدن ولكنها أصبحت نموذجًا سارت على نهجه مآذن مساجد العصر القرمانلى، ومن أمثلة ذلك مئذنة جامع أحمد باشا القرمانلى، ومئذنة جامع قرجى، وكذلك فى العصر العثمانى الثانى مثل مئذنة جامع ميزران، كما إستمر هذا النمط من المآذن فى ليبيا حتى فترة متأخرة ومن أمثلة ذلك جامع الباشا فى مدينة الخمس التى شيدها رجب باشا سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م[١].

وإذا كانت أقدم نماذج المآذن المثمنة البدن الباقية فى ليبيا تزجع إلى العصر العثمانى الأول، إلا أن هذا الطراز قد وجد قبل ذلك، فقد ذكر البكرى أن بمدينة إجدابيا جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبد الله له صومعة مثمنة بديعة العمل[٢]. وقد كشفت الحفائر التى أجريت بإجدابيا سنة ١٩٧١م عن أساس هذه المئذنة والتى تتكون من قاعدة مربعة يرتكز عليها البدن المثمن[٣] الأمر الذى دفع «المحمودى» إلى إعتبار الطراز المثمن فى مآذن طرابلس فى العصر العثمانى الأول وما تلاه طرازًا محليًا[٤].

(١) مسعود رمضان شقلوف (وآخرون)؛ موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا. جـ١ ـ ص ٢١٠.

(٢) البكرى (ابو عبيد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب. ص ٥.

(٣) هورج بليك (وآخرون)؛ إجدابيا وأول فن المعمار للفاطميين. مجلة ليبيا القديمة. م ٨ ـ طرابلس ١٩٧١. ص ١٧.

(٤) Al - Mahmudy (A); Post fifteenth cen. A.D architecture in Libya. P. 55.

والواقع أن هذا الطراز إذا كان قد ظهرت نماذج متفرقة له فى العمارة الليبية قبل العصر العثمانى، إلا أنه لم ينتشر إلا فى فترات الحكم العثمانى، مثلما عليه الحال فى العمارة الإسلامية فى تونس، حيث ظهر فيها لأول مرة فى فترة الوجود العثمانى، ومن أمثلة ذلك مئذنة جامع يوسف داى (١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) والمئذنة التى أضيفت إلى جامع بن عروس بمدينة تونس (ق١٢هـ/ ١٨م) وفى مئذنة جامع بن زياد، ومئذنة جامع الحلفاويين[١].

ولما كان الطراز المثمن للمئذنة يرتبط ظهوره فى عمارة غرب العالم الإسلامى بالوجود العثمانى فإن وجوده فى العمارة الليبية، وإرتباط ظهوره بجامع شائب العين الذى عهد ببنائه إلى مهندس تونسى ـ كما سبق ذكره ـ فإن ذلك يؤيد أن هذا النمط من المآذن ظهر فى العمارة الليبية بتأثير تونسى متأثر بدوره بالعمارة العثمانية.

ـ جامع خليل باشا:

شيده خليل باشا الذى إختلفت الأراء حول تاريخ توليه ولاية طرابلس الغرب، إلا أن أقربها إلى الصواب هو أنه تولى سنة ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م، وذلك إستناداً إلى ما ورد أنه أعاد صهره محمد باشا من مصر إلى طرابلس التى كان قد طرد منها، وكان ذلك سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، أى أن مقاليد الأمور كانت بيديه فى تلك الفترة.

وقد واجه ثورات أهالى البلاد ضده حتى إضطر إلى الهرب إلى سرت، ثم إلى فزان ومنها إلى مصر حيث إستضافه إبراهيم بك حتى سافر إلى القسطنطنية[٢]، فأرسله السلطان أحمد الثالث على رأس حملة بحرية لمقاومة حركة التمرد فى طرابلس، ولكن خليل باشا قتل ورفعت رأسه على حربة إلى

(١) Thiersh (H); Pharos in Antike. Islam und Occident. Leipzig Berlin. 1909. PP. 135 - 136.

(٢) ابن غلبون (أبو عبد الله محمد). المرجع السابق ـ ص ١٥٩.

طرابلس حيث دفن بمقبرة سيدى حمودة، وهناك رأى أنه دفن بالقرب من صبراته[1].

وكان خليل باشا أول من إتخذ الحجاب ولبس الحرير والذهب من حكام طرابلس، كما أنشأ «ضر بخانة» دارسك العملة[2]. ومن أعماله أيضًا إصلاح ترسانة طرابلس، وإنشاء الجامع الذى نحن بصدد الحديث عنه.

ويقع المسجد فى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة طرابلس، خارج أسوار المدينة القديمة، وفى منطقة تعرف بـ «الظهرة» وذلك لإرتفاعها عن مستوى أرض المدينة[3].

الوصف المعمارى للجامع:

يتفق المسجد من حيث التخطيط مع مساجد العصر العثمانى الأول، التى يكون أساس تخطيطها بيت الصلاة محاط بصحن مكشوف من أكثر من جهة، حيث تؤدى فتحة باب فى الجدار الشمالى الغربى إلى فناء مكشوف، ويقابل فتحة الباب سقيفة من أربعة عقود ترتكز على ثلاثة أعمدة، وتتقدم هذه السقيفة بيت الصلاة (شكل ٦).

ويتكون بيت الصلاة من مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها من الخارج ١٩,٣٠م× ١٥,٢٥م. تتخللها ثلاث فتحات أبواب، إثنتان فى الجهة الشمالية الغربية، وواحدة فى الجدار الشمالى الشرقى. ويعلو أحد الأبواب فى الجدار الشمالى الغربى لوحة تشتمل على النص التأسيسى الذى يشتمل على إسم خليل باشا، وتاريخ التأسيس سنة ١١٢٠هـ.

ويدعم جدار القبلة من الخارج وكذلك الجدار الجنوبى الغربى لبيت الصلاة ثلاث دعامات مائلة فى كل جانب (صورة ١٠).

(١) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق ـ ص ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) أحمد الأنصارى النائب: المرجع السابق ـ ص ٢٩٤.

(٣) الطاهر أحمد الزواى: معجم البلدان الليبية. طرابلس ـ ١٩٦٨ ـ ص ٢٢٤.

أما بيت الصلاة من الداخل فأنه عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها ١٧,٦٠م× ١٣,٥٠م تنقسم بواسطة ثلاث بوائك من العقود إلى أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، كما تمتد ثلاثة أروقة عمودية على جدار القبلة تفصل بينها بائكتين من العقود تتكون كل منها من أربعة عقود (شكل ٦). وقد نتج عن هذا التقسيم وجود إثنتا عشرة مساحة مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية ترتكز على حنايا ركنية معقودة بعقود قوسية.

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد نفص دائرى يرتكز على عمودين من الرخام. وفى الجهة الشمالية من مبنى الجامع توجد المئذنة، وتختلف فى طرازها عن مآذن مساجد طرابلس، وتتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن إسطوانى ينتهى بشرفة لا تبرز عن سمت البدن ولكنها بنفس إتساعه. ويتوسط الشرفة جوسق مثمن، فى كل ضلع من أضلاعه فتحة نافذة، إحداها فتحة باب، ويعلو هذا الجوسق المثمن مثمن آخر أقل منه فى المساحة ترتكز عليه القمة الخشبية المدببة، والتى تتميز عن قمم مآذن مساجد مدينة طرابلس بإرتفاعها. (صورة ١١).

وهذه المئذنة وإن كانت تتفق مع مآذن مساجد مدينة طرابلس فى بعض الخصائص مثل الشكل الإسطوانى الذى وجد فى مئذنة جامع درغوت، ومئذنة جامع سيدى سالم المشاط، ومئذنة مسجد محمود، وكذلك فى خلو البدن من الزخارف إلا تغطية أجزاء بسيطة منه بالبلاطات الخزفية، وإشتمال المئذنة على شرفة واحدة فقط، والقمة المدببة المتأثرة بطراز المآذن العثمانية، إلا أن هذه المئذنة تنفرد ببعض الخصائص التى لا توجد فى غيرها من مآذن ذلك العصر فى طرابلس، ومن ذلك إتساع محيط البدن، وأن الشرفة جزء من البدن ولا تبرز عنه، وكذلك فى وجود أكثر من فتحة نافذة فى الجوسق الذى يعلو البدن، شبيهة فى ذلك بما هو متبع فى طراز المئذنة السلم التى يستعاض فيها بالفتحات لتوجيه الآذان بدلاً من الشرفة، ومن أمثلة ذلك مسجد بن سليمان. ومن مظاهر الإختلاف أيضًا أن قمم مآذن العصر العثمانى الأول فى طرابلس تتكون من قمة

من ستة أوجه قطاعها مدبب، بينما فى جامع خليل باشا فإن القمة مخروطية مدبية تتميز بإرتفاع واضح.

ومن المرجح أن هذه المئذنة كان لها دور دفاعى إلى جانب وظيفة الآذان، وذلك لإرتفاعها ووجودها فى مكان مرتفع فى المدينة تشرف منه على البحر والمدينة أيضًا مما يسهل مراقبة كل منهما من أعلى المئذنة، الأمر الآخر أن الجزء العلوى لا يشتمل على فتحة باب فقط يخرج منها إلى الشرفة، كما هو المتبع فى كل مآذن مدينة طرابلس، ولكنها تشتمل على عدة فتحات فى مختلف الإتجاهات، وهذا الأمر موجود فى المآذن التى تؤدى دورًا دفاعيًا مثل مئذنة رباط المنستير فى تونس، وكذلك منارة رباط سوسة[1].

- جامع أحمد باشا القرمانلي:

يقع وسط مجموعة من أسواق مدينة طرابلس القديمة، فى الجهة الجنوبية الغربية من قلعة طرابلس (السراى الحمراء)، وتطل واجهة الجامع الشمالية الشرقية على سوق المشير، وتطل الواجهة الشمالية الغربية على سوق الرباع، وفى الجهة الجنوبية الشرقية يوجد سوق العطارة، وفى الناحية الجنوبية الغربية سوق النساء (صورة ١٢).

ويقال أن المكان الذى يشغله جامع أحمد باشا كان يضم من قبل مساكن جنود الإنكشارية من الترك ومكان إجتماعاتهم، كما كان يوجد بنفس المكان مسجد يعرف بمسجد الديوان[٢].

وقد بنى الجامع أحمد باشا القرمانلى الذى إستطاع الإستقلال بحكم طرابلس إستقلالاً إسميًا عن الدولة العثمانية، وأسس الدولة القرمانلية التى إستمرت تحكم طرابلس من سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م وحتى سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م. وتشير اللوحات التأسيسية والكتابات التى تتوزع فى أجزاء كثيرة من الجامع، ومن

(1) Marc, ais (G); Manual. Tome. 1. P. 334.

(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٧٩.

أهمها اللوحة التى تعلو المدخل الرئيسى فى الجدار الشمالى الشرقى والمكتوبة بخط الثلث المغربى، وهى تلك اللوحة التي علي المدخل فى الناحية المطلة على سوق المشير أن الجامع أنشئ سنة ١١٤٩هـ/ ٣٦ ـ ١٧٣٧م.

الوصف المعمارى للجامع:

يعد الجامع من أهم مساجد مدينة طرابلس ومن أكبرها مساحة، إذ يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها ٥٣×٤٩م. كما أنه يعد من أول نماذج المجمعات المعمارية فى العمارة الليبية، إذ أنه يضم إلى جانب بيت الصلاة مدرسة فى طابقين وضريح المنشئ ومدفن لأفراد أسرته وسبيل. كذلك فأن الجامع من أغنى مساجد طرابلس زخرفة حيث تزخرف جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج حتى إرتفاع مآخذ العقود بلاطات خزفية متنوعة فى زخارفها ومصادرها، إذ أن بعضها مجلوب من تركيا، والبعض من تونس، والبعض أوربى الصنع (صورة ١٣).

ويعلو التكسية الخزفية زخارف جصية دقيقة من زخارف نباتية وهندسية وكتابات منفذة بطريقة «نقش حديدة» الشائعة فى إعداد الزخارف الجصية فى عمائر مناطق شمال أفريقيا، وتمتد هذه الزخارف وتغطى الأجزاء العليا من جدران بيت الصلاة ومناطق إنتقال القباب وبواطنها.

ونظرًا لهذا الثراء المعمارى والزخرفى الذى يتمتع به الجامع، فقد نال إعجاب كل من شاهده من الرحالة، فقد أثنت عليه «توللى» التى عاشت عشرة أعوام فى طرابلس. أما الرحالة أبو العباس أحمد بن محمد الفاسى الذى زار طرابلس سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٦م أى بعد بناء الجامع بما يزيد عن نصف قرن من الزمان، فقد ذكر أن الجامع «غاية لم ير مثله»[(١)].

ويشغل بيت الصلاة مساحة مربعة طول ضلعها ٢٣م، تنقسم بواسطة أربع بوائك من العقود موازية لجدار القبلة، وأربع بوائك عمودية على جدار القبلة

(١) على فهمى خشيم (د): الحاجية من ثلاث رحلات فى البلاد الليبية ـ ص ١٤٥.

إلى خمسة أروقة موازية وأخرى متعامدة على جدار القبلة، ينتج عنها وجود خمس وعشرين مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية (شكل ٧).

وترتكز القباب على مناطق إنتقال مثمنته تم الإنتقال إليها عن طريق مثلثات كروية مقلوبة فيما عدا القبة التى تغطى مربعة المحراب فإنها ترتكز على حنايا ركنية. وتتميز قبة المحراب والقبة التى تقابلها بأنهما أكثر إرتفاعًا عن بقية القباب، كما أنهما مضلعتان من الخارج بضلوع بارزة شبيهة بتضليعات القباب فى مدرسة عثمان باشا الساقزلى بطرابلس والتى ترجع إلى العصر العثمانى الأول.

ويشتمل الجامع على محراب مجوف يكسو الجزء الأسفل منه بلاطات خزفية، أما الجزء الأعلى فانه مغطى بزخارف جصية دقيقة عبارة عن أشكال نجمية متداخلة تشتمل على زخارف دقيقة، ويفصل بين الجزئين شريط كتابى يتضمن الآية الكريمة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله فنتين». (صورة ١٤).

أما المنبر فأنه من الرخام الملون الملبس بقطع من المرمر تكون زخارف نباتية منفذة حسب طراز الرومى المتبع فى زخرفة المنتجات الفنية العثمانية، وتمتد هذه الزخارف على ريشتى المنبر، ويغطى الجوسق قبة معدنية مقامة على أربعة أعمدة.

ويحيط بالجزء العلوى من بيت الصلاة فوق تيجان الأعمدة من ثلاث جهات فيما عدا جدار القبلة شرفة خشبية يحيط بها سياج من برامق من الخشب الخرط (صورة ١٥). وهذا التقليد فى عمل الشرفة الداخلية (المحفل) وجد فى العديد من المساجد الجامعة فى بلدان المغرب إبان العصر العثمانى، متأثرة فى ذلك بالعمارة العثمانية. ومن أمثلة مساجد شمال أفريقيا التى تشتمل على الشرفة الداخلية جامع بسنين فى الجزائر ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، وجامع حمودة باشا بمدينة تونس ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م، وتعتبر شرفة جامع أحمد باشا لاحقة لهذه النماذج، كما أنها من العناصر التى أنشئت عند بناء الجامع وليست مضافة فى تاريخ لاحق

حيث أنها تشتمل على كتابة تشير إلى صانعها وهو الحاج محمد بن على مزاد الشريف، وتاريخ عملها فى ربيع الثانى سنة ١١٥٠هـ (أبريل ١٧٣٨م)(١).

المئذنة: تقع فى الجدار الشمالى الشرقى على يمين المدخل الرئيسى، وتتكون من قاعدة مربعة يقوم عليها بدن مثمن يزخرف كل ضلع من أضلاعه أشكال مستطيلات معقودة تمتد بطول البدن، يعلو هذا الطابق شرفة مثمنة تستند على كوابيل حجرية، وينتهى بدن المئذنة بقمة مخروطية مدببة من الخشب (صورة ١٢) ويوجد على المئذنة كتابة تتضمن تاريخ بنائها فى سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م.

وهذه المئذنة وإن كانت مشابهة لمئذنة جامع شائب العين التى ترجع إلى نهاية العصر العثمانى الأول، وذلك من حيث الشكل المثمن للبدن، وزخرفة البدن بأشكال معقودة إلا أن هذه المئذنة تختلف عنها فى أن الشرفة تستند على كوابيل.

وفى الجهة الجنوبية الغربية من بيت الصلاة وخلف جدار القبلة توجد حجرتان، يغطى إحداهما قبة نصف كروية، وهى خاصة بضريح المنشىء. يتصل بها حجرة أخرى مغطاة بقبو متقاطع، مدفون فيها بعض أفراد الأسرة القرمانلية. ويغطى جدران هاتين الحجرتين بلاطات خزفية وزخارف جصية شبيهة بزخارف بيت الصلاة ومنفذة بنفس الإسلوب (نقش حديدة) (صورة ١٦).

ويلحق بالجامع مدرسة فى طابقين تعد أقدم مثال باق للمدارس الملحقة بالمساجد فى العمارة الليبية. وتحتل المدرسة الركن المحصور بين الضلع الشمالى الغربى والضلع الجنوبى الغربى من الصحن (شكل ٧). وتشبه هذه المدرسة فى تخطيطها مدرسة عثمان باشا الساقزلى التى سنتناولها لاحقًا، إلا أنها تتميز بأنها من طابقين(٢).

(١) El - Mahmoudy (A); OP. cit. P. 87.

(٢) للمزيد عن جامع أحمد باشا، أنظر:

- ميسانا (غاسبرى)؛ المرجع السابق - ص ص ١٨٣ - ١٩٤.

- Warfilli (M.S); Tripoli. PP. 11 - 12.

- مسعود رمضان شقلوف، وآخرون: المرجع السابق - ص ص ٩٨ - ١٠٧.

ـ جامع قورجى:

يقع بشارع الأكواش بمدينة طرابلس القديمة بالقرب من قوس ماركوس أوريليوس، وتطل واجهته الشمالية الشرقية على زقاق الزنقة الضيقة. وقد أنشأ هذا الجامع مصطفى قورجى قائد الإسطول الطرابلسى فى عهد يوسف باشا القرمانلى الذى كان صهراً له. وتم الإنشاء فى سنة ١٢٤٩هـ/ ٣٣ ـ ١٨٣٤م كما تدل على ذلك اللوحة التأسيسية التى تعلو المدخل الرئيسى للجامع.

وعلى الرغم من أن مصطفى قورجى لم يكن حاكما لطرابلس، إلا أن عمارته لهذا الجامع فاقت عمارة الحكام السابقين له، فهذا الجامع يعد من أجمل مساجد مدينة طرابلس وأكثرها ثراء زخرفيًا.

الوصف المعمارى للجامع:

يماثل جامع قورجى جامع أحمد باشا فى عدة أشياء منها طراز التخطيط لبيت الصلاة وكسوة جدران بيت الصلاة بالبلاطات الخزفية والزخارف الجصية، وفى الحاق مدرسة بالجامع مكونة من طابقين مشابهة فى تخطيطها لمدرسة جامع أحمد باشا (شكل ٨). ولكنه يختلف عن جامع أحمد باشا فى أنه لا يشتمل على مدفن وذلك لصغر مساحته. ويتكون بيت الصلاة من مساحة مربعة طول ضلعها ١٨م تنقسم بواسطة ثلاث بائكات من العقود التى تمتد موازية لجدار القبلة، وثلاث بائكات تمتد متعامدة على جدار القبلة إلى ست عشرة مساحة مربعة يغطى كل منها قبة نصف كروية محمولة على حنايا ركنية محارية الشكل ومزخرفة بزخارف جصية دقيقة (شكل ٨).

وتتكون البائكات من عقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة من الرخام وتتوجها تيجان دورية الطراز تشتمل على عنصر البيضة والسهم.

وبين القباب التى تغطى بيت الصلاة أربع قباب أكثر إرتفاعًا وهى القبة التى تغطى بلاطة المحراب، والقبة التى تغطى بلاطة المنبر، وكذلك القبة التى تغطى البلاطة المواجهة لبلاطة المنبر، والقبة التى تغطى السدة الخشبية.

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يكسو الجزء السفلى منه بلاطات خزفية، بينما يشتمل الجزء الأعلى على زخارف جصية عبارة عن أشكال نجمية فى طاقية المحراب تخرج منها خطوط إشعاعية تشتمل على زخارف نباتية دقيقة حول أشكال زهور ملونة بالأحمر والأزرق واشكال نجوم خماسية صغيرة ملونة (صورة ١٧) ويتوج حنية المحراب عقد نصف دائرى يرتكز على أربعة أعمدة من الرخام.

ويواجه المحراب والمنبر الشرفة الخشبية الداخلية والتى تزخرفها أشكال بوائك من العقود الصماء ترتكز على أعمدة فى صفين يعلو أحدهما الآخر.

وتتشابه مئذنة جامع قورجى مع مئذنة جامع أحمد باش القرمانلى فى عدة مظاهر، منها أنها تتكون من بدن مثمن تزخرف كل ضلع من أضلاعه شكل مستطيل معقود بعقد على شكل حدوة الفرس، وفى أن الطابق الأول من المئذنة يحدده من أسفل وأعلى حشوات من بلاطات خزفية، وفى أن شرفتى المئذنة تستند على كوابيل حجرية. إلا أن مئذنة جامع قورجى تتميز بأنها أكثر إرتفاعًا عن مئذنة جامع أحمد باشا، كما أنها من أكثر مآذن مساجد مدينة طرابلس القديمة إرتفاعًا، وتنفرد مئذنة جامع قورجى بأنها الوحيدة بين مآذن طرابلس القديمة التى تشتمل على شرفتين للآذان وليست شرفة واحدة، والشرفة السفلى أكثر إتساعًا عن العليا، كما أن الشرفة السفلى مثمنة بينما العليا من إثنى عشر ضلعًا (صورة ١٨).

ويعد جامع قورجى من أكثر جوامع مدينة طرابلس زخرفًا، ويتمثل ذلك فى عدة مظاهر، منها:

- الكسوة الخزفية التى تغطى جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج والتى تشتمل على عدة موضوعات زخرفية، من أهمها تصميم زخرفى عبارة عن عقد مدبب فى أعلى، وعقدين من شكل حدوة الفرس مدبب فى الجزء الأسفل، ويضم العقد الأعلى شكل مسجد مغطى بقبة مدببة القطاع ومزخرفة بزخارف نباتية، وعلى كل جانب من جوانب المسجد ترتفع خمس مآذن ويخرج من بعضها أشكال أعلام مرفرفة، أما العقدان فى الجزء الأسفل فأنهما يشتملان على زخارف نباتية متنوعة (صورة ١٩).

ومما يجدر ذكره أن مثل هذا التصميم فى البلاطات من الموضوعات الشائعة فى زخرفة العمائر التى ترجع إلى الفترة الأخيرة من العصر القرمانلى، حيث كانت تستخدم فى العمائر المدنية والدينية. وهذا النوع من البلاطات كان يستورد من تونس حيث كان يصنع فى القلالين ونابل، ووردت على بعضها توقيعات الصناع مثل «الخميرى» الذى يعد من أكثر صناع البلاطات الخزفية شهرة فى تلك الفترة.

ومن الزخارف التى تنتشر فى جامع قورجى الزخارف الجصية القديمة التى تغطى الأجزاء العليا من الجدران ومناطق إنتقال القباب وبواطن القباب أيضًا، ومن نماذجها تصميم عبارة عن أشكال من عقود ثلاثية الفصوص، تضم بداخلها تشكيلات هندسية من خطوط مجدولة، يخرج منها شكل عقد مدبب ينعقد فى أشكال خمسة معينات متقاطعة. ويفصل بين العقود أشكال قلبية تشتمل على زخارف مخرمة عبارة عن أشكال مثلثات صغيرة ودقيقة، ويملأ الفراغات بين هذه العناصر زخارف نباتية متشابكة (أربيسك) (صورة ٢٠).

ومن الزخارف المتميزة فى جامع قورجى الزخارف الرخامية المنفذة بالحفر والملبسة بقطع من الرخام الملون. ونجد أمثلة لها فى عضادات وعقود فتحات الأبواب وكوشات العقود، وتشتمل على زخارف نباتية من وريدات وأوراق من أنصاف مراوح نخيلية (صورة ٢١). ونجد مثل هذه الزخارف على ريشتى المنبر.

ويشتمل الجامع على زخارف منفذة بالطلاء على الخشب فى سقف السدة الخشبية، وهى عبارة عن أربعة مثمنات داخل بعضها، يضم الأصغر منها تصميم زخرفى عبارة عن شكل نجمى من ثمانى رؤوس، ويشغل الفراغ بين إضلاع المثمنات الأربعة زخارف هندسية ونباتية دقيقة (صورة ٢٢)، وتعد زخارف هذه السدة من أجمل نماذج الزخرفة على الخشب فى العمارة الليبية[1].

* * *

(١) عن جامع قورجى، أنظر:

- Aurigemma (S); La Moschea di Curgi di Tripoli. (Africa Italiano. Bergama - 1928).

ـ ميسانا (غاسبرى)؛ المرجع السابق ـ ص ص ١٩٥ ـ ١٩٨.

ـ مسعود رمضان شقلوف، وآخرون: المرجع السابق ـ ص ص ١٠٨ ـ ١١٢.

وإلى جانب بيت الصلاة والمدرسة فإن جامع قورجى يضم ضريحًا يعد من أجمل نماذج الأضرحة فى العمارة الإسلامية بطرابلس. وهو عبارة عن مساحة مربعة تقع فى الجانب الغربى من المنشأة، وخلف جدار القبلة، ويدخل إليها عن طريق نافذتين منخفضتين فى جدار القبلة تستعمل كأبواب. ويتميز الضريح بأنه مغطى بقبة مضلعة من ستة عشر ضلعًا، شبيهة فى ذلك بقباب مدرسة عثمان باشا الساقزلى، وقباب جامع أحمد باشا القرمانلى.

ونلاحظ فى جامع قورجى أنه جاء متمشيًا مع الطراز المعمارى المميز للعصر القرمانلى، ومتأثرًا فى كثير من عناصره المعمارية والزخرفية بجامع أحمد باشا القرمانلى، إلا أنه جمع بين خليط من الطرز المعمارية والفنية التى يتضح فيها تأثره بالعمارة العثمانية، بالإضافة إلى ظهور العديد من مظاهر التأثر بالفنون الأوربية وبصفة خاصة فى الزخارف. وكانت مثل هذه التأثيرات قد ظهرت فى عمارة مدرسة عثمان باشا الساقزلى، التى ترجع إلى النصف الثانى من القرن ١١هـ/ ١٧م، إلا أنها أصبحت أكثر ظهورًا فى عمارة العصر القرمانلى، نتيجة للصلات بين طرابلس وأوربا.

٢ـ المساجد الصغيرة:

بالإضافة إلى المساجد الجامعة فإن مدينة طرابلس تضم عددًا كبيرًا من المساجد الصغيرة التى ترجع إلى عصور مختلفة، وإن كان أغلبها يرجع إلى فترات الوجود العثمانى فى ليبيا، وذلك لأن يد الإصلاح والتجديد إمتدت إلى هذه المساجد وأكسبتها السمات المميزة لعمارة تلك الفترات. إلا أن ما ذكره التجانى الذى زار طرابلس فى العقد الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م، أى قبل العصر العثمانى، وعلى وجه التحديد فى العصر الحفصى، يدل على كثرة المساجد فى المدينة فى تلك الفترة، حيث قال «أن مساجد البلد لا تحصى كثرة وتكاد تناهز الدور عدة»[١].

ومن أهم المساجد الصغيرة الباقية بمدينة طرابلس؛ مسجد بن طابون، ويرجع

(١) التجانى (ابو محمد عبد الله)؛ الرحلة. ص ٢٥٤.

إلى منتصف القرن ١٠هـ/ ١٦م، ويقع بشارع قوس المفتى، ومسجد بن مقيل (بن موسى)، الذى أنشأه أبو عبد الله المكنى فى أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م، ويقع فى شارع كوشة الصفار بمدينة طرابلس القديمة، ومسجد بن جابر الذى أنشأه سيدى بن خليفة فى أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م، ويقع فى منطقة زاوية الدهمانى، ومسجد سيدى الحطاب، الذى أنشئ فى أوائل القرن ١١هـ/ ١٧م، لكن المنشئ مجهول، ويقع المسجد فى زنقة كفالة بشارع كوشة الصفار، ومسجد عطية، الذى أنشئ فى النصف الأول من القرن ١١هـ/ ١٧م، ويقع بشارع قوس السرارعى، ومسجد قلعة طرابلس (السراى الحمراء) الذى تم تجديده فى عهد محمد باشا الساقزلى سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٣م، ويوجد داخل مبنى القلعة، ومسجد بن صوان، ويرجع إلى النصف الأول من القرن ١١هـ/ ١٧م، ويقع بشارع كوشة الصفار، كما يرجع إلى نفس الفترة مسجد العزي ويقع فى محلة حومة غريان، ومسجد بن سليمان الذى أنشأه بن سليمان فى النصف الثانى من القرن ١١هـ/ ١٧م، ويقع فى شارع بن سليمان بمدينة طرابلس القديمة، ومسجد النخلى، الذى أنشأه رمضان خازندار فى سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م بشارع كوشة الصفار بمدينة طرابلس القديمة، ومسجد قنديل، الذى أنشأه أمير البحر مصطفى عبد الله سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، ويقع بمحلة النوفليين، ومسجد الصومعة الحمراء الذى أنشأه أحمد كتخدا سنة ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م، ويقع بشارع السيدى خارج أسوار المدينة القديمة، ومسجد الدباغ، الذى أنشأه أمير البحر محمد الدباغ فى النصف الثانى من القرن ١١هـ/ ١٧م، ومسجد قره بغلى (الريفى) الذى أنشأه القبودان عمر قره بغلى، فى الربع الأخير من القرن ١١هـ/ ١٧م، ويقع فى محلة كوشة الصفار، ومسجد أبو سعيد الذى أنشأه حسن أباطة فى سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، ويقع فى شارع البيك، ومسجد فشلوم الذى أنشأه حسن فشلوم سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، ويقع بالشارع الكبير، ومسجد محمود، أنشأه محمود خازندار سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م، ويقع بشارع محمود، ومسجد القبطان، أنشأه حسين قبودان سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م، ويقع بشارع زاوية

الدهمانى، ومسجد بن الإمام، أنشئ أواخر القرن ١١هـ/ ١٧م، ويقع بحى الظهرة، ومسجد بن لطيف وقد أنشئ فى أواخر القرن ١١هـ/ ١٧م، ومسجد بن طبيب، ويرجع إلى أوائل القرن ١٢هـ/ ١٨م، ويقع بشارع سوق الحرارة.

ونلاحظ من هذا العرض أن معظم هذه المساجد من إنشاء موظفى الولاية مثل الخازندار أو أمير البحر (قبودان) أو غيرهم من الموظفين الذين لا تتوفر لديهم الإمكانيات المادية لإقامة مساجد جامعة. أما من حيث التخطيط المعمارى فقد أمكن من خلال الدراسة تقسيم هذه المساجد إلى أربعة طرز لكل منها خصائصه ومميزاته.. وهى:

- الطراز الأول: يتكون من بيت صلاة غالبًا ما يكون مربع المساحة يقسمه عمود أوسط إلى أربعة أجزاء متساوية يغطى كل منها قبة نصف كروية محمولة على مثلثات أو حنايا ركنية. ولا يلحق ببيت الصلاة أى ملحقات أخرى مثل الصحن أو المرافق، ومن أهم أمثلة هذا الطراز مسجد النخلى (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م). أما إذا كانت أقسام بيت الصلاة غير متساوية فإن التغطية تتم بإسلوبين القباب والأقبية، ومن أمثلة ذلك مساجد بن طابون، والمفتى، وبن سليمان وجميعها ترجع إلى القرن ١١هـ/ ١٧م، كما زود بعضها بمئذنة من نوع السلم مثل مسجد بن سليمان (صورة ٢٣).
- الطراز الثانى: يتكون أيضًا من بيت صلاة يقسمه عمود أوسط إلى أقسام، أو أن يكون على شكل مساحة واحدة مغطاة بقبة. ولكن مما يميز هذا الطراز أن بيت الصلاة تتقدمه فناء صغير مكشوف فى أحد جوانبه ميضأة صغيرة. ومن أمثلة هذا الطراز مسجد الدباغ ومسجد قره بغلى (شكل ٩).
- الطراز الثالث: وفيه أضيف إلى الوحدات المعمارية التى تتكون منها مساجد الطراز الثانى سقيفة من بائكة فى أحد جوانب الصحن أو على جانبين منه. ومن أمثلة مساجد هذا الطراز مسجد قنديل ١٠٦٨ - ١٠٧٩هـ/ ١٦٥٨ -

١٦٦٨م)، ومسجد أبو سعيد الغريانى ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م، ومسجد محمود ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م[1]. (شكل ١٠).

- الطراز الرابع: يتكون من بيت صلاة تتقدمه سقيفة من بائكة من عقود، على أحد جوانبها ضريح، ويتقدم السقيفة مساحة صغيرة مكشوفة يشغل أحد جوانبها ميضاءة ومرحاض بينما يشغل جانب آخر من هذه السقيفة فتحة المدخل. ومن نماذج هذا الطراز مسجد بن مقيل الذى بناه أبو عبد الله المكنى فى النصف الثانى من القرن ١٠هـ/ ١٦م (شكل ١١) ومن المرجح أن المنشىء حاول محاكاة تخطيط جامع درغوت ولكن على مقياس أصغر كثيراً، حيث أن المنشئ كان زعيمًا على الأربعين عائلة الذين أحضرهم درغوت باشا من مدينة صفاقس فى تونس إلى مدينة طرابلس، وكان من أرباب الحرف والفنون وقد إستعين بهم فى إنجاز الكثير من المنشآت المعمارية مما أدى إلى ظهور التأثيرات التونسية فى عمارة العديد من هذه المنشآت ومنها مسجد بن مقيل، ويتضح ذلك بشكل واضح فى عنصر السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة، والتى وجد ما يماثلها فى جامع درغوت باشا، وفى جامع شائب العين، وفى جامع خليل باشا، حيث أن هذا العنصر والذى أستعمل فى العمارة المدنية والدينية فى بلاد العراق، مثل بيوت الشعبية فى قصر الأخيضر، ومصلى جامع النورى، الذى يرجع إلى الفترة من سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، إلى سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م[2]، قد ظهرت أيضًا فى عمارة المسجد التونسى منذ وقت مبكر ومن أمثلتها سقيفة جامع بوفتاتة فى سوسة (٢٢٣هـ/ ٨٣٨م) ثم أصبحت السقيفة عنصراً أساسيًا فى عمارة المسجد فى

---

(١) للمزيد عن هذه المساجد انظر: صلاح أحمد البهنسى: العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول [illegible] ص ١٤٣ [illegible]

(٢) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، جـ١، السلسلة الفنية، العدد ٥١، العراق ١٩٨٢. ص ٥٦.

العصر الحفصى، ومن أمثلة ذلك سقيفة جامع القصبة بتونس (٦٣١هـ/ ١٢٢٣م) وسقيفة جامع باب الأقواس (بداية القرن ٩هـ/ ١٥م)، وإستمرت فى المساجد التى ترجع إلى العصر العثمانى مثل جامع يوسف داى (١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) والجامع الجديد بمدينة تونس (١١٢٩هـ/ ١٧١٦م)[١].

وقد إنتقل هذا العنصر إلى العمارة الإسلامية فى مصر فى العصر الفاطمى بتأثير مغربى من تونس وظهر فى عدة أمثلة وهى مشهد السيدة رقية بالقاهرة (٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) وجامع الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م). ويعد ظهورها فى العمارة الإسلامية فى ليبيا بتأثير تونسى أيضًا.

٣ـ المدارس:

نظرة عامة عن نشأة المدارس فى طرابلس

على الرغم من أن طراز المدرسة ظهر فى العمارة الإسلامية منذ القرن ٤هـ/ ١٠م حين أنشأ أبو حاتم البستى مدرسة فى مدينة بست بإيران، وخصص بها مكتبة وأرزاقًا للطلبة، ثم تطور نظام المدرسة وإنتقل إلى بلاد العراق وبلاد الشام حيث إنتشرت المدارس خلال العصر السلچوقى، وظهر فى مصر منذ أواخر القرن ٥هـ/ ١١م حيث إزدهر خلال العصرين الأيوبى والمملوكى، إلا أن طراز المدارس لم يظهر فى شمال أفريقيا إلا فى القرن ٧هـ/ ١٣م. وكان ظهورها فى تونس سابقًا لظهورها فى المغرب الأقصى، ففى سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٧م أنشأ أبو زكريا مؤسس الدولة الحفصية المدرسة الشماعية فى تونس، كما بنيت الأميرة عطف أم المستنصر مدرسة الهواء فى منتصف القرن ٧هـ/ ١٣م[٢]. وفى أثناء الفترة من سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م وحتى سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م أنشأ الأمير محمد

(1) Marcais (G); L' Architecture Musulmane d' Occident (Tunisie Algerie - Maroc - Espagne et Sicile) Paris - 1954 - P461, P. 163.

(٢) عبد العزيز الدولاتلى: تونس فى العهد الحفصى. تعريب محمد الشابى، عبد العزيز الدولاتلى. تونس ١٩٨١. ص ١٩٤، ١٣٩.

بن أبي زكريا يحيي بن عبد الواحد بن أبي حفص المدرسة المنتصرية أو المستنصرية[1].

أما فى المغرب الأقصى، فقد ذكر ابن مرزوق فى مسنده أن المدارس لم تكن معروفة في المغرب حتى أنشأ أبو يعقوب يوسف المرينى مدرسة الحلفائيين (الصفارين) فى فاس سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م[2]. إلا أن هناك رأى بأن المغرب قد عرفت المدارس فى العصر الموحدى وذلك إعتماداً على نص تحبيس (وقف) فى مخطوط يفيد التحبيس على المدرسة التى بناها الخليفة عمر المرتضى بقصر مراكش فى أوائل القرن ٦هـ/ ١٢م[3].

أما عن ظهور طراز المدارس فى العمارة الليبية فيظهر من كتابات الرحالة والمؤرخين أنها ظهرت منذ النصف الثانى من القرن ٧هـ/ ١٣م، ومن ذلك ما ذكره التجانى الذى زار طرابلس فى العقد الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م، أن بداخل مدينة طرابلس مدارس كثيرة أحسنها المدرسة المنتصرية أو المستنصرية التى بناها الفقية أبى محمد عبد الحميد بن أبى البركات بن أبى الدنيا فى الفترة من سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، إلى سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وحدد موقعها بالقرب من قوس ماركوس أوريليوس[4]. ويبدو أن هذه المدرسة كانت على درجة من الإتقان ودقة البناء، فعلى الرغم مما أورد العبدرى من مساوئ البلاد التى زارها، ونراه قد إتبع نفس الإسلوب عندما زار طرابلس سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، إلا أنه أثنى على المدرسة المستنصرية وقال «لم أر بها - يقصد مدينة طرابلس - ما يروق

(١) بل (الفرد)؛ الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى من الفتح العربى حتى اليوم. توجمة د. عبد الرحمن بدوى. دار ليبيا - ١٩٦٩. ص ٣٥٢.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله: الآثار الإسلامية بالمغرب (المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية - نوفمبر ١٩٥٩ - القاهرة - ١٩٦١) ص ٣٦٨، عبد العزيز الدولاتلى: المرجع السابق. ص ١٣٩.

(٣) محمد محمد الكحلاوى: العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى. عمائر الموحدين الدينية فى المغرب. مخطوط رسالة دكتوراة - كلية الآثار جامعة القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٢٢، ص ٥٠٣.

(٤) التحانى (ابو محمد عبد الله)؛ الرحلة. ص ص ٢٥١ - ٢٥٣.

العيون وسماعن أن يقوم بالدون سوى جامعها ومدرستها، فإن لهما من حسن الصورة نصيبًا، ومن إتقان الصنعة سهمًا مصيبًا، وما رأيت فى الغرب - يقصد بلاد المغرب - مثل مدرستها المذكورة»[1]. كما ذكر الرحالة «القلصادى» الذى زار طرابلس سنة/١٤٤٧م أنه أقام ومن معه فى مدرسة «ابن ثابت» عدة ليال وأيام[2]. وقد زاد عدد المدارس فى طرابلس خلال القرن ١٠هـ/ ١٦م فقد ذكر «ليو الأفريقى» الذى زار طرابلس سنة ١٥١٨م أن المدارس فيها متعددة[3].

تخطيط المدرسة فى العمارة الليبية:

إذا كانت أولى المدارس التى وردت عنها إشارات تاريخية، وهى المدرسة المنتصرية أو المستنصرية لم يصلنا شئ من بقاياها المعمارية، مما يصعب معرفة طراز تخطيطها، إلا أننا يمكننا معرفة ذلك من خلال مقارنتها بالمدرسة المستنصرية فى تونس، لأن من أرجح الإحتمالات أن مستنصرية طرابلس ترجع إلى نفس الفترة ونفس المنشئ وهو الأمير الحفصى محمد بن أبى زكريا، كما أن أبا محمد عبد الحميد بن أبى البركات بن أبى الدنيا الذى تولى القضاء والخطابة بجامع الزيتونة بتونس، وعاد إلى طرابلس التى ولد بها، قد تولى التدريس بمستنصرية طرابلس حتى توفى سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م[4]. مما يرجح أن تكون مدرسة طرابلس قد بنيت على نفس النمط، كما سميت بنفس المسمى.

وبناء عليه فإن مستنصرية طرابلس كانت تتكون من صحن أوسط مكشوف تحف به خلاوى الطلبة من ثلاث جهات دون أن يتقدمها رواق، بينما يحتل بيت الصلاة الضلع الجنوبى الشرقى للصحن، ويطل على الصحن مباشرة.

(١) العبدرى (أبو عبد الله محمد)؛ الرحلة. ص ٧٧.

(٢) القلصادى (أبو الحسن على)؛ رحلة القلصادى. دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان - تونس ١٩٧٨ - ص ١٢٤.

(٣) نقولا زيادة (د)؛ ليبيا فى العصور الحديثة. القاهرة ١٩٦٦. ص ٤٣.

(٤) التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ الرحلة - ص ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

- على مصطفى المصراتى: اعلام من طرابلس. ط٢. طرابلس ١٩٧٢ ص ص ٨٥ - ٩٤.

ويدل هذا التخطيط الذى كانت عليه المدرسة قبل العصر العثمانى عما حدث فى تخطيط المدرسة من تطور خلال العصر العثمانى يتضح بشكل واضح فى مدرسة عثمان باشا الساقزلى التى سنتناولها بالدراسة كنموذج للمدرسة فى طرابلس خلال العصر العثمانى، يتضح فيه التأثر بطراز المدرسة العثمانية، المتأثرة بدورها بطراز المدرسة فى العصر السلچوقى والذى إنتقل بدوره إلى أجزاء كثيرة من الولايات التابعة للدولة العثمانية ومنها مصر مثل المدرسة السليمانية بالسروجية ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م ومدرسة المحمودية ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م وفى بلاد الشام ومن أمثلة ذلك المدرسة السليمية فى دمشق ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م.

ـ مدرسة عثمان باشا الساقزلى:

أنشأها عثمان باشا الساقزلى الذى بايعه أهل طرابلس والعسكر بعد وفاة محمد باشا الساقزلى، وتولى حكم طرابلس من سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م، إلى أن تجرع السم ومات فى سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م[١]. وقد إهتم فى أثناء حكمه بالإسطول حتى بلغت أساطيل طرابلس أربعة وعشرين إسطولاً[٢]. وقد تمكنت هذه الأساطيل من تحقيق العديد من الإنتصارات، ومن أهمها الإنتصار على البنادقة وإنتزاع ميناء كاندى فى جزيرة كريت منهم، وذلك فى موقعة الدردنيل سنة ١٠٧٨هـ/ ١٦٧٧م، وذلك بمساعدة الأسطول التونسى[٣].

وإن كان قد بدأ فترة حكمه عادلاً وقام برفع الضرائب عن الشعب، إلا أنه لا يلبث أن تمادى فى ظلمه وإحتكاره للتجارة وللغنائم التى يحصل عليها الإسطول. وقد أدى ذلك إلى ثورة الشعب والجنود ضده. وحاصروه بالقلعة إلى أن تجرع السم بعد ثمانية أيام من الحصار خوفًا من الوقوع فى أيدى الجند والبطش به[٤].

(١) الطاهر أحمد الزاوى: ولاة طرابلس. ص ١٨٦.
(٢) أحمد الأنصارى النائب: المنهل العذب. ص ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
(٣) مجموعة: ليبيا. الكتاب الخامس. ص ٥٦.
(٤) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق ـ ص ٢٣٧.

ونتيجة لما كان يحصل عليه من الغنائم وإحتكاره للتجارة، فقد تمكن من تشييد العديد من العمائر، ومنها ثلاثة فنادق بمدينة طرابلس، وحمامًا للأسرى، وقصر الأعمدة، كما أقام خمسة أبراج على السور البحرى لطرابلس، وأقام سورًا حول حصن المندريك[1]. وتعد المدرسة التى أنشأها بطرابلس من المفاخر المعمارية بها.

وتقع المدرسة فى شارع درغوت، كما تطل واجهتها الجنوبية الغربية على ميدان السيدة مريم.

الوصف المعمارى للمدرسة:

الشكل العام للمدرسة غير منتظم الأضلاع. ويؤدى إلى داخل المدرسة مدخل فى الواجهة الجنوبية الشرقية معقود بعقد نصف دائرى من صنجات من الحجر الوردى (رخام مالطة) حول صنجة وسطى من الرخام الأبيض يعلوها شكل وريدة داخل دائرة، على كل جانب من جوانبها شجرة سرو. ويعلو المدخل اللوحة التأسيسية التى تشتمل على إسم المنشئ «عثمان باشا» وتاريخ الإنشاء فى غرة ذى القعدة سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م كما تحدد الغرض من الإنشاء وهو «لتكون مدرسة لطلب العلم وتلاوة القرآن» (صورة ٢٤).

وتؤدى فتحة المدخل إلى دركاة مربعة طول ضلعها ٣,٥٠م، على جانبين منها مصطبة حجرية. ويغطى الدركاه قبة قطاعها مدبب ترتكز على مثلثات مقلوبة. وتؤدى هذه الدركاه إلى بقية وحدات المدرسة (صورة ٢٥).

يتوسط المدرسة صحن مكشوف تتوسطه بركة رخامية مربعة، ويحيط بالصحن من أربع جهات رواق من بائكة من ثلاثة عقود نصف دائرية محمولة على أعمدة رخامية معظم تيجانها من النوع الحفصى (شكل ١٢) ويغطى كل رواق من الأروقة الأربعة قبو طولى، فيما عدا البلاطات الركنية فأنها مغطاة بقبة نصف كروية محمولة على مثلثات مقلوبة.

---

(1) Aurigemma (S); La Moschea di Gurgi in Tripoli (Africa Italiana Vol. 1. Maggio. 1928. Anno. VI. Num 4.). P. 259.

ويدخل من الأروقة إلى خلوات الطلبة والتي يبلغ عددها أربع عشرة خلوة، تشتمل كل منها على فتحة باب ونافذة، كما تشتمل على دخلات صماء معقودة تستخدم لوضع المسرجة أو المصباح وأدوات الطلاب، وكذلك على سدة خشبية تستخدم كسرير. ويغطى كل خلوة قبو برميلى. وعبر إيوان معقود فى الجهة الجنوبية الشرقية من المدرسة يدخل إلى المسجد.

والمسجد عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها خمسة أمتار، ويتخلل جدرانه خمس فتحتات نافذة. ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية مجوفة قليلة العمق معقودة بعقد نصف دائرى يرتكز على عمودين، وعلى جانبى المحراب توجد دخلتان معقودتان بعقود مدببة. ويغطى المسجد قبة نصف كروية ترتكز على مثلثات مقلوبة قليلة العمق. وتتميز هذه القبة بأن رقبتها مضلعة من ستة عشر ضلعًا يفصل بينها أعمدة بارزة، ويتوسط كل ضلع من هذه الأضلاع شكل حنية صماء معقودة بعقد نصف دائرى، كذلك فقد قسم بدن القبة بواسطة ضلوع بارزة إلى ستة عشر جزءًا (صورة ٢٦).

إلى جانب المسجد يوجد الضريح، وهو عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها ستة أمتار تؤدى إليها فتحة باب فى الجدار الشمالى الغربى معقودة بعقد قوسى، وتتخلل جدران الضريح ثمانى نواقذ مستطيلة. ويغطى حجرة الضريح قبة نصف كروية ترتكز على مثلثات مقلوبة وتتشابه قبة الضريح مع قبة المسجد، ولا تختلف عنها إلا فى وجود فتحات صغيرة فى بدن القبة، وفى أن قطب القبة يعلوه شكل عمامة. وهو الشكل الذى شاع أعلى شواهد قبور الشخصيات الهامة فى العصر العثمانى. (صورة ٢٧).

ويضم الضريح إثنتا عشرة تركيبة رخامية، يلاحظ الإهتمام بزخرفة بعضها وخاصة تلك التى تخص عثمان باشا.

يلحق بالضريح مدفن مكشوف مستطيل. كما توجد فى الجهة الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية للمدرسة مجموعة من المنافع التى تفى بإحتياجات الطلاب مثل المطبخ والميضاءة والحمامات ومخزن لحفظ حاجيات الطلاب. (شكل ١٢).

ونلاحظ فى مدرسة عثمان باشا إستمالها على عناصر معمارية وزخرفية متميزة، ومن ذلك القباب التى تغطى الدركاه والمسجد والضريح والتى تتميز بأن رقابها تظهر من الخارج بشكل دائرى ينتهى من أعلى بثلاثة إطارات حجرية بارزة يرتكز عليها بدن القبة المكون من ضلوع بارزة تقسم القبة إلى أجزاء تلتقى فى قمة القبة (الصور ٢٦، ٢٧).

وهذا النوع من القباب لم نشهده فى عمائر طرابلس فى العصر العثمانى الأول أو ماتلاه من العصور إلا نادرًا حيث أن الغالب فى شكل القباب فى العمارة الإسلامية فى ليبيا أن مناطق الإنتقال وكذلك الرقاب لا تظهر من الخارج وتبدو القبة وكأنها ترتكز على جدران المساحة التى تغطيها مباشرة. وهذا النوع من القباب الذى ظهر فى مدرسة عثمان باشا، وظهر بعد ذلك فى قبة ضريح سيدى سالم المشاط يشبه نمط القباب الأغلبية فى تونس مثل قبة مدخل قصر الرباط فى سوسة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م) وقبة بلاط المحراب فى جامع سوسة (٢٣٦هـ/ ٨٥١م)[١] كما إستعملت فى عمارة الموحدين فى تونس مثل جامع القصبة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)[٢]. وإنتقل هذا النمط من القباب إلى العمارة الإسلامية فى مصر، ومن ذلك مقابر أسوان، ومدخل باب الفتوح وباب زويلة، وجامع الأقمر[٣]. ومن المرجح أن هذه القباب قد ظهرت فى العمارة الليبية منذ العصر الأغلبى حيث كانت ليبيا تخضع هى الأخرى للسيادة الأغلبية. كما أن زخرفة ظواهر القباب بالضلوع البارزة وجد أيضًا منذ العصر الأغلبى، ويظهر ذلك فى قبة البهو فى جامع عقبة بن نافع بالقيروان التى أضيفت فى عهد أبو إبراهيم بن أحمد الأغلبى سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م[٤]. وأصبح هذا الإسلوب شائعًا منذ العصر

(١) سليمان مصطفى زبيس: القبة التونسية (دراسات فى الآثار الإسلامية . القاهرة ١٩٧٩) ص ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) عبد العزيز الدولاتلي: المرجع السابق - ص ١٩٣.

(٣) فريد شافعى (د)؛ العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة ٢١ - ٣٥٨هـ/ ٦٣٩ - ٩٦٩م) م-١ . القاهرة - ١٩٧٠. ص ٥٦٥ - أشكال ٣٤٨ - ٣٥١.

- كمال الدين سامح (د)؛ العمارة الإسلامية فى مصر. ط٤ - القاهرة ١٩٩١ - ص ص ٩٩ - ١٠٠.

الفاطمى فى عمارة مصر الإسلامية، ومن أمثلتها قبة السيدة رقية بالقاهرة (٥٢٧هـ/ ١١٣٢)[١].

وتظهر بمدرسة عثمان باشا مجموعة من التأثيرات، فمن حيث التخطيط نجد أن المدرسة متأثرة بطراز تخطيط المدارس العثمانية، إذ أنها تتكون من فناء أوسط مكشوف يحف به من أربع جهات رواق من بائكة من عقود، خلفه خلاوى الطلبة، كما تشمتل على بيت صلاة مغطى بقبة. وهذا التخطيط يشبه الطراز الثانى من المدارس السلچوقية، والتى تتكون من صحن متسع تلتف حوله ظلة من بائكة من عقود، ومن أمثلة هذا التخطيط مدرسة زينجرلى بديا ربكر (٥٩٢هـ/ ١١٩٨م) ومدرسة هفت منار بقيصرية (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م) ومدرسة هفت منار بسيواس (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)[٢] وإنتقل هذا الطراز إلى العمارة العثمانية من أمثلة ذلك مدرسة السلطان بايزيد الأول فى الطابق الأعلى لجامع هدى فيندجار ببورصة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)، والمدرسة الخضراء ببورصة (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م)[٣]. وقد إنتقل هذا الطراز إلى العمارة الإسلامية فى الولايات التابعة للدولة العثمانية ومنها ليبيا.

كذلك تتفق مدرسة عثمان باشا مع المدارس العثمانية فى عدم إشتمالها على مئذنة. وتضم مدرسة عثمان باشا تأثيراً عثمانيًا يتضح فى الزخارف المنفذة بها وخاصة أشكال أشجار السرو والوريدات. أما قبة دركاة المدخل التى تشتمل على رقبة مستديرة تنتهى من أعلى بطنف حجرى بارز. فأنها شبيهة بالقباب البيزنطية، ومن أمثلتها قبة أيا صوفيا بإستانبول[٤]. والإختلاف بينها وبين القباب البيزنطية هو عدم إشتمال قبة مدخل مدرسة عثمان باشا على فتحات نافذة، ويرجع ذلك إلى طبيعة المكان الذى تغطيه حيث أنها تغطى مساحة بسيطة تقع بين المدخل

(١) كسلر (كريستل)؛ زخارف قباب القاهرة ـ ترجمة شهيرة محرز. مجلة فكر وفن ـ ١٩٦٩ ـ ص ٢٦.
(٢) اصلان ابا (اوقطاى). فنون الترك وعمائرهم. ترجمة أحمد عيسى. إستانبول ١٩٨٧ ص ص ١٩١ ـ ٢٠٥.
(3) Goodwin (G); AHistory of Ottoman architecture. New York. 1987. PP. 68 - 69.
(٤) فريد شافعى (د)؛ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ شكل ٧٢.

والصحن، مما يوفر لهذه المساحة الضوء من الناحيتين، مما يجعل وجود فتحات للإضاءة بالقبة أمر غير ضرورى.

ومن التأثيرات الواضحة فى مدرسة عثمان باشا التأثيرات الأوربية، ويظهر ذلك فى:

- تقسيم رقبة القبة إلى أجزاء متساوية بواسطة أعمدة ذات قواعد وتيجان، كما فى كل من قبة المسجد والضريح، ونرى مثالاً لذلك فى قبة كاتدرائية فلورنسا التى شيدها فيليبو برونولسكى سنة ١٤٢٠[١].
- الفتحات المعقودة بعقد متعدد الإطارات مثل الفتحة المؤدية من الدركاة إلى الصحن، وهذا العقد متأثر بعقود المداخل فى العمارة القوطية بأوربا، وقد وجد مثل هذا العقد فى عمائر إسلامية قليلة متأثرة بالعمارة الأوربية، ومن أمثلة ذلك مدخل مجموعة المنصور قلاوون بالقاهرة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٤م) والذى نقل إليها من أحدى كنائس مدينة عكا بفلسطين بعد أن تمكن الناصر محمد بن قلاوون من إستعادتها، وعقد باب المزينين بالجامع الأزهر الذى أضافه عبد الرحمن كتخدا سنة (١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م)[٢].

وإذا كانت التأثيرات الأوربية قد ظهرت فى العمارة الليبية الدينية والمدنية بشكل واضح فى الفترة الأخيرة من العصر القرمانلى، فإن ظهورها بشكل فردى فى عمارة مدرسة عثمان باشا التى ترجع إلى العصر العثمانى الأول يرجع إلى أسباب تاريخية، من أهمها أن محمد باشا الساقزلى كان قد أحاط نفسه بمجموعة كبيرة من أهل بلدته «ساقز» ببلاد اليونان، ولم يكتف بذلك بل أرسل الرايس عبد الرحمن ليجلب مجموعة من ساقز إلى طرابلس[٣].

(١) انظر: توفيق احمد عبد الجواد (د)؛ تاريخ العمارة. جـ٣ ـ القاهرة. ١٩٧٠ ـ ص ص ١٥٣ ـ ١٥٤.
(٢) انظر: مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية: اسس التصميم المعمارى والتخطيط الحضرى فى العصور المختلفة بالعاصمة القاهرة. منظمة المدن والعواصم الإسلامية. ١٩٩٠. لوحات ٥، ١٧٥.
(٣) برنيا (ك)؛ المرجع السابق ـ ص ١٢٤.

وفى فترة حكم عثمان باشا ونتيجة لتفوق الأسطول الطرابلسى فقد زار عدد الأسرى الأوربيين فى طرابلس، حتى بلغ فى تلك الفترة ما بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ أسيرًا، كان معظمهم من الإيطاليين، الذين كانوا يستغلون كعمالة ماهرة رخيصة[١].

لذلك كان من الطبيعى أن تظهر التأثيرات الأوربية فى عمارة مدرسة عثمان باشا، نتيجة للإستعانة بالعمالة الأوربية فى أعمال البناء.

الخصائص المميزة للعمارة الدينية فى طرابلس:

١- بساطة التكوين المعمارى:

تتكون معظم مساجد مدينة طرابلس من بيت صلاة مقسم إلى بلاطات بواسطة بائكات من العقود ترتكز على أعمدة - فى معظم الأحيان - تمتد متوازية ومتعامدة على جدار القبلة. ويحيط ببيت الصلاة فى المساجد الجامعة فناء مكشوف فى أكثر من جهة تشغل أحد جوانبه منافع المسجد من دورات المياه، كما تقوم فى مقابل المحراب فى الجهة الشمالية من الفناء وبالقرب من مدخل الجامع المئذنة.

وفى معظم المساجد الجامعة تتقدم بيت الصلاة سقيفة محمولة على أعمدة: قد تكون من جانب واحد مثل السقيفة فى جامع درغوت باشا، وجامع محمد باشا شائب العين، وجامع خليل باشا، أو أكثر من جانب مثل جامع أحمد باشا القرمانلى وجامع قورجى.

ومنذ بداية العصر العثمانى (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) أصبحت التغطية بالقباب طرازًا شائعًا فى عمارة المسجد الليبيى، متأثرة فى ذلك بطراز بورصة العثمانى فى تغطية بيوت الصلاة، والذى إنحدر إلى الفن العثمانى فى الطراز المعمارى السلجوقى. وتتميز القباب الليبية بصغر حجمها، وقلة إرتفاعها، وإنها تخلو من الزخارف فى الداخل والخارج، إلا فى بعض النماذج القليلة، مثل قباب مدرسة

(1) Wright (G); OP. cit. P. 97.

عثمان باشا الساقزلى وقباب جامع سيدى سلم المشاط وقباب جامع أحمد باشا القرمانلى، وجامع قورجى. كما أن القباب لا تظهر مناطق إنتقالها من الخارج، وإنما تبدو من الخارج وكأنها ترتكز على الجدران مباشرة، فيما عدا النماذج السابق ذكرها.

٢ـ عدم الإهتمام بالجانب الزخرفى:

كانت معظم مساجد مدينة طرابلس تتميز بقلة زخارفها، إلا أن تغيراً قد حدث فى هذا الجانب مع خضوع طرابلس للحكم العثمانى، إذ أخذ الإهتمام بزخرفة المساجد فى الإزدياد. وقد مر ذلك بعدة مراحل نجملها فيما يلى:

- زخرفة أجزاء من المحراب وكذلك المنبر، مع تكسية أجزاء من الجدران الخارجية لبيت الصلاة ببلاطات خزفية، وكذلك تغطية أجزاء بسيطة من أبدان المآذن بمثل هذه البلاطات. ومن أمثلة ذلك التكسيات بجامع درغوت باشا، وجامع محمد باشا شائب العين وجامع خليل باشا، وكلها ترجع إلى العصر العثمانى الأول.

وفى العصر القرمانلى إزداد الإهتمام بزخرفة المساجد، وتنوعت طرق الزخرفة وشملت تغطية الجدران الداخلية والخارجية لبيت الصلاة حتى إرتفاع مآخذ العقود ببلاطات خزفية متنوعة فى زخارفها، نظراً لتنوع مصادرها، إذ أن بعضها يجلب من تونس وبعضها كان يرد من آسيا الصغرى، كما أن هناك نماذج من بلاطات مستوردة من بعض الدول الأوربية وخاصة أسبانيا وهولندا.

ولم تقتصر الزخارف فى ذلك العصر على التغطية بالبلاطات، بل كان يعلو ذلك وفى الأجزاء العليا من الجدران إطار من الكتابات المذهبة على مهاد من زخارف نباتية دقيقة وتمتد الزخارف إلى الأجزاء العليا من الجدران وتشمل مناطق إنتقال القباب وبواطن القباب زخارف جصية، تشمل زخارف هندسية ونباتية دقيقة منفذة بطريقة «نقش حديدة» الشائعة فى إعداد الزخارف الجصية فى عمائر شمال أفريقيا والمغرب بشكل عام.

ومن طرق إعداد الزخارف فى أواخر العصر العثمانى الأول والعصر

القرمانلى، زخرفته المنابر الرخامية عن طريق تلبيس قطع من الرخام الملون فى الرخام الأبيض أو الأسود بحيث ينتج عن ذلك زخارف هندسية عبارة عن أشكال نجمية ورسوم أهلة، وغيرها من الأشكال الهندسية كما فى جامع محمد باشا شائب العين، أو أن تشكل زخارف نباتية متنوعة ومتأثرة بالطراز الزخرفى العثمانى، كما فى جامع أحمد باشا وجامع قورجى، وجامع ميزران الذى يرجع إلى العصر العثمانى الثانى. كما شملت الزخارف على الرخام عضادات الأبواب، وعقودها وكوشاتها، وكان عبارة عن أشكال وريدات أو أهلة بارزة، أو عبارة عن تكونين زخرفى، يعتمد فى معظم الأحيان على العناصر النباتية بمختلف أنواعها، ونجد أمثلة لذلك فى جامع محمد باشا شائب العين وجامع أحمد باشا وجامع قورجى.

كما إمتدت الزخارف على الرخام لتشمل أجزاء أخرى من البناء، ومن أمثلة ذلك الزخارف فى الميضاءة بمدرسة عثمان باشا الساقزلى، والمنفذة بإسلوب يجمع بين عناصر فنية مغربية وأخرى عثمانية بالإضافة إلى بعض التأثيرات الأوربية.

ومن أساليب الزخرفة فى العمارة الدينية بطرابلس الحفر والرسم على الخشب، وقد إستعملت طريقة الحفر فى زخرفة الأبواب الخشبية والسدات، مثل أبواب جامع شائب العين وجامع ميزران، وتشتمل على عناصر زخرفية عثمانية مثل أشجار السرو والوريدات وأزهار السوسن والقرنفل وورقة السار (الورقة المسننة). أما عن الزخارف المنفذة بالطلاء أو الرسم فمن أحسن أمثلتها سقف السدة الخشبية فى جامع شائب العين، وسقف السدة الخشبية فى جامع قورجى.

٣- طراز المجمعات المعمارية (الكليات):

كانت مساجد طرابلس قبل العصر العثمانى لا يلحق بها ملحقات معمارية مثل الأضرحة والأسبلة والمدارس. ولكن مع بداية لعصر العثمانى أصبح الضريح الخاص بمنشئ الجامع، وكذلك المدفن الخاص بأفراد أسرته وبعض خاصته، من الوحدات المعمارية التى ألحقت بالعديد من العمائر الدينية، ومن أمثلة ذلك

الضريح والمدفن بجامع درغوت باشا، ومدرسة عثمان باشا الساقزلى، وجامع سيدى سالم المشاط ومسجد محمود، وجامع محمد باشا شائب العين وجامع أحمد باشا القرمانلى وجامع قورجى.

ويتخذ الضريح فى العمارة الدينية بطرابلس مكانًا متميزًا حيث يقع خلف جدار القبلة ويدخل إليه عن طريق فتحة باب أو فتحات نوافذ فى جدار القبلة. ويعتبر وضع الضريح فى هذا المكان أمر غير مألوف فى العمارة الإسلامية بشكل عام، ولكن وجدت نماذج متفرقة لذلك، مثل الضريح فى كل من المشهد الحسينى (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) ومدرسة السلطان حسن ٧٥٦ ـ ٧٦٢هـ/ ١٣٥٦ ـ ١٣٦٢م، ومدرسة محمود باشا ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م، وجامع آلتى برمق ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، وجامع على كاشف جمال الدين بمنفلوط ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.

أما المدفن فغالبًا ما يكون على أحد جوانب بيت الصلاة ويقطع جزءًا من الفناء المحيط ببيت الصلاة.

وفى العصر القرمانلى بلغت المجمعات المعمارية درجة كبيرة حيث أصبحت تضم العديد من الوحدات فنجد أن مجموعة أحمد باشا القرمانلى، تضم إلى جانب بيت الصلاة والفناء المحيط به، وكذلك المنافع مثل دورات المياه وغيرها، وحدات معمارية أخرى مثل السبيل والمدرسة والتى تتكون من طابقين، ومجموعة من الحوانيت فى الجدران الخارجية للمجمع المعمارى. ووجدت بعض هذه الوحدات مثل السبيل والمدرسة فى كل من جامع قورجى وجامع ميزران.

٤ـ التأثيرات فى العمارة الدينية بطرابلس:

جمعت العمائر الدينية فى طرابلس العديد من التأثيرات، ومن أهمها:

ـ التأثير التونسى:

ويظهر ذلك بوضوح فى عدة عناصر معمارية مثل السقيفة التى تتقدم البناء. وفى تكسية الجدران ببلاطات خزفية تونسية، وفى الزخارف الجصية. ويرجع

ذلك إلى إعتماد المعمار الليبيى فى كثير من الأحيان على خبرات تونسية فى إنجاز الأعمال المعمارية، وقد دلت الإشارات التاريخية على ذلك مثل جامع محمد باشا شائب العين. وحتى بعض العناصر المعمارية المتأثرة بالطراز العثمانى، فأنها قد إنتقلت إلى طرابلس عن طريق تونس مثل المآذن المثمنة.

ـ التأثيرات العثمانية:

لاشك أن طرابلس مثلها مثل بقية الولايات التى خضعت للحكم العثمانى قد تأثرت إلى حد كبير بالطراز المعمارى والفنى العثمانى، سواء كان ذلك من حيث طراز التخطيط العام للعمائر أو ما تشتمل عليه من وحدات. ويظهر ذلك بوضوح فى طريقة تخطيط بيت الصلاة وطريقة التغطية بالقباب المتعددة، والمدارس المكونة من طابقين، وطريقة تخطيط المدارس على الطراز العثمانى. بالإضافة إلى ظهور العديد من العناصر الفنية العثمانية مثل أشجار السرو وأزهار القرنفل وورقة الساز.. وغيرها، ولم يقتصر ذلك على ظهورها على البلاطات الخزفية التى كانت تجلب من تركيا، بل ظهرت أيضًا على الزخارف المنفذة على الرخام، أو المحفورة والمرسومة على الخشب.

ـ التأثيرات الأوربية:

ظهرت فى عمارة العصر العثمانى الأول على نطاق ضيق جدًا، وتمثل ذلك فى أشكال قباب مدرسة عثمان باشا الساقزلى، وفى زخارفها أيضًا. وكما كان الحال فى ظهور التأثيرات التونسية نتيجة لوجود معماريين وفنانين من تونس، فإن ظهور التأثيرات الأوربية كان أيضًا لمثل هذه الظروف، فكان ظهورها فى مدرسة عثمان باشا نتيجة لوجود أعداد من الصناع من بلاد اليونان فى طرابلس، وكذلك وجود أعداد كبيرة من الأسرى الأوربيين الذين أستعين بهم فى أعمال البناء والزخرفة.

وفى العصر القرمانلى ونتيجة لوجود صلات سياسية وتجارية بين طرابلس وكثير من الدول الأوربية فقد إزدادت هذه التأثيرات، وظهرت بشكل واضح فى جامع قورجى.

بالخارج في تجميعها [illegible]

لذلك [illegible] [illegible]

[illegible] المشكلات [illegible]

[illegible]

[illegible] المشكلات [illegible]:

[illegible] المشكلات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المشكلات [illegible]:

في هذه الحالة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible].

[illegible]

في [illegible]

العمارة المدنية بمدينة طرابلس

١ـ المنازل:

تضم مدينة طرابلس القديمة عدداً من المنازل الأثرية معظمها يرجع إلى العصر العثمانى الأول، والعصر القرمانلى، وكذلك العصر العثمانى الثانى. وتوجد المنازل التى ترجع إلى العصر العثمانى الأول فى حى المنشية خارج أسوار المدينة القديمة، وقد بدأ عمران هذه الضاحية فى عهد درغوت باشا، ومن أهم المنازل التى أنشأها ولاة طرابلس فى هذه الضاحية مجموعة المنازل التى شيدت فى عصر محمد باشا الساقزلى وعثمان باشا الساقزلى.

أما داخل مدينة طرابلس القديمة فتوجد عدة منازل أثرية، من أهمها منزل القرمانلى بشارع الأربع عرصات، ومنزل بن موسى بشارع الدروج، ومنزل قورجى بشارع سوق الحرارة، ومنزل الربى نسيم. ويعد منزل القرمانلى ومنزل قورجى من أكثر منازل طرابلس إحتفاظًا بعناصرها المعمارية والزخرفية، كما يشتمل منزل الربى نسيم على مجموعة متميزة من الحشوات من بلاطات خزفية بديعة.

تخطيط المنزل الطرابلسى:

جاء تخطيط المنزل الطرابلسى متمشيًا مع القيم الدينية والإجتماعية السائدة فى المجتمع، مثله فى ذلك مثل معظم طرز المنازل فى بلدان العالم الإسلامى المختلفة. إذ أن أساس التخطيط يقوم على تحقيق الخصوصية لأهل المنزل وعزلهم عمن بخارجه، وقد تحقق ذلك من خلال عدة نقاط، أهمها:

- المدخل المنكسر:

جعل المدخل الرئيسى للمنزل منكسرًا وليس مستقيمًا حتى لا يمكن للمار بالشارع رؤية من بالداخل، ويسمى هذا الممر فى العرف الليبيى سقيفة، على أحد جوانبها حجرة خاصة برب البيت يستقبل فيها زائريه بمجرد دخولهم من المدخل الرئيسى، حتى يكون بمعزل عن بقية أفراد المنزل، وتسمى هذه الحجرة «مربوعة» وهى الحجرة الوحيدة فى الدور الأرضى التى تفتح نوافذها على الشارع. وأحيانًا كان يوجد بسقيفة بعض المنازل ركابة (مصطبة) تخصص لجلوس أصحاب المصالح أو بعض الزوار ممن لا يليق بمقام صاحب المنزل أن يستضيفهم فى المربوعة.

- الفناء الأوسط:

يعد هذا الفناء المحور الأساسى لتخطيط المنزل الطرابلسى، إذ تفتح عليه أبواب ونوافذ حجرات المنزل، فهو مصدر الضوء والهواء دونما حاجة لفتح نوافذ فى الجدران الخارجية للمنزل. كذلك فإن الدرج الذى يصعد منه إلى الطوابق العليا يوجد فى أحد جوانب الفناء. كما أن أرضية الفناء يحفر بها الماجل (خزان المياه) الذى يعد المصدر الأساسى للمياه لسكان المنزل. وتصله المياه عبر أنابيب من أعلى سطح المنزل، ينحدر إليها مياه المطر، حتى تستقر فى الماجل.

ونظرًا لأن الفناء الأوسط هو مكان النشاط اليومى لأهل المنزل خاصة السيدات ومكان قضاء أوقات الراحة والسمر لكل أفراد الأسرة، لذلك كان يهتم بإضفاء لمسات جمالية على الفناء، فكانت أرضيته تغطى بالرخام الذى تشكل منه فى بعض الأحيان تشكيلات زخرفية بديعة. كما كانت الجدران المحيطة به تغطى ببلاطات خزفية (زليج) أو بحشوات من زخارف جصية تشتمل على زخارف نباتية وهندسية دقيقة. هذا فى الوقت الذى كانت تخلو الواجهات الخارجية فى معظم الأحيان من الزخارف.

وفى منازل الأسر الميسورة الحال كانت تتوسط الفناء فسقية (فوارة) للمياه،

لتلطيف حرارة الجو صيفًا، وإشاعة البهجة والسرور على الجلوس، إذ كانت توضع في أحواض الفوارات أسماك الزينة، كما كانت تحاط بأوانى الزهور ومما تجدر الإشارة إليه أن نظام الفناء الأوسط المحاط بجدران مرتفعة يوفر حيزًا من الظل فى أحد الجوانب فى كل وقت من النهار.

الوحدات المعمارية للمنزل الطرابلسى:

إذا كان الفناء الأوسط هو محور التخطيط للمنزل، فإن بقية الوحدات تتجمع حول هذا الفناء. فقد جرت العادة إحاطة الفناء برواق من أعمدة يشكل فى الطابق الأرضى ممرًا مسقوفًا يتقدم الحجرات، ويوفر لها حيزًا من الظل، بينما يكون فى الطوابق العليا شرفة تدور حول الفناء من أربع جهات، ويطلق عليها «مستراح أو مساتريح». (صورة ٢٨) وتقع خلف الروان أو الشرقة مجموعة الحجرات التى تخصص جميعها للنوم، إلا حجرة واحدة تخصص لربة البيت لإستقبال صديقاتها. (شكل ١٣).

وتجمع منازل طرابلس فى تغطيتها بين ثلاث وسائل، فبعض الحجرات تغطى بأقبية طولية، ويعفها يغطى بأقبية متقاطعة، كما أن الأسقف المسطحة من البراطيم الخشبية من أكثر طرق التغطية فى منازل طرابلس، ومعظمها من جذوع الصنوبرًا أو والنخيل، ثم تغطى بطبقة سعف النخيل يليها طبقة من الطفل.

وبجوار جدران الحجرات ترتفع سدة تستعمل كسرير، بينما يستعمل داخلها كخزانة لحفظ حاجيات سكان هذه الحجرة من ملابس وخلافه، بينما يترك وسط الحجرة خاليًا.

ولم يقتصر الإهتمام بالجانب الزخرفى على داخل المنزل، بل أن ذلك شمل المدخل الرئيسى للمنزل أيضًا، والذى كانت تنفذ على عقده وجوانبه الزخرفة النباتية من وريدات بالحفر على الرخام أو الحجر (صورة ٢٩).

وكان من المعتاد فى زخرفة منازل طرابلس تكسية أجزاء من الجدران وبصفة خاصة جدران الواجهة الخارجية وجدران الفناء الداخلى بالبلاطات الخزفية التى

تكون زخارفها موضوعات يتضح فيها الجمع بين العناصر الزخرفية العثمانية وزخارف شمال أفريقيا وخاصة تونس، وتتمثل هذه الزخارف فى أشكال عقود حدوة فرس مدبب وفى داخله أشكال عمائر دينية مغطاة بقباب، وعلى جوانبها المآذن والأعلام، أو أشكال مزهريات تتفرع منها تفريعات نباتية من أوراق وزهور، بالإضافة إلى أشكال أشجار السرو التى تحدد جوانب التصميم الزخرفى، وقد على بعضها توقيع الخزاف «الخميرى» وتاريخ الصنع (صورة ٣٠).

وهذا النوع من البلاطات كان ينتج فى تونس وشاع إستعمال فى العمائر الدينية والمدنية فى طرابلس، نظراً لأن الموضوعات الزخرفية المنفذة عليه تتمشى مع كل منها، حيث أنها تشتمل على رسوم معمارية ونباتية، وكانت مثل هذه الرسوم المعمارية التى تمثل مساجد تستعمل فى العمائر المدنية للتبرك. كما كان مثل هذا التصميم يعلو بعض اللوحات الكتابية التى توضع على الجدار الخارجى، والتى كانت تشتمل على عبارات دعائية، أو عبارات من القرآن الكريم، أو بعض معانى الترحيب بالضيف. ومن ذلك نص بناء منزل وزعت كتاباته داخل مناطق مستطيلة تنتهى من الطرفين بأشكال مفصصية، وكتب بداخلها:

بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذه الدار أضاءت بهيمة ـ فرحًا فرصًا للناظرين ـ كتب السعد على أبوابها ـ إدخلوها بسلام آمنين. (صورة ٣١).

٢ـ الحمامات:

كانت الحمامات العامة شائعة فى معظم بلدان العالم الإسلامى بشكل جعل بعض مؤرخى الغرب يتمنى أن تشتمل جميع مدن أوربا الهامة على مثل هذه الحمامات[١]. وكانت الحمامات فى البلاد الإسلامية مؤسسات ذات أهمية كبيرة، إذ أنها لم تكن مجرد أماكن للإستحمام فقط، بل كانت مكانًا للترفيه والتسليته، وعقد الصفقات التجارية، وحبك الدسائس والمؤامرات السياسية، كما كانت

(١) جوستاف لوبون: حضارة العرب ـ الطبعة الثالثة. ص ٣٦٨.

منتديات إجتماعية ترتبط بالعديد من المناسبات، وبصفة خاصة الزواج، وإنتهاء فترة تقاس المرأة.

لذلك فقد كان يوكل الإشراف على الحمامات إلى صاحب الشرطة، أى المسئول عن الأمن الداخلى للبلاد، أو إلى الوالى نفسه. كما كان يقوم على خدمة الحمام والمستحمين عدد من العاملين، ومنهم:

* الحمامى: وهو الذى يعطى المستحم المئزر، ويستلم منه ملابسه وحاجياته.
* القيم: يقوم بتنظيف الحمام وتبخيره.
* الوقاد: يتولى إشعال النار لتسخين المياه.
* السقاء: يتولى توصيل الماء إلى الحمام.
* المدلك: يقوم بأعمال التدليك وتليين العضلات.
* المزين: ويقوم بأعمال الحلاقة، بالإضافة إلى بعض الجراحات البسيطة مثل الختان أو إمتصاص الدم الفاسد.

وفى الحمامات الخاصة بالنساء كانت توجد الماشطة والبلانة اللتان تتوليان تزيين النساء(١).

وقد روعى فى تخطيط الحمامات إتباع القواعد الصحية حيث قسمت إلى ثلاثة أقسام متدرجة فى درجة حرارتها من الساخنة إلى الدافئة إلى الباردة، حيث ينتقل المستحم بينها دون أن تضر بصحته. وكان البخار يتصاعد فى الغرفة الساخنة من خلال ثقوب فى أرضية القاعة، لذلك شاع إستعمال النعال الخشبية (القباقيب) المرتفعة، حتى لا يلحق بالمستحم ضرر من حرارة الأرضية. كما روعى إضفاء لمسات جمالية على الحمامات وزخرفتها بالزخارف المتنوعة، وكذلك بتغطية النوافذ بستائر من الزجاج الملون المعشق فى الجص.

---

(١) احمد ممدوح حمدى: معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى. مجموعات متحف الفن الإسلامى - ٣ - القاهرة - ١٩٥٩. ص ص ٤٠ - ٤٤.

ـ حمامات طرابلس:

تشبه حمامات طرابلس مثيلاتها فى مصر وتركيا وغيرها من بلاد العالم الإسلامى، إلا أنها أقل فى المساحة، وكذلك فى قيمتها الجمالية[1]. ومن أهم الحمامات القديمة الباقية بها حمام درغوت، وحمام الحلقة الذى يرجع إلى العصر العثمانى، والحمام الكبير الذى يقع فى منطقة الأربع عرصات وتبقت منه القاعة الساخنة والقبة التى تغطيها، بينما تحولت بقية أجزاء الحمام إلى منشأة تجارية.

ـ حمام درغوت:

يقع بشارع درغوت بمدينة طرابلس القديمة. وينسب إلى القائد التركى النقد «درغوت» الذى حقق العديد من الإنتصارات للجيش العثمانى، كما كان ثانى والى عثمانى لولاية طرابلس الغرب بعد مراد أغا. ويرجع سبب نسبته إليه أنه ملاصق لجامعه، وليس لأنه الذى أمر بإنشائه، حيث أنه لم ترد أية إشارات فى المصادر التاريخية أن درغرت باشا شيد حمامًا، وإنما شيد جامعًا وقصرًا. بينما وردت إشارات تاريخية تفيد أن عثمان باشا الساقزلى (تولى حكم طرابلس من سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م حتى سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م) قام بإنشاء حمام فى مدينة طرابلس فى المكان الذى كان يشغله قصر درغوت. كما يؤكد ذلك الكتابات الموجودة على الشاذروان الذى يتوسط قاعة الإستقبال، إذ أنه مسجل عليه أن الذى عمله هو سليمان كتخذا فى عهد عثمان باشا، بطرابلس الغرب سنة ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م. وقد عملت هذه الشاذروان على نفس شكل الشاذروان الأصلية، التى تشتمل على نفس الكتابات، والتى قام الإيطاليون بنقلها من الحمام إلى مبنى قلعة طرابلس (السرايً الحمراء) التى كانت مقر الحكم والإقامة لحاكم طرابلس، ومازالت موجودة بها حتى الآن. كما ذكر أن إسكندر باشا قام ببناء هذا الحمام فى أواخر القرن ١١هـ/ ١٧م عندما أعاد بناء مئذنة جامع درغوت باشا.

(١) لايون (ع. ف) مدخل إلى الصحراء. ترجمة الهادى أبو لقمة. الطبعة الأولى. بنغازى ـ منشورات جامعة قار يونس ـ ١٩٩٣ ـ ص ٢٤.

تخطيط الحمام:

يؤدى المدخل إلى ممر منكسر مسقوف بقبو طولى، وينتهى الممر بباب. وقد روعى فى هذا الممر أن يكون منكسرًا لأمرين، أولهما حجب من بالداخل، وثانيهما تقليل إندفاع الهواء إلى الداخل. يلى الباب الأخير قاعة الإستقبال حيث يقوم المستحم بتسليم حاجياته، وخلع ملابسه، كما يوجد بها مكان للراحة وشرب المشروبات، وتدخين النارجيلة. ويغطى هذه القاعة قبة كبيرة بها أجزاء مفرغة تغطيها قطع من الزجاج الملون الذى يضفي على القاعة إضاءة هادئة مريحة.

أما قاعات الإستحمام فهى ثلاث، الساخنة وتشتمل على مصاطب ساخنة للجلوس أو النوم عليها، وعمل التدليك، وهى قاعة البخار، ويغطيها قبة كبيرة ترتكز على رقبة مثمنة، وبالقبة فتحات مغطاة بالزجاج الملون. ومن الجدير بالذكر أن القاعات الساخنة فى الحمامات تغطى دائمًا بقباب، لأن الأشكال المعقرة لها خاصية عكس الأشعة الحرارية للداخل والحد من تبددها[1]. أما الحجرات الدافئة والباردة، فأنه يوجد فى كل منها أحواض (مغاطس) تملئ بالماء الساخن أو البارد للإستحمام، وتغطى هذه القاعات بأقباء طولية ومتقاطعة.

كما يلحق بالحمام بعض الملحقات، مثل البئر والساقية، وخزان المياه والمكان الذى يتم فيه حرق الأخشاب وغيرها لتسخين المياه (المستوقد) ويعد حمام درغوت من أحسن حمامات طرابلس حالاً، وأكثرها إستعمالاً كما أنه يعد مثالاً لتخطيط الحمام فى طرابلس. والذى لا يختلف عن غيره من الحمامات فى العالم الإسلامى.

ومن الحمامات الشهيرة فى مدينة طرابلس حمام الحلقة، ويقع فى سوق الحلقة (الملابس الصوفية). ويرجع هذا الحمام إلى العصر العثمانى أيضًا، كما أنه يشبه فى تخطيطه حمام درغوت إلا أنه أقل منه مساحة. والحمام الكبير ويقع

(١) ميسانا (غاسبرى)؛ المعمار الإسلامى فى ليبيا ـ ص ٢٤٢.

بشارع الأربع عرصات، وقد تحول إلى سوق، ولم تتبق من آثاره سوى حجرة كبيرة مغطاه بقبة وهي تمثل قاعة الإستقبال. وقد زالت الكثير من حمامات طرابلس نتيجة لما تتعرض له هذه الحمامات من عوامل التلف مثل الرطوبة وإرتفاع درجة الحرارة، فعند وصف التجانى لمدينة طرابلس فى القرن ٨هـ/ ١٤م ذكر أنه يجاور القصبة (القلعة) حمام صغير إلا أنه بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته، وبالبلد حمامان آخران غيره إلا أنهما فى الحسن دونة[(١)]. وكان البكرى (ق٥هـ/ ١١م) قد أثنى على حمامات المدينة وقال أن بها حمامات كثيرة فاضلة[(٢)].

٣ـ المنشأت التجارية بمدينة طرابلس

مقدمة:

كان لموقع مدينة طرابلس على ساحل البحر المتوسط أكبر الأثر فى إزدهار حركة التجارة بها، فقد أصبحت وسيطًا هامًا فى التجارة بين البلاد الأوروبية ودول أفريقيا. كذلك كانت طرابلس مقصد الحجيج عند سفرهم وعودتهم إلى بلاد الحجاز، وكذلك القوافل التجارية. وتدل كتابات الرحالة الذين مروا بطرابلس فى مختلف العصور على إزدهار التجارة بها، فقد ذكر إبن حوقل أن «المراكب تحط بطرابلس ليلاً ونهارًا»، وترد بالتجارة على مر الأوقات من بلاد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم[(٣)]. كما ذكر الرحالة الهولندى «مارمول» الذى زار طرابلس فى القرن ١٠هـ/ ١٦م أنها كانت أهم ميناء يتوجه إليه القادمون من مالطة والبندقية وصقلية[(٤)] ونتيجة لإزدهار حركة التجارة فى أسواق طرابلس. وإتساع نطاق المعاملات التجارية بها، فقد أنشئت فى طرابلس فى سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٥١م أول محكمة تجارية حيث كانت طرابلس مركزًا للوكلاء التجاريين الأوروبيين والعرب والأفارقة[(٥)].

---

(١) التجانى (أبو محمد عبد الله)؛ الرحلة. ص ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠.

(٢) نقولا زيادة (د)؛ ليبيا فى العصور الحديثة. ص ٤٠.

(٣) ابن حوقل (أبو القاسم محمد)؛ المسالك والممالك (صورة الأرض) ليدن ـ ١٩٣٨. ص ٧٢.

(٤) مارمول (كرينجال) أفريقيا. الجزء الثالث. ترجمة محمد صبحى وآخرون. الرباط ـ ١٩٨٩ ـ ص ١٢١.

(٥) تيسير موسى: المجتمع العربى الليبى ـ ص ١٧٠.

وليس غريبًا والحال كذلك أن تحفل مدينة طرابلس بالعديد من الأسواق والفنادق لإيواء التجار، خاصة وأن حكام طرابلس فى العصر العثمانى إهتموا إهتمامًا كبيرًا بالتجارة لما تدره عليهم من نفع.

أ ـ أسواق طرابلس القديمة:

تحفل مدينة طرابلس القديمة بالعديد من الأسواق. وإن كانت معظم الأسواق الباقية ترجع إلى العصر العثمانى، إلا أن كتابات الرحالة في الفترات السابقة تدل على أن المدينة كانت بها أسواق عامرة، ومن ذلك قول البكرى «بها أسواق حافلة جامعة»[١] كما وصفها الإدريسى فى القرن ٦ هـ/ ١٢م أنها «متقنة الأسواق»[٢]. ومن أهم الأسواق الباقية بها:

- سوق الربع أو الرباع، ويعرف أيضًا بسوق العرب. أنشأه عثمان باشا الساقزلى فى الفترة من سنة ١٠٥٩ ـ ١٠٨٣هـ/ ١٦٤٩ ـ ١٦٧٢م. وسمى بالرباع لأنه تعلوه دور سكنى التجار (رباع)[٣] ويخصص لبيع الأردية الحريرية الموشاة بخيوط الذهب والفضة.

- سوق الترك: أنشأه محمد باشا شائب العين سنة ١١١٠هـ/ ١٦٨٨م. وقد وصفه بعض الرحالة الذين زاروا طرابلس مثل «توللى» و«تحنجال» و«كاوبر» الذى زار طرابلس سنة ١٨٩٥م، وذكر «وهى سوق تركية مستقيمة يستطيع المرء أن يشترى منها كل شيء وفيها دكاكين ذات واجهات زجاجية، وإن كانت طبيعة السوق شرقية، إلا أن معظم الحاجيات المعروضة للبيع غربية»[٤]. ويتفرع من هذا السوق سوق الحرير الذى كانت تصنع به الأردية الحريرية التى تباع بسوق الرباع، وهو من أعمال محمد باشا شائب العين أيضًا، ويقع بمحاذاة الواجهة الشمالية الغربية لجامعه الكائن بسوق الترك.

(١) البكرى (أبو عبيد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب (المسالك والممالك). بغداد. بدون تاريخ. ص ٧.

(٢) إحسان عباس، محمد نجم: ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات. بنغازى ـ ١٩٦٨ ـ ص ١٨.

(٣) الطاهر أحمد الزاوى: معجم البلدان الليبية ـ ص ١٩٨.

(٤) كاوبر (هـ. س)؛ مرتفع الآهات الجمال. توجمة أنيس زكى حسن ـ بدون تاريخ ـ ص ٤١.

ـ كما تضم مدينة طرابلس القديمة عدداً من الأسواق تعرف بأسماء الحرف التى تمارس فيها مثل سوق الخردجية (البقالة) وسوق الحلقة (الأردية الصوفية) وسوق القزدارة وهى مأخوذة من كلمة القصدير الذى تبيض به الأوانى النحاسية التى إشتهر بها هذا السوق، وسوق العطارة وسوق الحدادة، وسوق النجارة، وسوق الخبز، وسوق الخضر، وكان يوجد سوق يسمى «سوق القمل» عند تقاطع سوق الترك مع زنقة الريح، وتباع فيه الملابس المستعملة، وسوق البنادق، وسوق البلاغجية (النعال) وسوق الصاغة، وسوق الفنيدقة لنسج وبيع الأردية النسائية، والسوق الجديد (الشيشمة) الذى أنشأه أحمد باشا القرمانلى شمال قلعة طرابلس. كما أضاف ولاة طرابلس فى العصر العثمانى الثانى بعض الأسواق، منها ما هو داخل أسوار المدينة مثل سوق المشير الذى أنشأه رجب باشا (١٩٠٦ ـ ١٩٠٨م) ومنها ما هو خارج السور مثل سوق العزيزية الذى أنشأه على رضا باشا سنة ١٨٦٧م وسوق الحميدية الذى أنشأه أحمد عزت باشا[١] أما عن تخطيط أسواق طرابلس القديمة فهى عبارة عن مجموعة من الحوانيت مستطيلة الشكل حول ممر يتوسطها، ويتقدم كل حانوت مصطبة تعرض عليها بعض البضائع كما يجلس عليها البائع فى أوقات الراحة. أما الممر الأوسط فأنه يكون مكشوفاً فى حالة الأسواق، وتتم تغطيته بقطع من القماش السميك لتفادى الحرارة والمطر. ولكن مدينة طرابلس تضم بعض القيساريات (البازارات) وهى تختلف عن الأسواق أن لها أبواب تغلق عليها عند نهايتى الممر الذى يتوسط الحوانيت، كما أن الممر يكون مسقوفاً بأقباء متقاطعة وتتخلله فتحات للإضاءة والتهوية، أى أنه يشكل وحدة معمارية مستقلة. ولا زالت معظم هذه الأسواق قائمة وتؤدى نفس النشاط الذى إختصت به من قبل. ومما يجدر ذكره أن منتجات مدينة طرابلس ودواخلها ظهرت لأول مرة فى معرض أوربى سنة ١٨٥١[٢].

(١) عن أسواق طرابلس، انظر: سعيد على حامد: التجارة والأسواق فى طرابلس عبر التاريخ. مجلة تراث الشعب ـ السنة الحادية عشرة ـ العدد الرابع ـ طرابلس ١٩٩١ ـ ١٩٩٢ ص ص ١١٣ ـ ١٣٣.

ـ تيسير موسى: المجتمع العربى الليبيى فى العهد العثمانى. ص ١٩٣.

(٢) سعيد على حامد: المعالم الإسلامية ـ ص ٣٢.

ب ـ الفنادق الأثرية بمدينة طرابلس:

يماثل مبنى الفندق فى غرب العالم الإسلامى الوكالة فى مصر والخان فى بلاد شرق العالم الإسلامى، فهو مكان لإيواء التجار، حيث كانوا يضعون بضائعهم فى الطابق الأسفل، بينما الطوابق العليا للمبيت، ويغلقون غرفهم بأقفال رومية. وكلمة فندق مأخوذة من الكلمة اليونانية Pandokeion[(١)]. ومعناها يقبل الجميع من Pan أى كل، و dochonai أى قبل[(٢)].

وتشير الكتابات إلى أن مدينة طرابلس كانت تضم العديد من الفنادق خلال فترات الحكم الإسلامى، وذلك لإستيعاب الأعداد الكبيرة من التجار التى كانت تفد إليها، وإستمر ذلك حتى إحتلال الإيطاليين للمدينة، فجاء فى إحصائية عن عمائر مدينة طرابلس أن بها فى ذلك الوقت ـ ٣٥ فندقًا[(٣)]. ولكن عدداً من هذه الفنادق قد أصابه الدمار نتيجة الحروب (الحرب العالمية الأولى والثانية) أو بفعل عامل الزمن، مما تطلب تجديده بحيث أصبح لا يحتفظ بشئ من معالمه الأصلية مثل فندق حواص، كما أن بعضها مستخدم من قبل بعض الحرفيين فى ممارسة بعض الأنشطة الحرفية مثل عمال النسيج أو المرخمين، أو كمسكن لبعض العائلات. ومما يذكر أنه كان للفندق حراس يقومون بإغلاق أبواب الفنادق فى وقت مبكر من الليل، ولا يسمح لأحد بدخول أو مغادرة الفندق بعد ذلك إلا عند آذان الفجر.

التخطيط المعمارى للفندق:

تتكون معظم الفنادق القديمة فى مدينة طرابلس من طابقين. ويعتبر الفناء الأوسط المكشوف محور التخطيط حيث يحيط به من أربع جهات أو ثلاث جهات فى بعض الأحيان رواق من عقود دائرية أو حدوة الفرس محمولة على أعمدة أو

---

(١) أدم ميتز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ تعريب محمد عبد الهادى أبو ريدة. طـ٢. ص ٣٨٧.

(٢) طوبيا العنيسى: تفسير الألفاظ. ص ٥٣.

(٣) فرانشيسكو كورو: ليبيا أثناء العهد العثمانى الثانى ـ تعريب خليفة التليسى. ص ١٢٨.

دعامات. ويتوسط أفنية بعض الفنادق فوارة (نافورة) أو حوض رخامى للمياه متصل بئر للمياه. وخلف الرواق يوجد فى الطابق الأرضى مجموعة الحوانيت التى يتم فيها خزن وعرض البضائع، بينما يشكل الرواق فى الطابق العلوى شرفة تتقدم الحجرات المخصصة لمبيت التجار. كما يشتمل الفندق على المرافق الضرورية مثل دورة المياه والمطبخ وإسطبل للدواب حيث كانت تأوى الخيول والجمال الخاصة بالتجار، كما كانت بعض الفنادق تقوم بتأجير الخيول للسفر إلى الدواخل[1]، ومقهى، كما وجد فى بعض الفنادق مصلى. ويؤدى إلى الفندق فتحة باب معقودة تؤدى إلى ممر مقبى أما بقبو طولى أو أقباء متقاطعة، على أحد جوانبه يوجد الدرج المؤدى إلى الطابق الأعلى، وعلى الجانب الآخر مجرتان أحداهما تستعمل مقهى بينما كانت الحجرة الأخرى مخصصة لإقامة الحراس والقائمين على إدارة الفندق. وكانت بعض الممرات منكسرة مثل ممر فندق الهنشيرى. وينتهى الممر إلى الفناء الأوسط المكشوف. ويذكر «ميسانا» فى كتابه المعمار الإسلامى فى ليبيا أن فندق الزهر الذى يعد مثالاً لطراز الفنادق فى طرابلس، يشبه فى تخطيطه أديرة القرن ١٥م بتوسكانا فى إيطاليا[2]. إلا أن هذا التخطيط لا يختلف مطلقا عن تخطيط الوكالات والخانات فى مختلف بلدان العالم الإسلامى، كما أنه لا يختلف عن تخطيط المنزل الإسلامى إلا فى عنصر المدخل المنكسر فى المنزل، وفى التقسيم الداخلى للحجرات.

أهم الفنادق الأثرية:

ـ فندق بن زكرى:

يقع فى مواجهة سوق الصاغة، كما تمتد واجهتيه مطلة على سوق العطارة وشارع طريق الحلقة. وينسب إلى مصطفى بن زكرى الذى ولد بمدينة طرابلس سنة ١٨٥٣م ومات بها سنة ١٩١٧م، وقد تلقى تعليمه بمدرسة عثمان باشا

(١) فرانشيسكو كورو: المرجع السابق ـ ص ١٢٩.

(٢) ميسانا (غاسيرى): المعمار الإسلامى فى ليبيا ـ ص ٢٤٤.

بطرابلس، وكان عضوا بمجلس إدارة الولاية، ورئيسًا لمكتب الفنون والصنائع، كما عمل بالتجارة[1]. أما مؤسس الفندق فهو على أفندى الذى تشتمل اللوحة المثبتة أعلى مدخل الفندق على إسمه.

يؤدى باب الفندق الذى يوجد فى الجدار الشمالى الشرقى إلى دركاه مغطاة بثلاثة أقباء متقاطعة، وتنتهى الدركاه إلى الفناء الأوسط، وهو مستطيل أبعاده ١١,٧٠م× ٨,٣٠م يحيط به رواق من ثلاث جهات معقودة بعقود حدوة فرس ترتكز على أعمدة ذات تيجان حفصية وقرمانلية الطراز، بينما يشغل الجانب الرابع دورات مياه مضافة حديثًا. وخلف الرواق فى الجهات الثلاث الأخرى توجد مجموعة الحوانيت. ويشغل الطابق الثانى رواق من أربع جهات يشكل شرفة تطل على الصحن، وخلفها مجموعة من الحجرات مستعملة حاليًا كورش للصاغة.

ـ فندق الزهر:

شيده الوجيه قرجى فى آواخر العصر القرمانلى ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، وهو إن كان يتبع نفس إسلوب تخطيط فنادق طرابلس، إلا أنه يتميز بأن فناؤه مستطيل الشكل وليس مربعا كبقية أفنية فنادق طرابلس، كما يتميز بالإطارات الحجرية التى تحدد عقد المدخل، والتكسية بالبلاطات الخزفية التى تغطى كوشتى عقد المدخل[2].

ويقع فندق الزهر بسوق المشير بمدينة طرابلس القديمة، وقد أطلق عليه فندق الزهر لأنه كانت تودع به الزهور التى ترسل إلى إستانبول لإستخلاص العطور منها[3]. وكان الفندق ملكًا لعائلة قرجى.

يتكون الفندق من طابقين حول فناء أوسط مستطيل يحيط به رواق من ثلاث

(١) الطاهر أحمد الزاوى: اعلام ليبيا. مكتبة الفرجانى ـ طرابلس ـ ١٩٦١. ص ص ٣٤٠ ـ ٣٤٣.
(٢) ميسانا (غاسبرى)؛ المرجع السابق ـ ص ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
(٣) كورو (فرانشيسكو)؛ فنادق طرابلس القديمة المميزة. توجمة محمود التائب. مجلة آثار العرب. العدد الأول ـ طرابلس . سبتمبر ١٩٩٠. ص ٨٨.

جهات، من عقود نصف دائرية محمولة على أعمدة ذات تيجان من النوع الحفصي والقرمانلي بينما يتقدم حجرات الطابق الثاني رواق يشكل شرفة تطل على الفناء الأوسط من أربع جهات. ويؤدى إلى الفندق فتحة باب معقودة بعقد نصف دائرى تؤدى إلى ممر مسقوف بثلاثة أقبية متقاطعة. وعلى جانب الممر الدرج المؤدى إلى الطابق العلوى، بينما يوجد على الجانب الآخر منه مقهى. (شكل ١٤).

- فندق الهنشيرى:

يوجد أعلى المدخل المؤدى إلى الفندق لوحة تشتمل على ثلاثة أسطر من الكتابة وتشير إلى مؤسس الفندق وهو «المحترم التاجر الحاج محمد بن الحاج على الهنشيرى»، كما تشتمل على تاريخ التأسيس وهو سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م.

ويقع الفندق بسوق الترك إلى الجنوب الغربى من جامع شائب العين.

ويستدل من البقايا المعمارية للفندق أنه كان مكونا من طابقين، وأن الحوانيت فى الطابق الأسفل كانت تطل على الفناء مباشرة ولا يتقدمها رواق، أما الطابق الأعلى فكانت تتقدمه شرفة من جهة واحدة فى الجهة الشمالية الشرقية. ويتميز الفندق بأن له ممر منكسر يلى الباب، على أحد حوانبه الدرج المؤدى للطابق الأعلى.

- فندق زميت:

يوجد على يمين المدخل لوحة حجرية تشتمل على ثمانية أسطر من الكتابة وأسفلها تاريخ الإنشاء وهو سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٣٥م.

يقع الفندق بشارع مخزن الرخام بالقرب من جامع قورجى وقوس ماركوس أوريليوس.

ويطابق الفندق فى تخطيطه طراز الفنادق الطرابلسية، فتؤدى إليه فتحة باب

معقودة بعقد نصف دائرى، تؤدى إلى ممر يشغل أحد جوانبه الدرج المؤدى إلى الطابق الأعلى، بينما يشغل الجانب الأخر حاصلان. وينتهى الممر إلى الفناء الأوسط المكشوف، يحيط به رواق من أربع جهات، يتكون من عقود نصف دائرية، محمولة على أعمدة ذات تيجان من النوع القرمانلى. وفى الطابق العلوى يكون الرواق شرفة تتقدم الحجرات من أربع جهات. (صورة ٣٢).

ـ فندق ميزران:

أنشأه رمضان ميزران الذى أنشأ جامع ميزران خارج أسوار مدينة طرابلس القديمة، يقع بطريق الحلقة بمدينة طرابلس القديمة.

ويتبع الفندق التخطيط السائد فى فنادق طرابلس، ولكنه يتميز بأن كوشة عقد المدخل مكسوة ببلاطات القاشانى ذات الزخارف النباتية المتعددة الألوان كما أن الرواق المحيط بالفناء يتميز بأن عقوده فى الطابق الثانى محمولة على دعامات قطاعها مربع وليس على أعمدة. كما أن دركاة المدخل مغطاة بسقف مسطح وليست مقببة بأقباء طولية أو متقاطعة، كذلك الحجرات جميعها ذات أسقف خشبية مسطحة.

ـ فندق العدلونى:

يقع بشارع الفنيدقة.

يتفق هذا الفندق من حيث التخطيط مع الفنادق القديمة بمدينة طرابلس فى عدة مظاهر، ومنها: المدخل المعقود، والدركاه التى تليه والمغطاة بأقبية متقاطعة وكذلك أنه يتكون من طابقين. إلا أنه يتميز عنها فى أنه يشتمل على فنائين تتوزع حولهما بقية الوحدات، أحد هذين الفنائين مستطيل والآخر مربع. وتحيط الحجرات بالفناء المستطيل من أربع جهات فى طابق واحد ولا يتقدمها رواق وإنما توجد ظلة أو سقيفة فى الجانب الشمالى الشرقى منه محمولة على أربعة أعمدة خشبية. أما الفناء المربع فأنه يحيط به رواق من ثلاث جهات، خلفه مجموعة

الحجرات فى طابقين. ونظرًا لأن الفندق منقسم إلى قسمين، فإن الدرج المؤدى إلى الطابق الثانى يوجد فى الجانب الشمالى الشرقى فى الفناء المربع.

* * *

كما تضم مدينة طرابلس القديمة عددًا آخر من الفنادق، من أهمها: فندق الطوبجية بزنقة زى الموميا المتفرعة من شارع الفنيدقة، وفندق سيالة بشارع الفنيدقة، وفندق أبو دلغوسة فى زنقة الحلقة المتفرعة من طريق الحلقة وفندق الغدامسية بشارع الفنيدقة، وفندق حواص بنفس الشارع.

ويلاحظ أن معظم هذه الفنادق قد طرأت عليها أعمال تجديد وإضافة، وتغيرت بعض معالمها الأصلية، كما أن معظمها يحتاج إلى أعمال الصيانة والترميم.

جـ- القنصليات القديمة بمدينة طرابلس:

من المعلوم أن القنصلية تدخل فى نطاق العلاقات الدبلوماسية بين الدول فهى من المنشآت التى تؤدى دورًا سياسيًا، كما أنها تؤدى مهام متنوعة منها الحفاظ على رعايا الدولة التابعة لها، وتيسيير قيامهم بطقوسهم الدينية، كما أنها تؤدى دورًا تجاريًا هامًا. ولعل ذلك يتضح من مراجعة المادة الرابعة للمعاهدة الموقعة بين كل من محمد باشا القرمانلى وإنجلترا وذلك فى ٢٩ شوال سنة ١١٦٤هـ/ ١٧١٤م والتى نصت على «للتجار رعايا إنجلترا فى طرابلس حق بيع البضاعة الواردة من الخارج فى دار القنصلية وأن يحصل القنصل الضرائب منهم»[١].

أما قيام القنصلية بالدور الدينى، فإنه يتضح من المادة الرابعة عشرة من المعاهدة المبرمة بين يوسف باشا القرمانلى، وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك فى ٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٠هـ/ ٤ يونيو ١٨٠٥م، وتنص على «إحترام الطرفين للطقوس والتقاليد الدينية، ومزاولة رعايا الطرفين لطقوسهما فى دور القناصل»[٢].

(١) ميكاكى (دودلفو) طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القره مانللى. ترجمة طه فوزى مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى. القاهرة. جامعة الدول العربية - ١٩٦١. (الملحق الوثائقى إعداد كمال الدين الخربوطلى) ص ٩.

(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ نفس المرجع - ص ٤٧.

ولم تكن حماية القنصلية قاصرة على رعاياها فحسب، بل أنها كانت توفر الرعاية لكل من يلجأ إليها. ومن الحوادث الطريفة فى هذا الشأن أن فاطمة التى كانت الخادمة المحببة إلى اللالة حلومة والدة كل من يوسف القرمانلى الذى تولى حكم طرابلس، وحسن القرمانلى الذى قتله يوسف، قد حدث خلاف بينها وبين يوسف باشا القرمانلى، وذلك بعد أن حكيت قصة إغتيال يوسف القرمانلى لأخيه حسن، كما راحت تلوم يوسف لمعاملة السيئة لأبناء أخيه القتيل، فأهدر يوسف دمها، مما إضطرها إلى الهرب، وما أن وصلت إلى أقرب قنصلية، وهى قنصلية البندقية، ولمست بأصبعها باب القنصلية، فكان ذلك كافيًا لتقديم الحماية لها، وذهب القنصل إلى يوسف وطلب منه إلغاء الحكم الصادر ضد فاطمة، فوافق، وعادت فاطمة خادمة لأمه «لالة حلومة»[1].

- أهم القنصليات القديمة بطرابلس:

القنصلية الفرنسية: تقع فى زنقة الفرنسيس بمنطقة باب البحر وتعد من أهم القنصليات القديمة، وذلك لأنها أقدمها تاريخًا، وأحسنها حالاً، فقد أنشئت فى سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣٠م وذلك فى عهد مصطفى شريف، ثانى داى عثمانى يتولى حكم طرابلس بعد صفرداى، وإستمر فى الحكم من سنة ١٠٣٠هـ/ ١٦١٩م حتى سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣٠م[2].

ولمبنى السفارة قيمة تاريخية وأثرية، إذ أن إحتفاظها بعناصرها المعمارية والزخرفية يمكن التعرف منه على طراز القنصليات فى طرابلس.

القنصلية الإنجليزية: على الرغم من أن العلاقات بين إنجلترا وطرابلس قد شهدت تقدمًا فى العصر العثمانى الأول، إلا أن تأسيس مبنى للقنصلية الإنجليزية فى طرابلس لم يحدث إلا فى الربع الأخير من القرن ١١هـ/ ١٧م، فقد كانت الأمور المتعلقة بمختلف العلاقات بين إنجلترا وطرابلس يقوم برعايتها القنصل

(١) توللى (ا) عشرة أعوام فى طرابلس - ص ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢) مجموعة: تاريخنا - ليبيا. الكتاب الخامس - ص ٥٥.

الإنجليزى فى الجزائر «جون تيبون John Tipton»، وذلك بعد أن أسست إنجلترا قنصلية لها فى الجزائر سنة ١٥٨٥م. كما أن إنجلترا أرسلت صمويل توكر Samual Taker قنصلاً لها فى طرابلس، وقام بإدارة الشئون القنصلية لبلاده ما بين سنة ١٦٥٨م وسنة ١٦٦٨م[١]. إلا أن هناك رأى بأن أقدم قنصلية لإنجلترا فى طرابلس ترجع إلى سنة ١٦٧٨م وذلك بعد الحملة البحرية التى قام بها» بليك Blake على ميناء طرابلس[٢].

القنصلية الهولندية: أقيمت فى العصر العثمانى الأول، وعلى وجه التحديد فى الفترة التى إستطاع فيها «على الروملى الجزائرلى» من الوصول إلى حكم طرابلس (١٠٩٣ ـ ١٠٩٥هـ/) فقد عقد صلحًا مع الهولنديين سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م وفتح أول قنصلية لهولندا فى طرابلس[٣].

قنصلية البندقية: تقع فى زنقة القمرى بالقرب من مسجد درغوت باشا بمدينة طرابلس ويتضح من حجة صادرة من محكمة طرابلس الشرعية بتاريخ أخر محرم ١٢١١هـ، الموافق ٦ أغسطس ١٧٩٦م، أن الدار التى أقيمت بها هذه القنصلية كانت ملكًا لـ «لالة حلومة» أم يوسف باشا القرمانلى ثم باعتها ليوسف القرمانلى[٤].

ـ التكوين المعمارى لمبنى القنصلية:

أوردت الكاتبة توللى التى قضيت عشر أعوام فى مدينة طرابلس، أقامت خلالها فى مبنى القنصلية الإنجليزية التى تقع بشارع الأكواش (المخابز) بمنطقة باب البحر، وصفًا تفصيليًا لمبنى القنصلية، يظهر من خلاله أن القنصلية ظلت محتفظة بالعناصر المعمارية الأساسية لها، فهى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل

(1) Godfreg (F); Barbauy Legned War. Trade and Piracg in Nor th Africa. 1415 - 1830. Oxford. 1927. P. 308.

(٢) توللى (ا)؛ المرجع السابق ـ ص ص ٢١ ـ ٢٢.
(٣) مجموعة: تاريخنا ـ ليبيا. الكتاب الخامس ـ ص ٥٧.
(٤) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق ـ هامش ص ١٤٠.

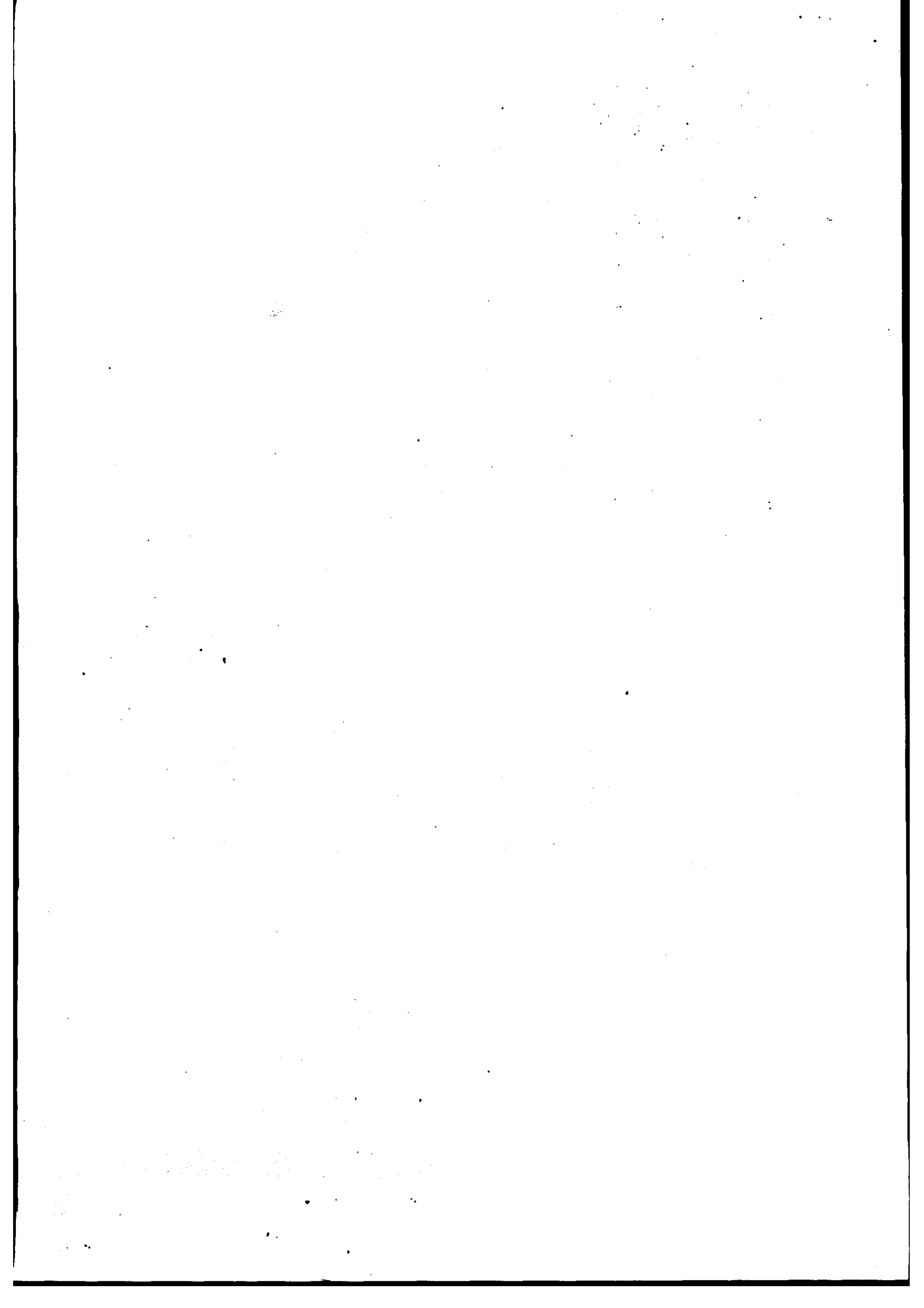
يؤدى إليها بابان يقضى كل منهما إلى سقيفة أو ممر مسقوف على جانبيه مصاطب جلوس أصحاب المطالب وغيرهم حتى يؤذن لهم بالدخول. وينتهى الممر إلى فناء أوسط مكشوف تتوسطه فوارة وحوض زهور محاط بأشجار. ويحيط بالفناء خلفه مجموعة من الحجرات مخصصة للخدم والموظفين الذين كانت تمدهم الولاية إلى القنصلية، لخدمة القنصل وأفراد أسرته وحمايتهم، كما يوجد بهذا الطابق الأرضى المطبخ والمخزن والسجن الخاص بالقنصلية. وفى أحد جوانب هذا الطابق يوجد الدرج الذى يؤدى إلى الطابق الذى يتكون هو الآخر من شرفة تطل على الصحن، وخلفها مجموعة الحجرات الخاصة بإقامة القنصل وأفراد أسرته، ومن يأويهم من أبناء دولته. ويلاحظ فى مبانى كافة القنصليات قربها من البحر وذلك لمتابعة السفن القادمة أو المغادرة لميناء طرابلس[1].

كما يلاحظ فى عمارتها إشتمالها على بعض العناصر المعمارية الأوروبية.

ويتضح من الوصف المعمارى للقنصلية أنها تتفق فى التخطيط مع المنازل والفنادق من حيث وجود فناء أوسط يعد محور التخطيط، تتجمع حوله بقية العناصر والوحدات المكونة لمبنى القنصلية.

* * *

(١) توللى (أ)؛ المرجع السابق - ص ٣٨.



الفصل الخامس

العمارة الحربية بطرابلس

كان للموقع المتميز لمدينة طرابلس على ساحل البحر المتوسط أكبر الأثر فى الظروف السياسية التى واجهتها، والتى أثرت بدورها على الإتجاهات العمرانية للمدينة وخاصة العمارة الحربية حيث كانت طرابلس مطمعًا دائمًا للقوى الأجنبية، مما دفع الحكام وكذلك الأهالى إلى الإهتمام بتحصين المدينة. وقد تبقت بمدينة طرابلس بقايا من السور الذى كان يحيط بها من الشرق والجنوب والغرب. وقد بنى هذا السور فى البداية فى عصر الإمبراطور الرومانى سبتموس سيفيروس (١٩٣- ٢١١م)[١]. ونظرًا لما أصاب هذا السور من تهدم لبعض أجزائه، فقد أعاد عبد الرحمن بن حبيب والى أفريقية بناؤه فى سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م من جهاته الثلاث، إلى أن قام سفيان بن المضاء، والى هرثمة بن أعين على طرابلس بإضافة الضلع الرابع المواجه للبحر[٢]. كما تم تأسيس أول رباط للجند فى شمال أفريقيا فى عهد هرثمة بن أعين، وكان ذلك بمدينة طرابلس سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، أى قبل الرباط الذى أنشأه نفس الوالى بالمنستير بتونس سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م[٣].

---

(١) ولد سبتموس سيفيروس بمدينة لبدة الليبية سنة ١١٤م، وتعلم فى روما ثم إلتحق بالجيش الرومانى سنة ١٦٤م، وترقى فى المناصب حتى صار نائبًا عن لبدة بمجلس الشيوخ بروما، إلى أن صار إمبراطورًا سنة ١٩٣م. وقد اقام عدة إصلاحات بلبدة وغيرها من المدن الليبية وذلك سنة ٢٠٣م. من أهمها قوس النصر الذى يحمل إسمه بمدينة لبدة. وقد توفى بمدينة يورك فى إنجلترا فى ٤ فبراير سنة ٢١١م (أنظر نجم الدين غالب الكيب: مدينة لبدة. الإسم والنشأة والتاريخ. طرابلس ١٩٨١. ص ص ١٩١ - ١٩٣).

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا - مصر ١٩٥٤ - ص ٣٥.

(٣) عثمان الكعاك: محاضرات فى مراكز اللثقافة فى المغرب من القرنه ١٦ - ١٩م. القاهرة - ١٩٥٨ - ص ١٦.

وفى فترة حكم الأغالبة لطرابلس (١٨٤ ـ ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م) كانت المحارس والمراقب والرباطات والقلاع منتشرة على طول ساحل البحر المتوسط، ولكن معظمها قد زال بفعل بعض العوامل السياسية ومن أهمها هجوم قبائل بنى سليم وبنى هلال على الشمال الأفريقى حيث تلقت طرابلس الضربة الأولى، وكذلك هجوم القوى الأوربية المتكرر على طرابلس.

لذلك فقد بقى سور المدينة من أهم معالم العمارة الحربية بها فى مختلف العصور، فعند زيارة الرحالة «البكرى» لطرابلس وصفها قائلاً «وعلى طرابلس سور ضخم جليل البنيان»[١]. ويدل حديث «التجانى» عن طرابلس أن سورها كان فى حالة جيدة، حيث قال «ورأيت بسورها من الإعتناء وإحتفال البناء مالم أره لمدينة سواها. كما قدم التجانى وصفًا لتكوين السور فذكر أنه يتكون من سور أمامى، يليه سور أقل منه إرتفاعًا (فصيل) يعرف بالستارة ويتخلل السور والفصيل مجموعة من الأبواب، وهى الباب الأخضر (باب زناتة) وباب الستارة أو باب عبد الله نسبة إلى عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الذى فتح هذا الباب بالسور، وباب هوارة، وباب البحر[٢]. كما أشاد الحسن الوزان الذى زار طرابلس فى القرن ١٠هـ/ ١٦م بأسوار المدينة ومتانتها.

وفى العصر العثمانى الأول ونتيجة لتزايد أعمال القرصنة التى كان يمارسها الإسطول الليبى فى البحر المتوسط، وتحسب الولاة العثمانيون من هجوم الدول الأوربية على طرابلس، فقد إزداد الإهتمام بتحصين المدينة وتقوية أسوارها. ومن هذه الأعمال الحصن الذى أنشأه مراد أغا أول الولاة العثمانيين لطرابلس فى الجانب الشمالى الشرقى للمدينة[٣]. وكذلك الإصلاحات التى قام بها درغوت باشا والتى شملت الستارة الجنوبية الممتدة من القلعة حتى الباب الجديد، وإنشاء برج التراب فى الجانب الشمالى الغربى من السور. وتشير لوحة رخامية محفوظة

(١) البكرى (ابو عبد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب. الجزائر ١٨٥٧. ص ٧.

(٢) التجانى (ابو محمد عبد الله)؛ المرجع السابق. ص ٢٣٨.

(٣) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق ـ ص ١٨٣.

بمتحف الفن الإسلامى بطرابلس عليها كتابات باللغة التركية إلى أن «صفرداى» قام فى سنة ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م بتجديد باب البحر. وفى سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م قام عثمان باشا الساقزلى بإضافة خمسة أبراج على السور المواجه للبحر، كما أحاط حصن المندريك الذى يحمى الميناء من الجهة الشمالية الغربية بسور على شكل هلال[1]. (شكل ١٥).

ولم يقل إهتمام القرمانليين بتحصين مدينة طرابلس عن سابقيهم، ففى عهد أحمد باشا القرمانلى تم إصلاح وتجديد حصن المندريك الذى أنشأه عثمان باشا الساقزلى، وأنشأ الحصن الذى كان يطلق عليه حصن الفرنسيس أو الحصن الفرنسى، والذى يبعد خمسين ذراعًا عن السور الشمالى للمدينة، أمام برج التراب الذى أنشأه درغوت وإستخدمه الماريشال «دى إستراى» أثناء إغارته على طرابلس سنة ١٦٨٥م[2]. كما نالت أسوار المدينة إهتمام أحمد القرمانلى تحسبًا لهجوم فرنسا على طرابلس، فقام بتقوية الأسوار التى كانت محصنة بستة أبراج، كما كان يتخللها بابان، أحدهما فى الجهة الجنوبية وهو باب المنشية والأخر فى الجهة الغربية تجاه الميناء وهو باب البحر[3]. وبالفعل تعرضت طرابلس سنة ١٧٣٨م لهجوم فرنسى عنيف أدى إلى تدمير أكثر من ثلث المدينة ومن ضمنها الأسوار، ويبدو أن هذا الدمار الذى تعرضت له الأسوار ظلت تعانى منه فترة طويلة، فعند وصف القنصل الفرنسى لطرابلس سنة ١٢٠١هـ/ (فترة حكم على باشا الأول بن محمد باشا القرمانلى) ذكر «... وأسوار المدينة إنهارت كلها، والحصون آخذة فى التداعى، وليست طرابلس الآن سوى صحراء موحشة»[4].

وفى عهد يوسف باشا القرمانلى تم إصلاح الأسوار إبتداءً من السور المواجه للبحر[5].

(1) Aurigemma (S); DP. cit. P. 259.

(٢) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٤٥.

(٣) ميكاكى (ردولفو)؛ المرجع السابق - ص ص ٤١ - ٤٤.

(٤) مجموعة: ليبيا - جـ ٥ - ص ص ٧٤ - ٧٥.

(٥) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ١٣٤.

وفى العصر العثمانى الثانى إهتم الولاة بإصلاح وترميم الأسوار وفتح أبواب جديدة بها، ففى سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٥م قام الوالى أحمد عزت بفتح باب بالسور عرف بالباب الجديد، كما تم فى ذلك العصر، وبالتحديد فى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م فتح باب الحرية[1]. (شكل ١٦).

- قلعة طرابلس:

تشغل القلعة الركن الجنوبى الشرقى من مدينة طرابلس القديمة. وتعتبر من أهم معالم المدينة، وذكذلك من أهم العمائر الحربية الباقية بها، كما تعتبر سجلاً حيًا لتاريخ المدينة فى فترات تاريخية عديدة. وتختلف الأراء حول الأصول الأولى لبناء القلعة، فهناك رأى بأنها ترجع إلى العصر الرومانى، وأراء أخرى بأنها ترجع إلى العصر البيزنطى. وأى كان تاريخ بنائها، فإن أقدم الآثار الباقية بها ترجع إلى فترة الإحتلال الأسبانى لمدينة طرابلس (١٥١٠ - ١٥٣٠م)، فقد إهتم الأسبان بتحصين القلعة لمواجهة الأساطيل العثمانية التى كانت تقوم بإغارات على معاقل الأسبان على البحر المتوسط. ومما زاد من إهتمام الأسبان بتحصين القلعة أن الأساطيل العثمانية أصبحت على مقربة منهم، خاصة بعد أن تمكن العثمانيون من غزو مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، والمغرب الأوسط (الجزائر) سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م. وبعد رحيل الأسبان عن طرابلس وتنازلهم عنها لفرسان مالطة (فرسان القديس يوحنا) سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م تمكن العثمانيون من الإستيلاء على تونس سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م. ومن الإصلاحات التى قام بها الأسبان بالقلعة إصلاح البرجين اللذين يطلان على مدينة طرابلس وأطلقوا على أحدهما برج القديس يعقوب. كما أطلقوا على الأخر برج القديس جورج، وسمى الفناء الذى يلى ردهة المدخل «ساحة القديسة بربارا»[2]. كما قام الأسبان بتحويل إحدى قاعات القلعة إلى كنيسة عرفت بكنيسة «ليوناردو».

(١) سعيد على حامد: المرجع السابق - ص ص ٢٦ - ٣٠.

(٢) سعيد على حامد: المرجع السابق. ص ٢٤.

وقد شهدت القلعة العديد من الإصلاحات خلال فترات الحكم العثمانى لطرابلس، فبعدما تمكن العثمانيون من طرد فرسان مالطة (فرسان القديس يوحنا) من طرابلس سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م صارت القلعة مقراً للحكم مثلما كانت عليه من قبل[١]. وبالتالى فقد كان الإهتمام بتحصين القلعة لتحقيق هدفين؛ الدفاع عن المدينة وحمايتها، والحفاظ على ملكهم وأنفسهم من الإعتداءات الخارجية وثورات المتمردين فى الداخل. وقد بدأت هذه الإصلاحات مع بداية الحكم العثمانى لطرابلس، حيث قام مراد أغا ـ أول ولاة العثمانيين فى طرابلس ـ بإصلاح وترميم القلعة[٢]. وإهتم درغوت بإصلاح القلعة وشيد بها برجًا مكان البرج الذى أطلق عليه فرسان مالطة برج القديس بطرس، وأطلق عليه برج درغوت، كما أقام فى الجانب الجنوبى من القلعة دار البارود، إلى جانب باب المنشية، لكنها لم تكتمل فى عَصره وإنما أكمل بناؤها خليفته «قليج على» سنة / ١٥٦٥م، ويوجد مكانها الآن سوق الصناعات المحلية[٣]. وقد أدى إقامة تلك الدار فى ذلك المكان إلى سد الثغرة التى كانت بين سور المدينة والحى اليهودى، التى سبق وإستفاد منها الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى الهجوم على طرابلس.

وتوالت إصلاحات حكام العصر العثمانى الأول على القلعة ومنها تحويل الكنيسة التى إستحدثها الأسبان فى إحدى قاعات القلعة إلى مسجد، وكان ذلك فى فترة حكم مراد أغا، إلا أنه فى فترة حكم «محمد باشا الساقزلى» تم ترميم وإصلاح هذا المسجد، وتشير إلى ذلك لوحة رخامية محفوظة بالمتحف الإسلامى فى طرابلس.

وفى العصر القرمانلى أضيفت مَبَان جديدة للقلعة منها دار لسك العملة

(١) عند حدي° التجانى عن رحلته إلى طرابلس ذكر أنه نزل فى ضيافة الوالى الحفصى فى قصبة البلد (القلعة) أنظر: التجانى: الرحلة ـ ص ٢٣٧.

(٢) روسى (إيتورى)؛ المرجع السابق ـ ص ١٨٣.

(٣) خليفة محمد التليسى: حكاية مدينة. ص ص ٧٩ ـ ٨٠.

«ضربخانة» ومبان جديد للسكنى حول بهو يعرف الآن بالبهو القرمانلى، كما أعتنى بزخرفتها ببلاطات القاشانى التركية والأوربية شبيهة بما هو موجود في كل من جامع أحمد باشا القرمانلى وجامع قورجي، وكذلك بالزخارف الجصية التى تمثل بوائك من العقود الصماء التى ترتكز على أعمدة، وهو النمط الزخرفى الذى شاع فى العمارة الدينية والمدنية منذ العصر العثمانى الأول.

وأصبحت القلعة فى العصر القرمانلى عبارة عن مساحة مربعة تتخللها أربع فتحات أبواب، بابان نحو المدينة، وبابان خلفيان، أحدهما تجاه الميناء، والآخر يفتح على الأراضى الزراعية التى تجاور القلعة[1]، وتضم بداخلها قاعات العرش، ومكاتب كبار موظفى الولاية، ومسكن الحاكم وأفراد أسرته وأتباعه والخدم، حيث كانت تضم القلعة مخازن ومطاحن للغلال ومخبز، كما كان ملحقًا بها حمام وصيدلية، وسجن للأسرى. كما يدل حديث الطبيب «جوناثان كودرى» الذى بقى أسيرًا فى القلعة من سنة ١٨٠٣م إلى سنة ١٨٠٥م أنه كان بالقلعة مستشفى صغير (صورة ٣٣).

وفى فترة الإحتلال الإيطالى لطرابلس كانت القلعة مقرًا للحكم أيضًا، وتم بناء المعبر الذى يربط بين الجزء القديم من مبنى القلعة والذى كان مقرًا للحكم، والأجزاء التى بنيت فى العصر القرمانلى وكانت مسكنا لأفراد البيت القرمانلى وأسرهم وأتباعهم. كما تم تجميل أفنية القلعة بالنافورات التى جلبت من منازل طرابلس القديمة، ومنها النافورة التى جلبت من منزل عثمان باشا الساقزلى وتوجد فى الفناء الذى يتقدم القسم القرمانلى من القلعة. (صورة ٣٤).

ويشغل القلعة الآن إدارات مصلحة الآثار الليبية، كما كان ملحقًا بها عدد من المتاحف إلا أنها هدمت وأقيم مكانها متحف واحد يضم التراث الليبيى فى مختلف العصور، ويعرف بالمتحف الجماهيرى. ويطلق على مبنى القلعة إسم «السرايّ الحمراء»[2]، وذلك لأن جدرانها كانت تطلى دائمًا باللون الأحمر،

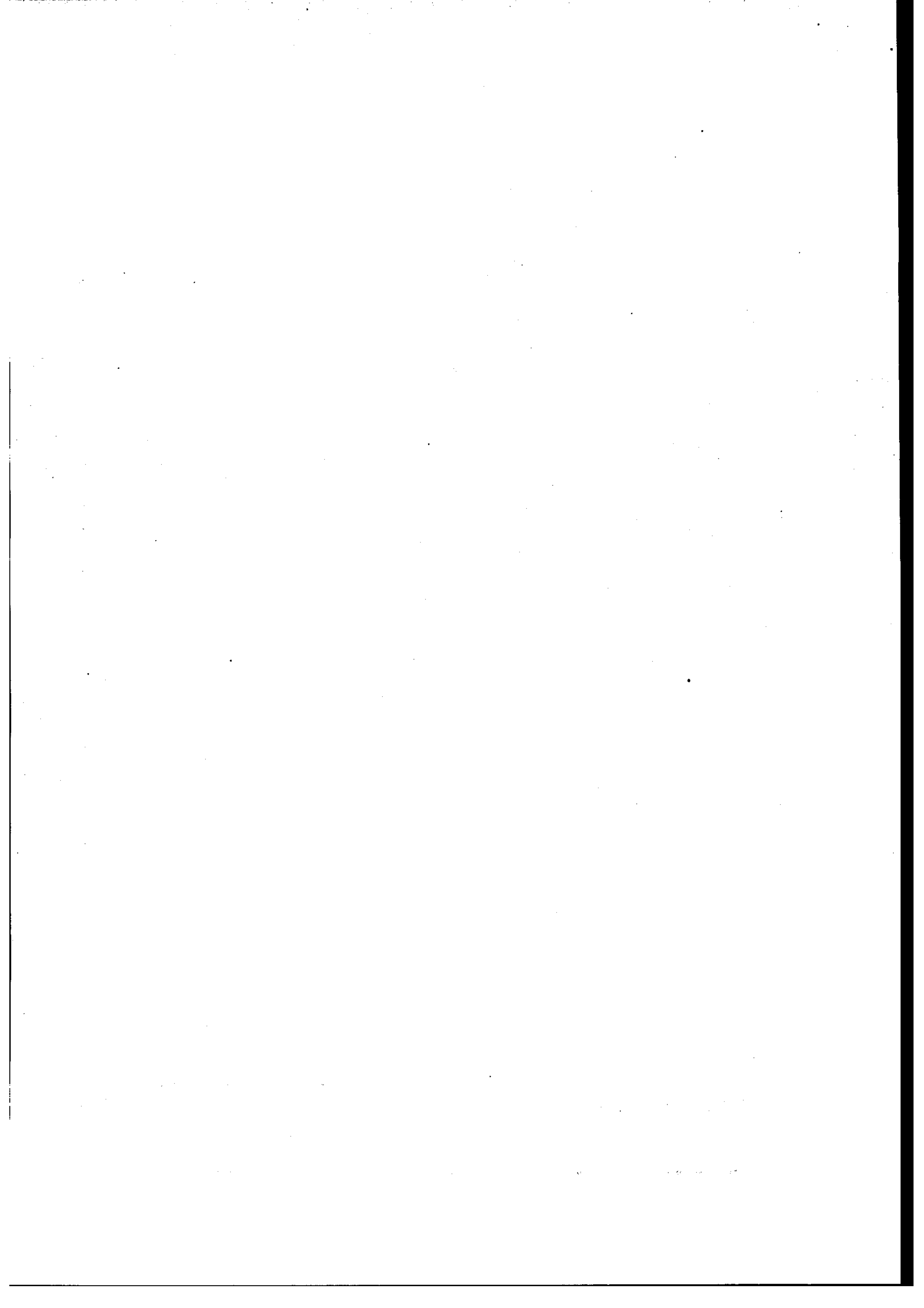
(١) ميكاكى (رودلفو)؛ المرجع السابق - ص ٤٤.

(٢) كلمة سرايّ كلمة فارسية إستخدمها الأتراك للدلالة على قصر الحاكم أو الوالى.

ويبدو أن وصفها بالحمراء صفة حديثة حيث لم ترد فى كتابات الرحالة والمؤرخين الذين تحدثوا عن القلعة. ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه التسمية أطلقت على بعض المنشآت المدنية والحربية فى أماكن مختلفة من العالم الإسلامى، ومن ذلك قصور الحمراء فى غرناطة، التى سميت بذلك نسبة إلى لون التربة فى هذه المنطقة، كما أطلق على مدينة مراكش المغربية عندما أسسها الموحدون «حمراء لمتونة الموحدين» وذلك لإحمرار تربتها وأسوارها، كما كانت تعرف بـ «حمراء الحوز» لوقوعها فى وسط سهل الحوز. كما توجد بمدينة دهلى «نيودلهى» بالهند «القلعة الحمراء» التى شيدها الإمبراطور المغولى الهندى «شاه چيهان» سنة ١٦٣٩م، وذلك لإستخدام الحجر الرملى الأحمر فى بنائها[١].

* * *

(١) انظر: Ebb Koch: Mughal Architecture. An outline of its History and Development. 1526 - 1858. New Delhie. 1991. P. 111.



متاحف طـــرابلس

ـ متحف الفن الإسلامى:

يقع بشارع سيدى خليفة بمدينة طرابلس فى مبنى أثرى شيد أثناء فترة حكم على باشا القرمانى ١٨٣٢ ـ ١٨٣٥م، على الطراز المعمارى الإسلامى. وأفتتح المتحف فى أول سبتمبر عام ١٩٧٣م فى إطار إهتمام الثورة الليبية بإبراز جوانب التراث الحضارى الليبى.

ينقسم المتحف إلى عدة قاعات تضم الأولى مجموعة من الصور الفوتوغرافية لأهم المعالم الأثرية الإسلامية فى ليبيا، مثل جامع الناقة بطرابلس، وجامع قورجى بطرابلس، والجامع العتيق ببنغازى، والجامع العتيق بنالوت، وجامع مرزق وجامع سيدى عبد السلام الأسمر بزليطن، وغيرها. بالإضافة إلى مجموعة من الصور تمثل طراز بعض العناصر المعمارية مثل المآذن والمحاريب والمنابر والأبواب وقد أعدت هذه الصور للمشاركة فى معرض الفن الإسلامى، الذى أقيم فى لندن سنة ١٩٧٦م.

وتضم القاعة الثانية مجموعة من المسكوكات الإسلامية بداية من العصر الأموى حتى نهاية العصر العثمانى (١٨٣٥ ـ ١٩١١م) ومنها مجموعة من العملات من عصر الدولة الأغلبية والدولة الموحدية، وكذلك مجموعة من العملات من عصر الدولة الحفصية التى تتميز دراهمها بأنها مربعة الشكل، ومجموعة كبيرة من العملات العثمانية أقدمها يرجع إلى عهد السلطان مراد الرابع (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، ومجموعة من الفلوس من ضرب مدينة طرابلس فى

عصر الأسرة القرمانلية، وكذلك مجموعة من العملات ترجع إلى العصر العثمانى الثانى من ضرب طرابلس وتونس وإستانبول.

ويوجد بنفس القاعة مجموعة من الخزف الإسلامى بعضها يرجع إلى العصر الفاطمى ومنها كسرات من الخزف ذى البريق المعدنى، وأخرى من الخزف المرسوم والمحزوز تحت الطلاء. وأغلب مقتنيات هذا القسم من الخزف العثمانى خلال الفترات من القرن ١٦م حتى القرن ١٩م، وتشمل مجموعة من المسارج والمصابيح. ومن أهم المقتنيات الخزفية طبق من خزف البورسلين الصينى ترجع إلى عهد يوسف القرمانلى (ق١٢هـ/ ١٩م) عليه زخارف من عناصر نباتية فى قاع الصحن، بينما وزعت الزخارف داخل مناطق على الحافة، وتشمل زخارف نباتية.

وتنقسم القاعة الثالثة إلى قسمين، يضم الأول منها مجموعة من المخطوطات العربية منقولة من دار المحفوظات التاريخية بقلعة طرابلس، بينما يضم القسم الآخر مجموعة من الأعلام الطرابلسية فى العصر القرمانلى، ومنها علم يتكون من تسعة خطوط أفقية متوازية تبدأ وتنتهى بالأسود، وتحصر بينها خطوط بالأصفر والأحمر والأبيض ثم الأسود والأصفر والأحمر (صورة ٣٥) وعلم آخر عبارة عن ثلاثة أهلة بيضاء موزعة على أرضية حمراء كما يضم هذا القسم مجموعة من الأسلحة ترجع إلى بداية القرن ١٩م. كما يضم هذا القسم الكرسى الذى أهداه فرديناند الثانى ملك أسبانيا إلى يوسف باشا القرمانلى، وهو من الخشب المذهب ومحفور عليه زخارف نباتية على القاعدة والقمة، ويتوجه كرة يقف عليها صقر ناشرًا جناحية (صورة ٣٦).

وقد عرضت بالقاعة الرابعة مجموعة من شواهد القبور الحجرية والرخامية من أهمها شاهد قبر مؤرخ فى سنة ٢٤٨هـ ويحمل إسم المتوفى وهو بيان بن الهيثم، وشاهد آخر مؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ٣٢٦هـ وعليه إسم أبى عبد الرحمن فلاح ابن حمدون بن الحصابى، وشاهد قبر حلول ابن القائد إلياس ومؤرخ فى

شهر رمضان سنة ٩٩٠هـ. ومن الكتابات التسجيلية نص بناء منزل فى عهد عثمان باشا سنة ١٠٦٣هـ ونص بناء مسجد أنشأه يوسف المكنى فى شهر شعبان سنة ١١٢٣هـ، ونص تأسيس مسجد فى عهد يوسف باشا القرمانلى مؤرخ فى سنة ١٢٣٦هـ.

وقد أخرج «إيتورى روسى» سنة ١٩٥٣م ضمن سلسلة منشورات مصلحة الآثار الليبيّة كتابًا عن هذه الكتابات بعنوان:

Le Iscrizionl Arabe ETurche del Museo di Tripoli (Libia).

ومن أقسام المتحف الإسلامى المنزل الشرقى، وهو بناء يعطى فكرة عن التصميم المعمارى المتبع فى منازل طرابلس، وأهم عناصر الزخرفة المستخدمة فيه. وكذلك قطع الآثاث المستخدمة فى كل غرفة من المنزل، وأدوات الطهى وغيرها.

كما يضم المتحف قسمًا خاصًا بالمعروضات التى شاركت بها ليبيا فى مهرجان الفن الإسلامى الذى أقيم فى لندن سنة ١٩٧٦م، وقسمًا خاصًا بصور المجاهدين الليبيين الذين قادوا معركة الجهاد ضد الإحتلال الإيطالى والأوسمة التى حصل عليها بعضهم، وأهمهم رمضان السويحلى وسليمان البارونى وعبد الصمد النعاس وعمر الجنزورى والمبروك المنتصر وعمر المختار، كما يوجد نموذج لمصنع الذخيرة الذى صنعه المجاهد عبد العزيز مصطفى رفعت لإمداد المجاهدين بالذخيرة[1].

- المتحف الجماهيرى:

كانت قلعة طرابلس «السراىّ الحمراء» تشتمل على عدد من المتاحف مثل المتحف اليونانى ومتحف العادات والتقاليد، ومتحف التاريخ الطبيعى. وفى عام ١٩٨٣م بدأ هدم مبنى المتحف اليونانى الرومانى وأقيم مكانه مبنى عملاق، وهو

(١) عن المتحف الإسلامى، أنظر: سعيد على حامد: المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامى بمدينة طرابلس. ص ص ١٠٣ - ١٥٧.

المتحف الجماهيرى، الذى إنتهى من يناته وعرض مقتنياته حيث تم إفتتاحه فى نطاق الإحتفالات بأعياد الثورة الليبية وذلك فى سنة ١٩٨٨م. ولما كان المتحف الجماهيرى قد بنى بدلاً من عدد من المتاحف فإن معروضاته تعد جولة فى مختلف فترات التاريخ الليبيى، إذ يضم المتحف نماذج من آثار عصور ما قبل التاريخ عبارة عن بعض الأدوات الحجرية البسيطة التى تستخدم فى مختلف مظاهر الحياة اليومية فى تلك العصور. ومجموعة من الآثار البونيقية ممثلة فى بعض الآثاث الجنائزى الذى كان يوضع مع المتوفى فى المقبرة. أما آثار العصر اليونانى الرومانى فأنها من أكثر المعروضات ثراءً وتنوعًا وذلك لما كُان لليبيا فى ذلك العصر من أهمية تدل عليها المدن الأثرية الباقية مثل لبدة وصبراته وتوكرة وطلميثه وسوسه وقورينا (شحات).

وتشمل الآثار اليونانية الرومانية بعض العناصر المعمارية مثل الأعمدة وتيجانها والأفاريز، ومن المنحوتات مجموعة من التماثيل الرخامية لبعض آلهة اليونان مثل أبوللو وأفروديت (فينوس) وغيرهم، وبعض الحكام. كما يضم المتحف مجموعة من الحشوات الرخامية والحجرية المحفورة حفرًا بارزًا أو غائرًا، وتمثل زخارفها بعض مظاهر الحياة اليومية والألعاب الرياضية ومنظر الطرب من عزف وغناء.

ومن الآثار البيزنطية بالمتحف نماذج من رسوم الفسيفساء التى كانت تغطى الجدران والأرضيات وتشتمل على السمات الزخرفية المميزة للفن البيزنطى من رسوم آدمية وحيوانية وعناصر نباتية.

وقد ألحق بالمتحف نماذج من الآثار الإسلامية التى جلبت من المتحف الإسلامى بطرابلس، وهى عبارة عن نماذج من شواهد القبور واللوحات التأسيسية ونماذج من التحف الخزفية والفخارية والعملات الإسلامية من عصور مختلفة، بداية من العصر الأموى حتى نهاية العصر العثمانى الثانى. ومن أهم المقتنيات الإسلامية الباب الخشبى الخاص بجامع شائب العين، والمزخرف بزخارف هندسية ونباتية يظهر فيها التأثر بطراز الزخرفة العثمانية، ومن ذلك عنصر شجرة السرو التى شاع تمثيلها فى الفنون الفارسية والعثمانية.

ومن قاعات المتحف الجماهيرى قاعة «النضال من أجل الحرية» التى تضم مجموعة من الأسلحة التى إستخدمها المجاهدين الليبيين فى نضالهم ضد الإحتلال الإيطالى، ومن أهمها الأسلحة الخاصة بشيخ المجاهدين عمر المختار وكذلك سليمان البارونى، كما تضم القاعة مجموعة من الوثائق عبارة عن مراسلات بين المجاهدين وبعضم أو أصدقائهم وغيرهم. ومن أهم محتويات القاعة المشنقة التى كانت تستخدم فى إعدام المجاهدين الليبيين، والتى جلبت من منزل الملحق الثقافى البريطانى. ومن القاعات قاعة خصصت لعرض وثائق وإنجازات ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة منذ قيامها سنة ١٩٦٩م وحتى الآن.

وخصصت قاعة لعرض مجموعة كبيرة من مقتنيات متحف العادات والتقاليد، ومن أهمها أزياء الرجال والنساء بمختلف فئاتهم، والتقاليد الخاصة بكل مناسبة من المناسبات الإجتماعية مثل مراسم الزواج والولاة فى أماكن مختلفة من الجماهيرية والعادات التى ترتبط بذلك فى كل من المناطق الساحلية أو الصحراوية أو الجبلية. وكذلك عرض لمختلف أدوات الحياة اليومية مثل أوانى الطهى والحلى ومواد التجميل وأدوات الطرب المستخدمة فى مختلف المناطق الليبية.

وتضم قاعة التاريخ الطبيعى عرضًا نماذج من الحيوانات والطيور والزواحف والقوارض والحشرات التى توجد فى المناطق المختلفة بليبيا. ولأن الظروف البيئية من حيث التضاريس والمناخ تختلف من مكان إلى آخر تبعًا للإمتداد الكبير الذى تتميز به الجماهيرية الليبية، فأنه تبع ذلك تنوع فى النباتات التى تنمو فى كل منطقة.

وبذلك فإن المتحف الجماهيرى بعد جولة فى تاريخ ليبيا وعادات وتقاليد شعبها والتاريخ الطبيعى لها.

* * *

المصـــادر

- البكرى (أبو عبيد الله)؛ المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (المسالك والممالك)، الجزائر ـ ١٨٥٧.
- التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد)؛ رحلة التجانى فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى (٧٠٦ ـ ٧٠٨هـ) تقديم حسن حسنى عبد الوهاب ـ تونس ١٩٥٨.
- توللى (أ)؛ عشرة أعوام فى طرابلس (١٧٨٣ ـ ١٧٩٣م) ترجمة د. عبد الجليل الطاهر ـ منشورات الجامعة الليبية ـ بنغازى ـ ١٩٦٧.
- الحشائشى (محمد بن عثمان)؛ جلاء الكرب عن طرابلس الغرب. تقديم وتحقيق على مصطفى المصرانى ـ بيروت ـ ١٩٦٥.
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد)؛ المسالك والممالك ـ صورة الأرض ـ ليدن ١٩٣٨.
- ابن خلدون (عبد الرحمن)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر. الجزء الرابع ـ بيروت ـ ١٩٨٣.
- العبدرى (أبو عبد الله محمد)؛ الرحلة المغربية ـ تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسى. الرباط ـ ١٩٦٨م.
- على بك العباسى: رحلات فى أفريقيا وآسيا من ١٨٠٣ حتى نهاية ١٨٠٧م. الجزء الثانى ـ ترجمة ستيفانو نيكوزى ـ ميلانو ١٨١٦.
- العياشى (عبد الله بن محمد بن أبى بكر)؛ الرحلة. فاس ١٣١٦هـ.

- ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل)؛ التذكار فى من ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار. الطبعة الثانية ـ طرابلس ـ ١٩٦٠.
- الفيتورى (عبد السلام بن عثمان)؛ كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات. طرابلس ـ بدون تاريخ.
- القزوينى (أبو عبد الله زكريا)؛ آثار البلاد وأخبار العباد ـ بيروت ـ ١٩٦٠.
- القلصادى (أبو الحسن على)؛ رحلة القلصادى. دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان ـ تونس ـ ١٩٧٨.
- مارمول (كرنيجال)؛ أفريقيا. الجزء الثالث ـ ترجمة محمد حجى، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق. الرباط ـ ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩.
- المراكشى (عبد الواحد)؛ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى أخر عصر الموحدين. تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربى العلى. القاهرة ـ ١٩٤٩.
- المقدسى (أبو عبيد الله محمد البشارى)؛ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. الطبعة الثانية ـ ليدن ١٩٠٩.

* * *

المراجع العربية

- إبراهيم شحاته حسن (د)؛ أطوار العلاقات المغربية العثمانية (قراءة فى تاريخ المغرب عبر خمسة قرون). الإسكندرية ـ ١٩٨١.
- إحسان عباس (د)؛ تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى. الطبعة الأولى. ليبيا ـ ١٩٦٧.
- أحسان عباس (د)؛ محمد نجم: ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات. بنغازى ١٩٦٨.
- أحمد الأنصارى النائب: المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب. طرابلس ـ ١٩٦١.
- أحمد الأنصارى النائب: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان. الطبعة الأولى ـ بيروت ـ ١٩٦٣.
- أحمد فكرى (د)؛ المسجد الجامع بالقيروان ـ القاهرة ـ ١٩٣٦.
- أحمد فكرى (د)؛ عوامل الوحدة فى الآثار الإسلامية فى البلاد العربية (المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية ـ القاهرة نوفمبر ١٩٥٩) القاهرة ١٩٦١.
- أحمد ممدوح حمدى: معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى مجموعات متحف الفن الإسلامى ـ العدد الثالث ـ القاهرة ـ ١٩٥٩.
- آدم ميتز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة. الطبعة الثانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٥.
- آصلان آبا (أوقطاى)؛ فنون الترك وعمائرهم. ترجمة أحمد عيسى. إستانبول ١٩٨٧.

- برينا (ك)؛ طرابلس من ١٥١٠ إلى ١٨٥٠. تعريب خليفة محمد التليسى. الطبعة الأولى. مصراته - ١٩٨٥.
- بل (الفرد)؛ الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى من الفتح العربى حتى اليوم. ترجمة د. عبد الرحمن بدوى - دار ليبيا - ١٩٦٩.
- توفيق أحمد عبد الجواد (د)؛ تاريخ العمارة - الجزء الثالث - القاهرة - ١٩٧٠.
- تيسير موسى: المجتمع العربى الليبى فى العهد العثمانى - طرابلس - ١٩٨٨.
- جمال حمدان (د)؛ الإستعمار والتحرر فى العالم العربى (المكتبة الثقافية - العدد ١٢٣) القاهرة - ديسمبر ١٩٦٤.
- حسن سليمان محمود (د)؛ ليبيا بين الماضى والحاضر (الألف كتاب - العدد ٤٢٦) القاهرة ١٩٦٢.
- حسين لبيب: تاريخ الأتراك العثمانيين. الجزء الثانى - القاهرة - ١٩١٧.
- حسين مؤنس (د)؛ أطلس تاريخ الإسلام. القاهرة - ١٩٨٦.
- خليفة محمد التليسى (د)؛ حكاية مدينة. طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب. الطبعة الثانية - ليبيا - تونس - ١٩٨٥.
- رأفت غنيمى الشيخ (د)؛ فى تاريخ العرب الحديث. الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٨٠.
- روسى (إيتورى)؛ طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا. ترجمة وتقديم د. خليفة محمد التليسى. الطبعة الثانية. طرابلس - ١٩٨٥.
- روسى (إيتورى)؛ ليبيا منذ الفتح العربى حتى ١٩١١. تحقيق خليفة محمد التليسى. الطبعة الثانية - طرابلس - ١٩٩١.
- زاهر رياض (د)؛ شمال أفريقيا فى العصر الحديث. القاهرة - ١٩٦٧.
- سعيد على حامد: المعالم الإسلامية بمتحف طرابلس. مصلحة الآثار الليبية. طرابلس ١٩٧٨.

- سعيد على حامد: التجارة والأسواق فى طرابلس عبر التاريخ. مجلة تراث الشعب. السنة الحادية عشرة ـ العدد الرابع ـ طرابلس ـ ١٩٩١.
- سليمان مصطفى زبيس: آثار المغرب العربى ـ (كتاب البعث ـ العدد ٢٨) تونس ١٩٥٨.
- سليمان مصطفى زبيس: القبة التونسية (دراسات فى الآثار الإسلامية) القاهرة ـ ١٩٧٩.
- سنوسى يوسف إبراهيم: دور زناتة فى المغرب الإسلامى من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين (٣٦٢ ـ ٤٦٢هـ) رسالة دكتوراة ـ كلية الآداب جامعة عين شمس ـ ١٩٨٥.
- صلاح أحمد البهنسى (د)؛ العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول. رسالة دكتوراة ـ كلية الآثار جامعة القاهرة ـ ١٩٩٤.
- الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ـ القاهرة ـ ١٩٥٤.
- الطاهر أحمد الزاوى: معجم البلدان الليبية. طرابلس ـ ١٩٦٨.
- الطاهر أحمد الزاوى: ولاة طرابلس الغرب من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى. الطبعة الأولى ـ بيروت ـ ١٩٧٠.
- طوبيا العنيسى: تفسير الألفاظ.
- عبد السلام أدهم: وثائق تاريخ ليبيا الحديث. بنغازى ـ ١٩٨٣.
- عبد العزيز الدولاتلى: تونس فى العهد الحفصى. تعريب محمد الشابى، عبد العزيز الدولاتلى. تونس ـ ١٩٨١.
- عبد العزيز بن عبد الله: الآثار الإسلامية بالمغرب (المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية ـ القاهرة ـ نوفمبر ١٩٥٩) القاهرة ـ ١٩٦١.
- عثمان الكعاك: محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب من القرن ١٦ ـ ١٩م. القاهرة ـ ١٩٥٨.

- عز الدين عمر أحمد موسى: دراسات فى تاريخ المغرب الإسلامى. الطبعة الأولى. القاهرة - ١٩٨٣.
- على مصطفى المصراتى: أعلام من طرابلس. الطبعة الثانية. طرابلس - ١٩٧٢.
- على فهمى خشيم (د)؛ الحاجية من ثلاث رحلات فى البلاد الليبية. الطبعة الأولى. طرابلس ١٩٧٤.
- عمر البارونى: الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس - طرابلس - ١٩٥٢.
- عمر على بن إسماعيل: إنهيار حكم الأسرة القرمانلية فى ليبيا - ١٧٩٥ - ١٨٣٥. طرابلس بدون تاريخ.
- عيسى سلمان، وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق. الجزء الاول - السلسلة الفنية - العدد ٥١ - بغداد - ١٩٨٢.
- عيسى محمد صالحية (د)؛ صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا (وثائق من وثائق السيد أحمد الشريف السنوسى). كلية الآداب جامعة الكويت - الحولية الأولى - ١٩٨٠.
- فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة ٢١ - ٣٥٨هـ/ ٦٣٩ - ٩٦٩م) المجلد الأول - القاهرة - ١٩٧٠.
- فيرو (شارل)؛ الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى - الكتاب الثانى - تعريب محمد عبد الكريم الوافى - طرابلس - ١٩٧٣.
- كاكيا (أ. ج)؛ ليبيا فى العهد العثمانى الثانى (١٨٣٥ - ١٩١١) ترجمة يوسف حسن العسلى. مصر ١٩٤٦.
- كاوبر (هـ. و)؛ مرتفع الآهات الجمال. ترجمة أنيس زكى حسن. طرابلس - بدون تاريخ.

- كسلر (كريستل)؛ زخارف قباب القاهرة ـ ترجمة شهيرة محرز ـ مجلة فكر وفن ـ ١٩٦٩ .

- كمال الدين سامح (د)؛ العمارة الإسلامية فى مصر. الطبعة الرابعة ـ القاهرة ـ ١٩٩١ .

- كورو (فرانشيسكو)؛ ليبيا أثناء العهد العثمانى الثانى. تعريب وتقديم خليفة محمد التليسى. الطبعة الثانية ـ طرابلس ١٩٨٤ .

- لايون (ع.ف)؛ مدخل إلى الصحراء. ترجمة الهادى أبو لقمة. الطبعة الأولى. منشورات جامعة قاريونس ـ بنغازى ـ ١٩٩٣ .

- لوبون (جوستاف)؛ حضارة العرب. الطبعة الثالثة.

- مجموعة: تاريخنا. ليبيا ـ الكتاب الرابع والخامس ـ جنيف ـ بدون تاريخ.

- محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط.

- محمد على عيسى (د)؛ هل تحول قوس ماركوس أوريليوس إلى مسجد فى العصور الوسطى. (مجلة آثار العرب ـ العدد الثانى ـ منشورات مصلحة الآثار ـ طرابلس ـ مارس ١٩٩١).

- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ بيروت ـ ١٩٧٧ .

- محمد محمد الكحلاوى: العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى. عمائر الموحدين الدينية فى المغرب. رسالة دكتوراة ـ كلية الآثار جامعة القاهرة ـ ١٩٨٦ .

- محمود النمسى (د)؛ دليل منطقة حفائر جنزور الأثرية. منشورات مصلحة الآثار. طرابلس. بدون تاريخ.

- مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية: أسس التصميم المعمارى والتخطيط الحضرى فى العصور المختلفة بالعاصمة القاهرة. منظمة المدن والعواصم الإسلامية. القاهرة ـ ١٩٩٠ .

- مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى: يوميات الطبيب جوناثان كودرى فى قلعة طرابلس الغرب ١٨٠٣ ـ ١٨٠٥م. ترجمة وتعليق د. عبد الكريم أبو شويرب ـ طرابلس ١٩٨٢.

- مسعود رمضان شقلوف، وآخرون. موسوعة الآثار الإسلامية بليبيا. الجزء الأول ـ منشورات مصلحة الآثار الليبية ـ طرابلس.

- ميسانا (غاسبرى)؛ المعمار الإسلامى فى ليبيا. ترجمة على الصادق حسنين. طرابلس ـ ١٩٧٣.

- ميكاكى (رودلفو)؛ طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلى ـ تحقيق كمال الخربوطلى. مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى. القاهرة ـ ١٩٦١.

- محمد ناجى، محمد نورى: طرابلس غرب. ترجمة أكمل الدين محمد إحسان. طرابلس ١٩٧٣.

- نجم الدين غالب الكيب: مدينة لبدة. الإسم والنشأة والتاريخ ـ طرابلس ـ ١٩٨١.

- نقولا زيادة (د)؛ ليبيا فى العصور الحديثة. القاهرة ـ ١٩٦٦.

- نقولا زيادة (د)؛ ليبيا من الإحتلال الإيطالى إلى الإستقلال. منشورات جامعة الدول العربية. مصر ـ ١٩٥٨.

- هوج (بليك) وآخرون: إحدابيا وأول فن المعمار للفاطميين ـ ترجمة أنطوان جيقة ـ (مجلة ليبيا القديمة) المجلد الثامن ـ ١٩٧١.

***

المراجع الأجنبية

-Aurigemma (S); La Moschea di Curgidi Tripoli (Africa Italiana. Bergama. 1928).

- Creswell (K.A.C); The evolution of the minaret (Burlinton Magazine- Mars - June. 1926).

- Ebbakoch; Mughal architecture: An outline of its History and Development. 1526-1858. New Delhie. 1991.

- Godfrey (F); Barbary legaed war. Trade and piracy in north Africa. 1415-1830. Oxford. 1927.

- Goodwin (G); Ahistory of Ottoman Architecture. New York. 1987.

- Haynes (D.E.L); An archaeoloical and historical guide to pre- Islamic Antiquities of Tripolitania. 4th edition. Tripo. 1981.

-El-Mahmoudy (A); Post fifteenth century A.D Architecture in Libya. M.A. Thesies. Victoria univ. Canada- 1985.

- Mantran (R); North Africa in the sixteenth and seventeenth centuries (The cambridge history of Islam) Vol.2. Cambridge Univ. press. 1970.

- Marcais (G); Manual d: art Musulman Tom.1. Paris -1926.

- Marcais (G); L'Architecture Musulmane d'occident (Tunisie- Algerie- Maroc. Espagne et Sicile) Paris. 1954.

- Murabet (M); Some facts about Libya. Malta. 1961.
- Revoira (G.T); Muslim Architecture. Its Origins and Development. Oxford. 1981.
- Thiersh (H); Pharos in Antike. Islam und Occident. Leipzig - Berlin-1909.
- Warfilli (M.S); The old city of Tripoli (AARP) Tripoli. 1976.
- Wright (J); Libya. London. 1969.

* * *

فهرس الأشكال

* * *

فهـرس الصــــور

صورة ١٢: صورة جوية لجامع أحمد باشا القرمانلي ومئذنة الجامع.

صورة ١٣: نموذج للتكسية بالبلاطات الخزفية في جامع أحمد باشا القرمانلي.

صورة ١٤: محراب جامع أحمد باشا القرمانلي تظهر به البلاطات الخزفية في الجزء الأسفل والزخارف الجصية في طاقية المحراب.

صورة ١٥: الشرفة الداخلية على جوانب بيت الصلاة بجامع أحمد باشا القرمانلي.

صورة ١٦: الأضرحة بجامع أحمد باشا القرمانلي.

صورة ١٧: الزخارف الجصية بطاقية محراب جامع قورجي.

صورة ١٨: المئذنة المثمنة بجامع قورجي.

صورة ١٩: نموذج للتصميمات الزخرفية بالبلاطات الخزفية بجامع قورجي.

صورة ٢٠: نموذج للتشكيلات الزخرفية الجصية بجامع قورجي.

صورة ٢١: أحد مداخل بيت الصلاة بجامع قورجي تظهر بها الزخارف المحفورة على الرخام.

صورة ٢٢: الزخارف المنفذة بالطلاء على سقف السدة الخشبية بجامع قورجي.

صورة ٢٣: منظر عام لمسجد بن سليمان تظهر به المئذنة.

صورة ٢٤: مدخل مدرسة عثمان باشا واللوحة التأسيسية التي تعلوه.

صورة ٢٥: الرواق المحيط بالفناء وخلاوى الطلبة في مدرسة عثمان باشا.

صورة ٢٦: قبة الدركاة وقبة المسجد بمدرسة عثمان باشا.

صورة ٢٧: قبة المسجد وقبة الضريح بمدرسة عثمان باشا.

صورة ٢٨: الفناء والرواق الذي يتقدم الحجرات في فيلا «فولبي».

صورة ٢٩: مدخل أحد المنازل القديمة بطرابلس تظهر عليه الزخارف المنفذة على الرخام.

صورة ٣٠: البلاطات الخزفية فى تشكيل زخرفى شائع فى زخرفة جدران العمائر الدينية والمدنية بطرابلس.

صورة ٣١: الزخارف والكتابات على بلاطات القاشانى فى واجهات المنازل القديمة بطرابلس.

صورة ٣٢: الفناء والرواق المطل عليه فى فندق زميت بطرابلس.

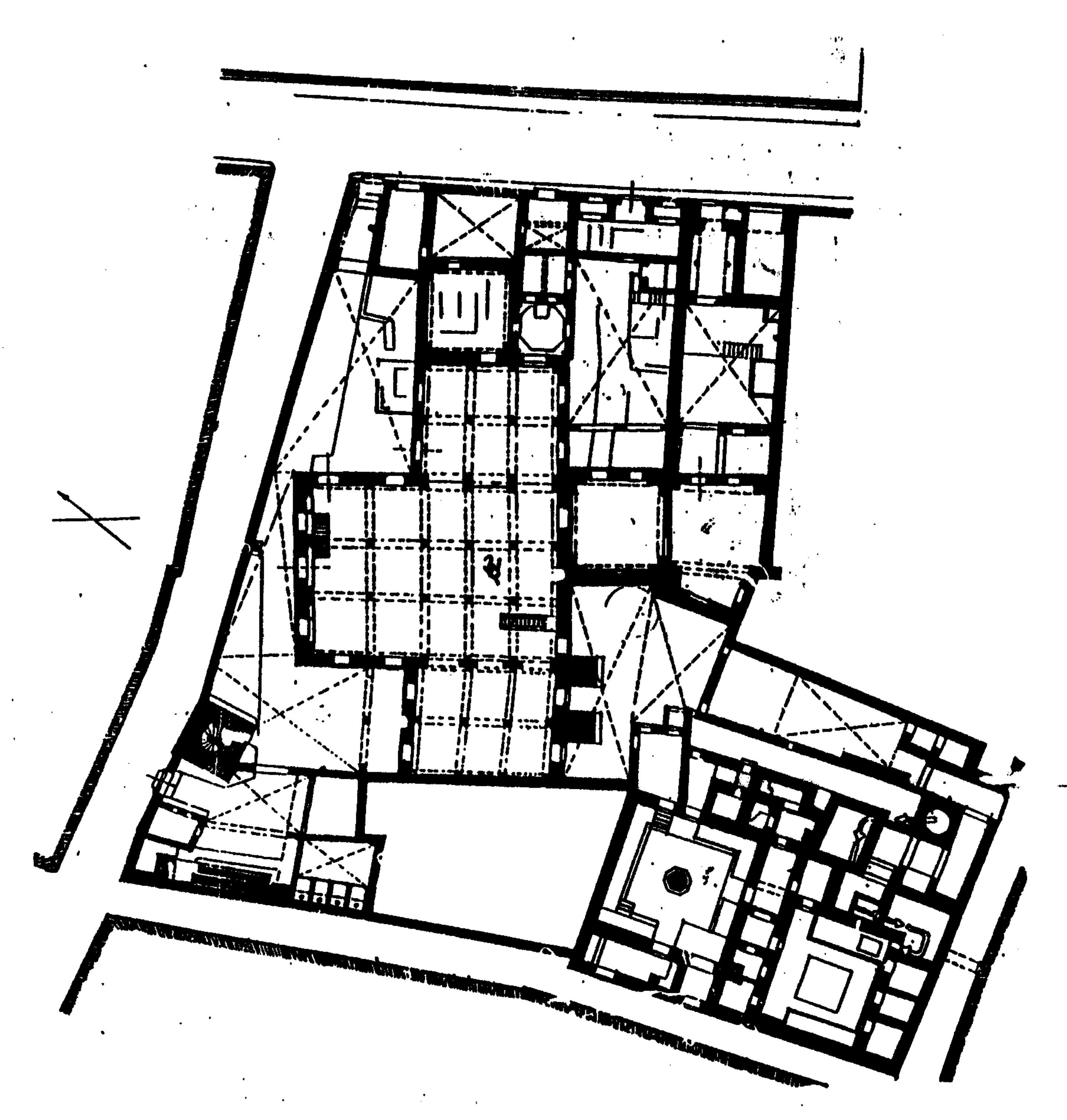
صورة ٣٣: الجزء القرمانلى من قلعة طرابلس.

صورة ٣٤: صورة قديمة لمبنى قلعة طرابلس ويظهر إلى اليسار تمثال الإمبراطور الرومانى سبتموس سيفيروس.

صورة ٣٥: أحد أعلام طرابلس فى العصر القرمانلى.

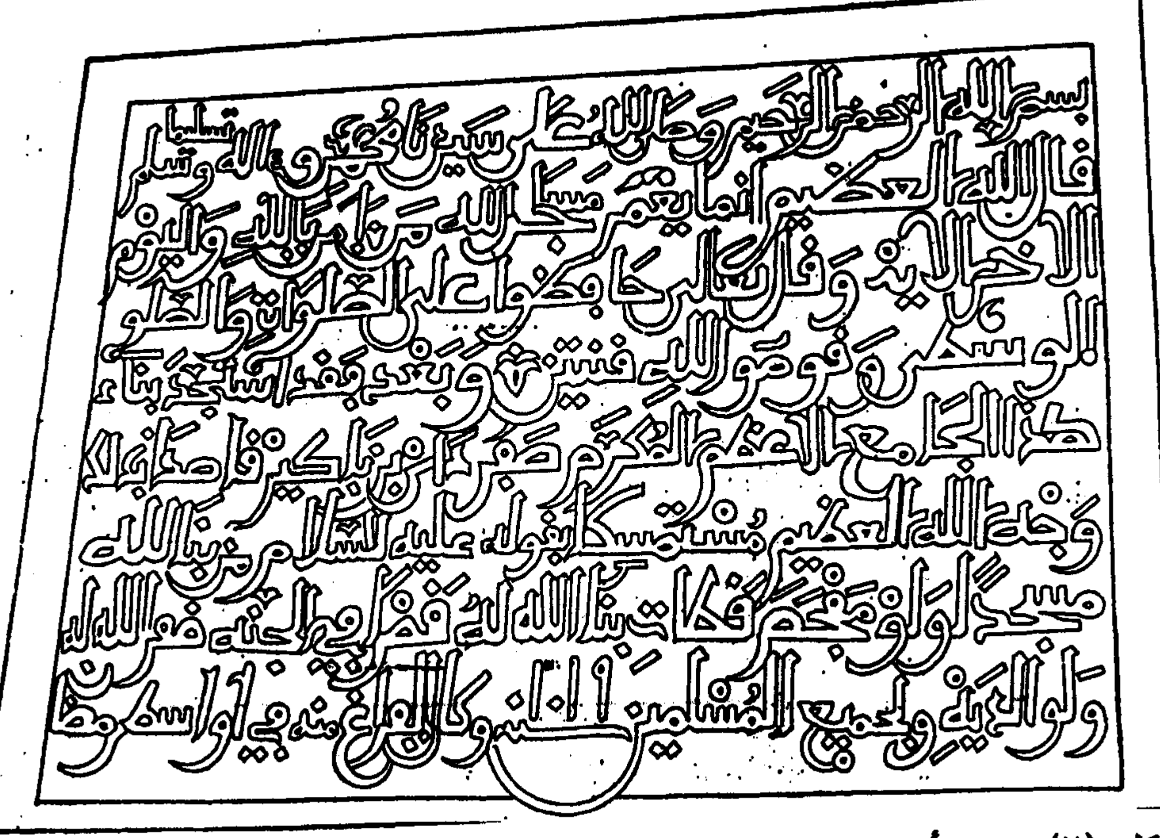
صورة ٣٦: كرسى العرش الخاص بيوسف باشا القرمانلى.

* * *

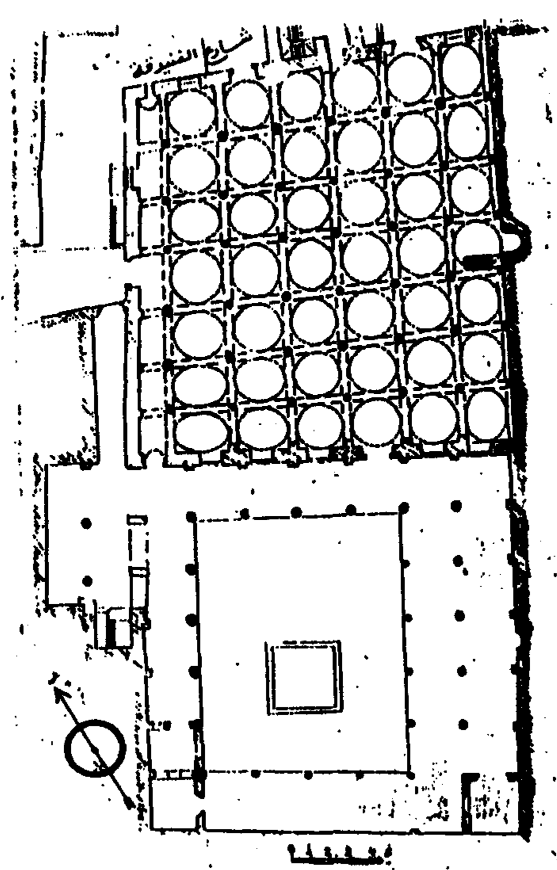


شكل (١): مسقط أفقي لمجمع درغوت بطرابلس يظهر فيه مجموعة الاضرحه والمدافن وحجرة الشعرة الشريفة والحمام الملحق بالمجمع •

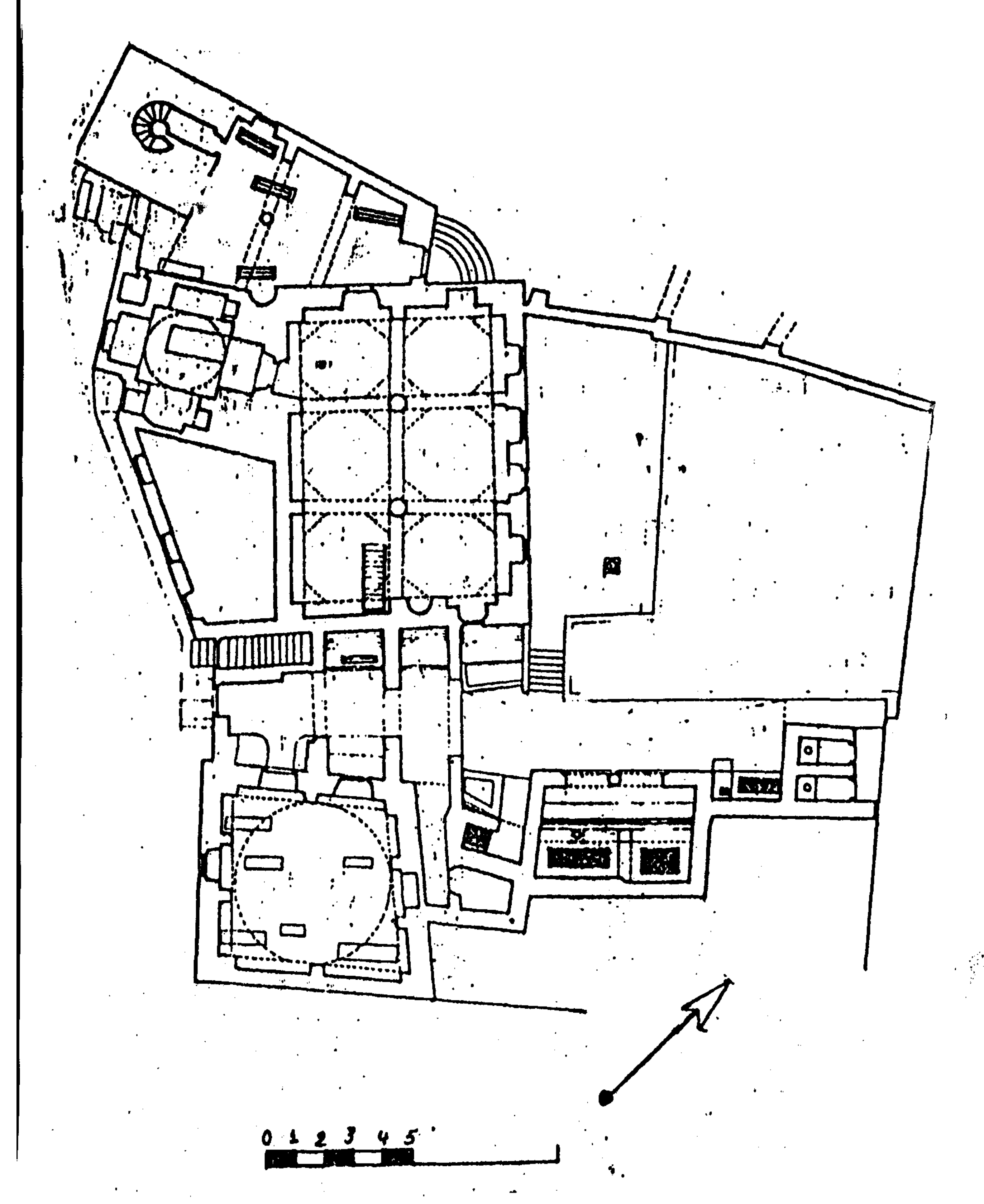
عن: علي صائم أو لجان: مجمع الرئيس درغوت المعماري بطرابلس الغرب: ترجمة د: عبد الكريم أبو شويرب • مجلة أثار العرب • العدد 3 طرابلس سبتمبر 1991– ص 77 •



شكل (٢) نص تأسيس جامع الناقة في عهد صفر داى سنة ١٠١٩هـ (١٦١٠م)
والكتابات عليها بالخط المغربي ومحفورة حفرا بارزا . (عمل الباحث)

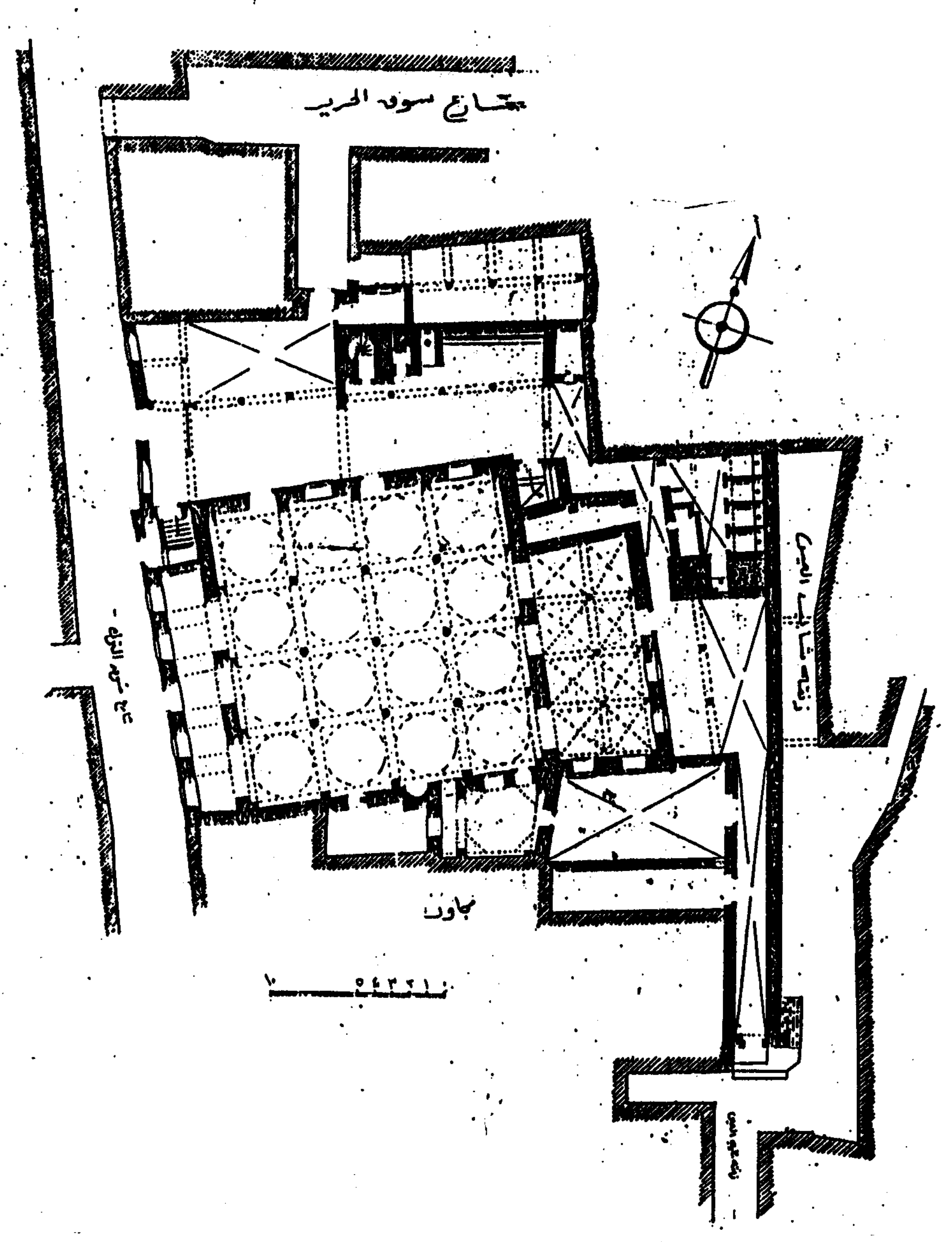


شكل (٣) مسقط أفقي لجامع الناقة . (عمل الباحث)

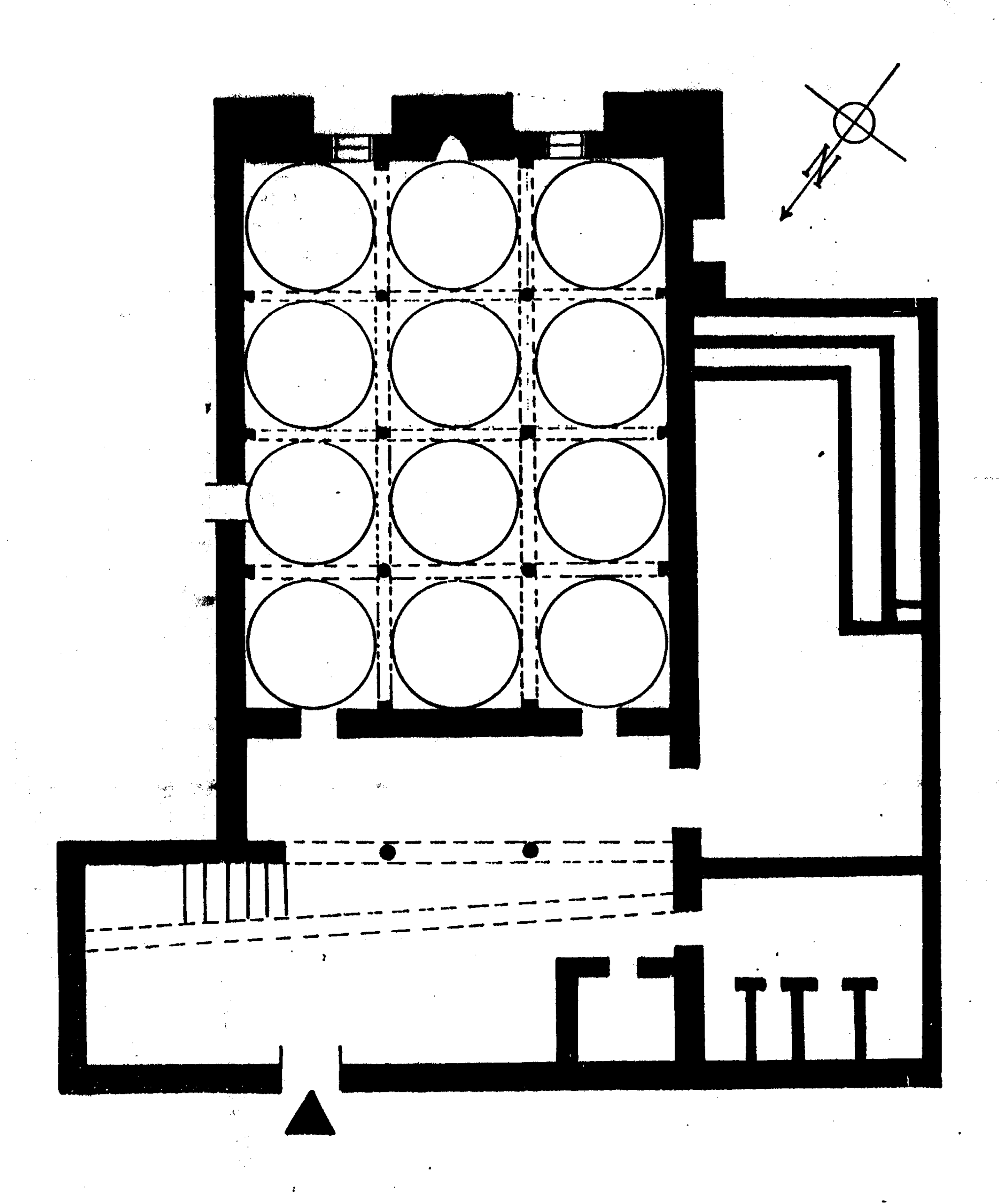


شكل (٤) مسقط أفقي لجامع سيدي سالم المشاط

عن: Warfilli, (M. S.), Tripoli. p.g

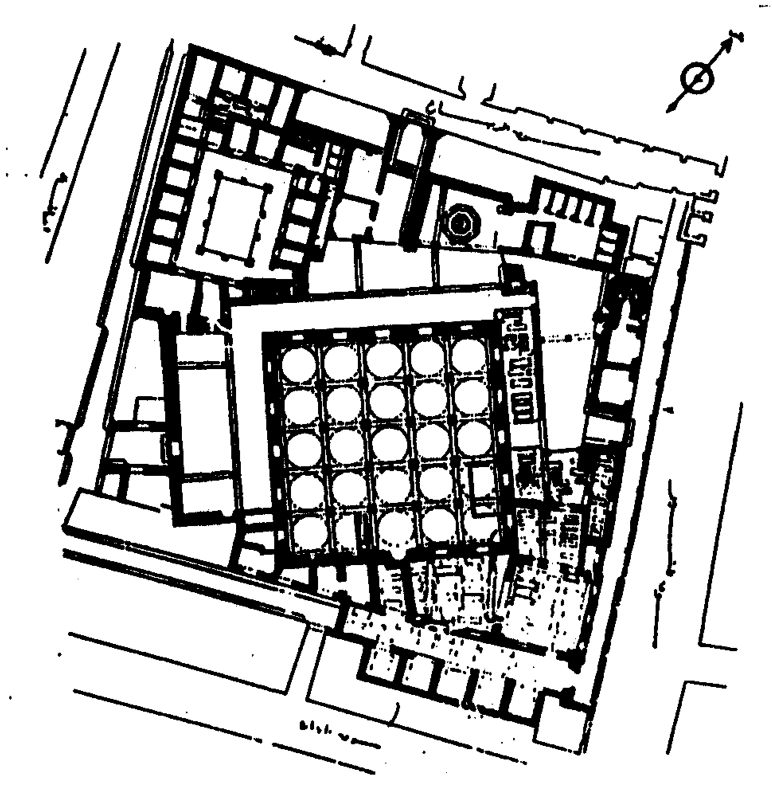


شكل (٥) مسقط أفقي لجامع شائب العين (١١١٠هـ/٩٨/١٦٩٩)
(عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار / طرابلس)



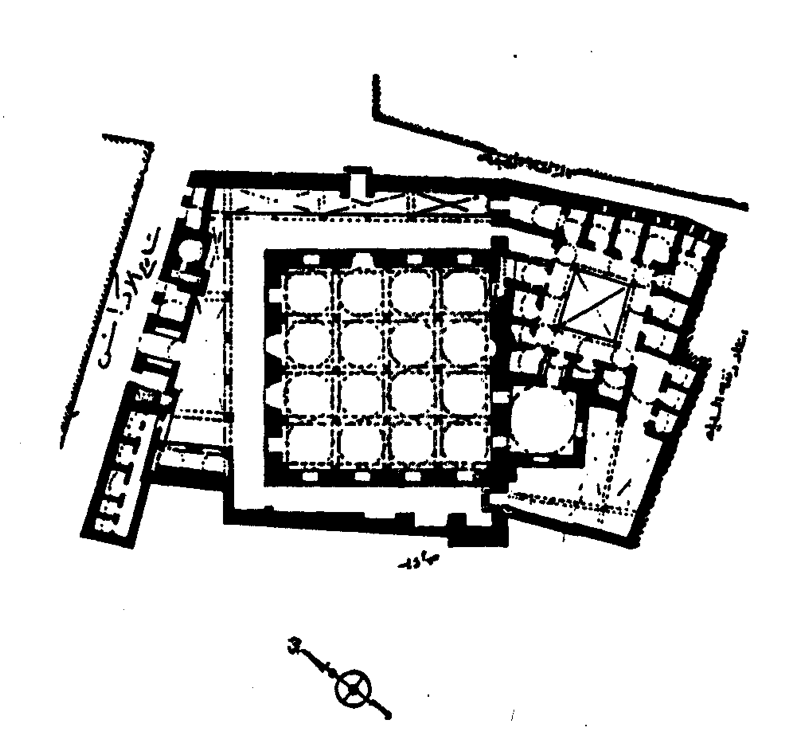
شكل (٦) مسقط أفقي لجامع خليل باشا (١١٢٠هـ/١٧٠٨م)

(عمل الباحث)



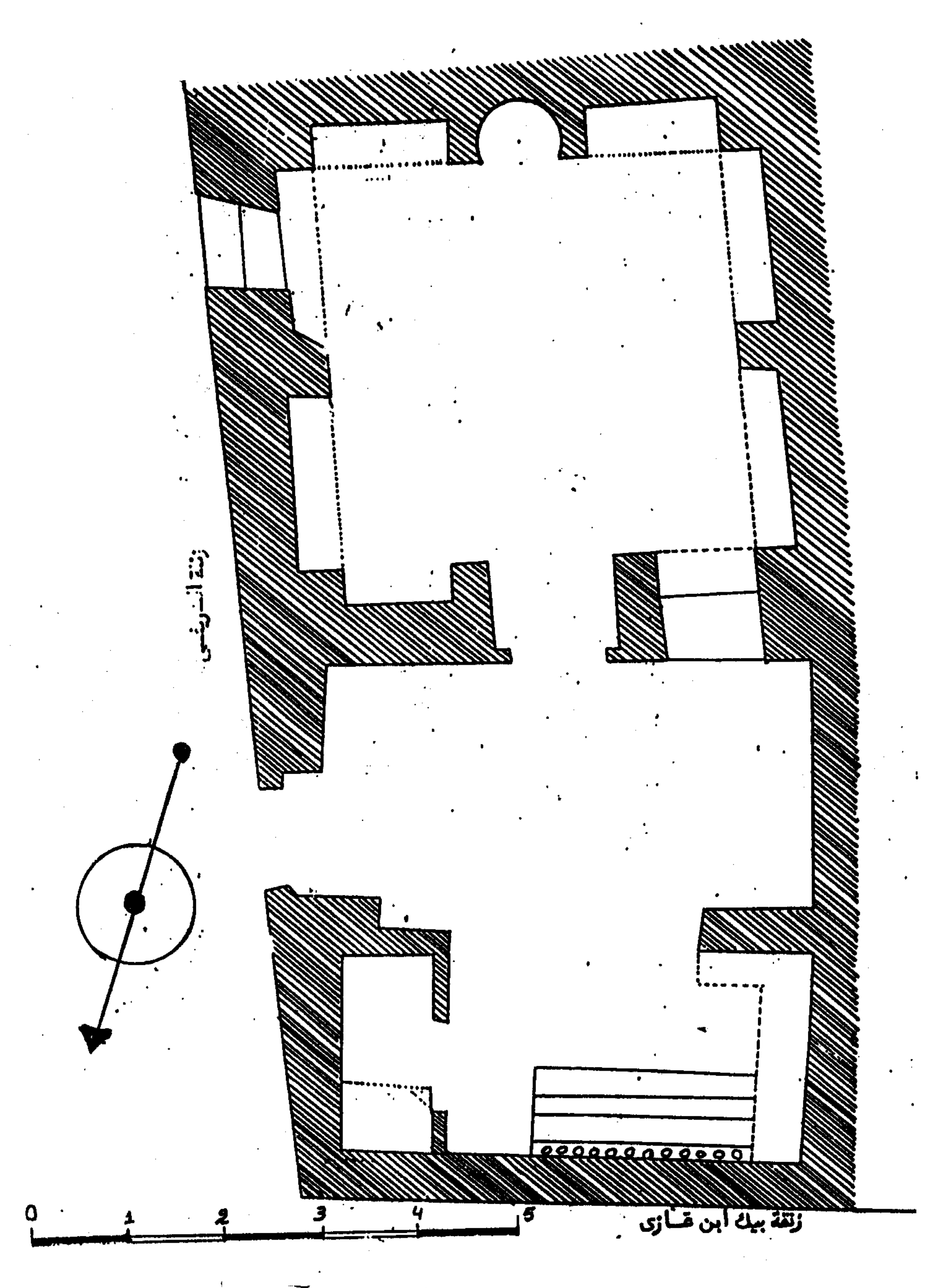
شكل (٧) مسقط أفقي لمجمع احمد باشا القرمانلي بطرابلس يضم بيت الصلاة والضريح والمدافن والمدرسة ومجموعة الحوانيت في الجدران الخارجية ٠

عن: موسوعة الآثار الاسلاميه في ليبيا ٠ الجزء الأول ٠ ص 98

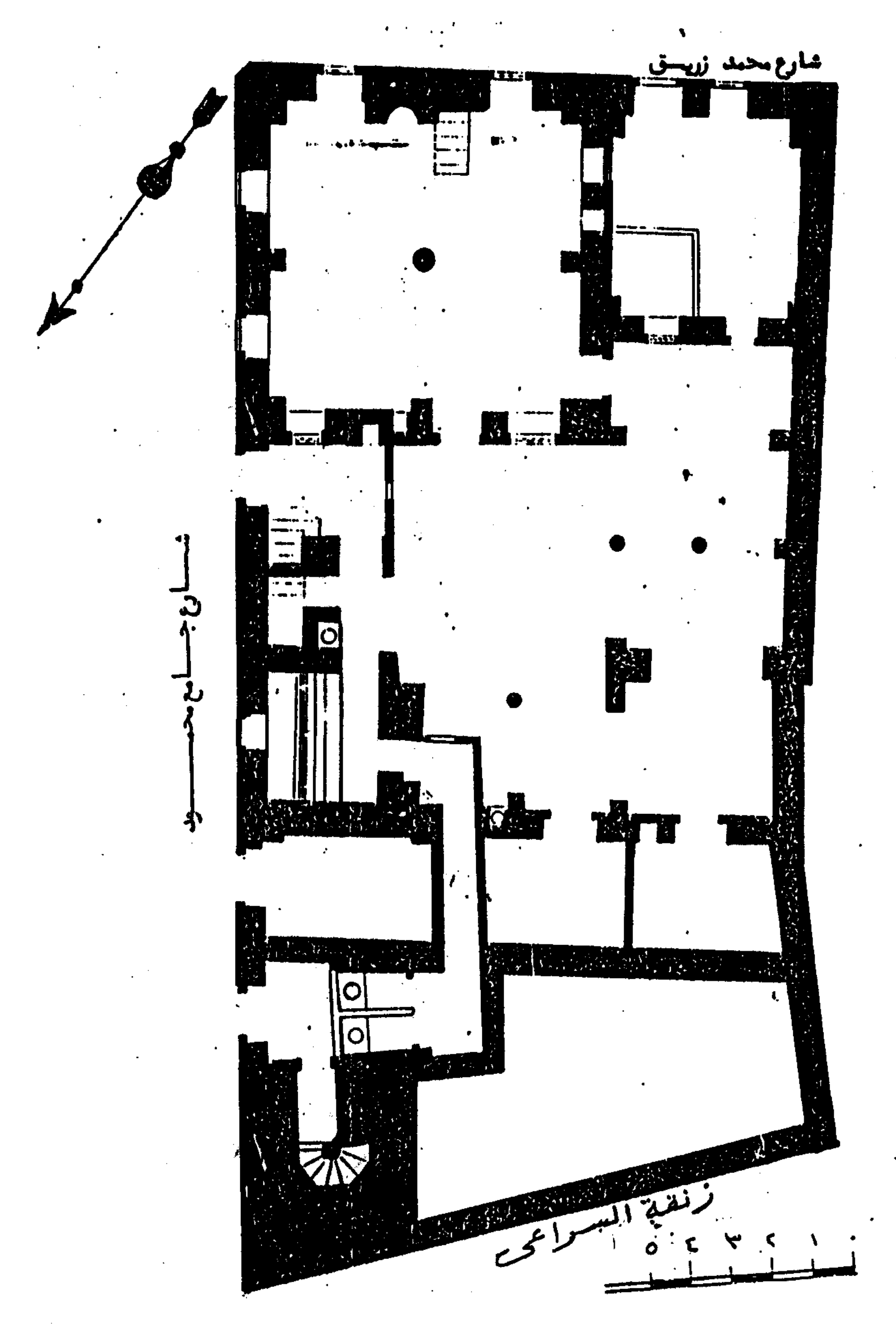


شكل (٨) مسقط أفقي لمجمع قورجي يظهر به بيت الصلاة المغطي بالقباب المتعددة المتساوية والضريح والمدرسة ٠

عن: المرجع نفسه –ص 108٠

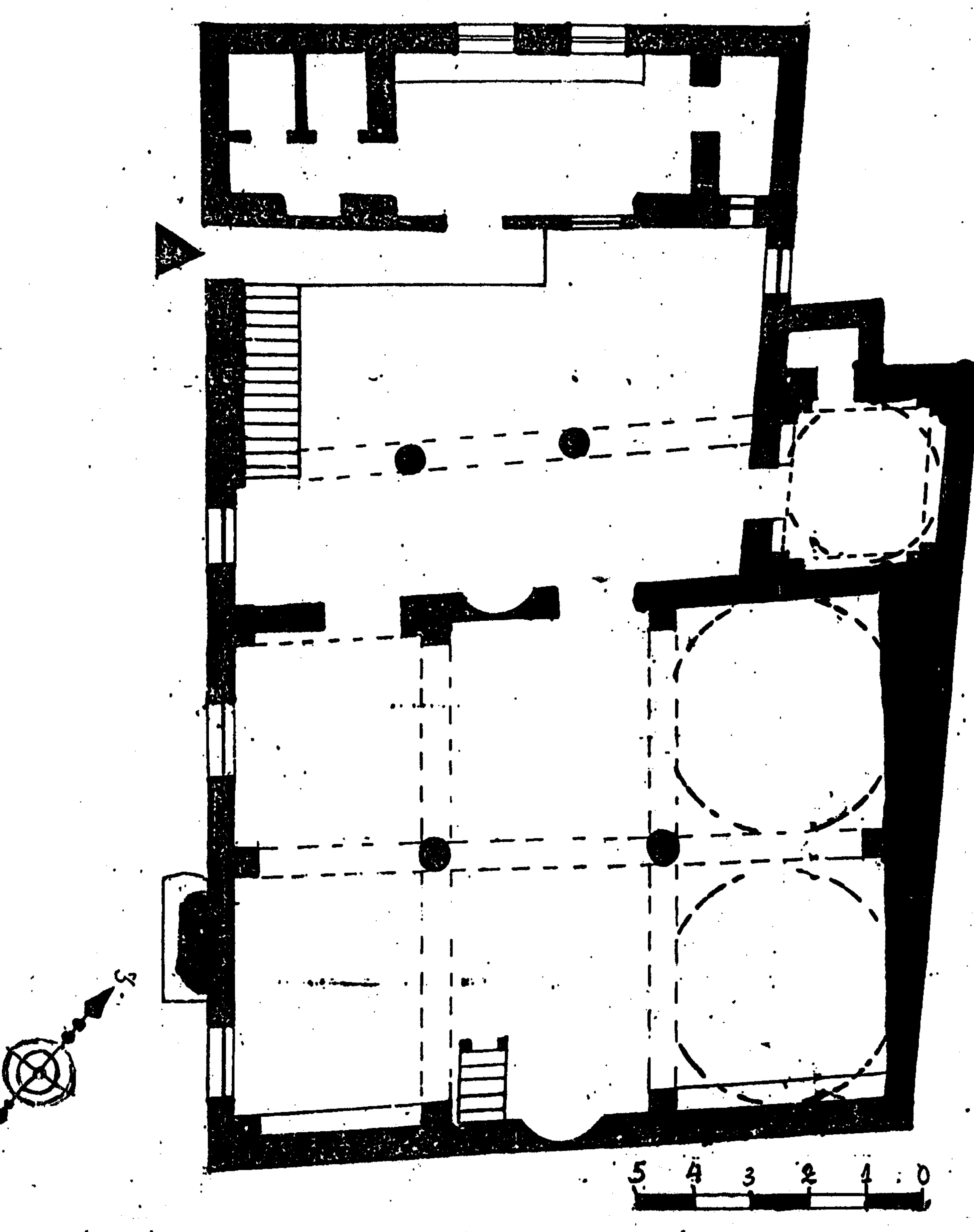


شكل (٩) مسقط أفقي لمسجد قرة بغلي (النصف الثاني من القرن ١١هـ/١٧م)
(عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار بطرابلس)٠



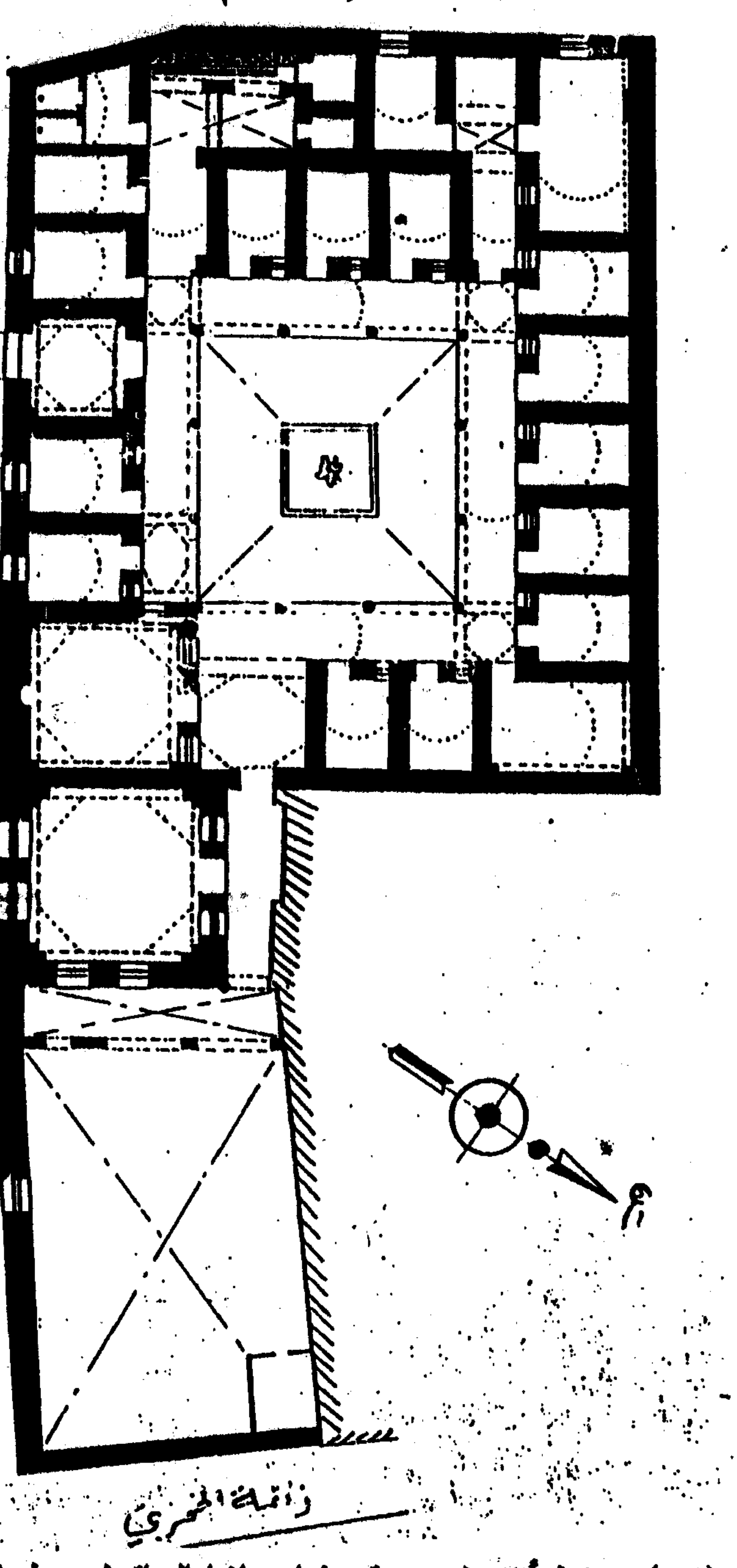
شكل (١٠) مسقط أفقي لمسجد محمود (١٠٩١هـ/١٦٨٠م)

(عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار بطرابلس).



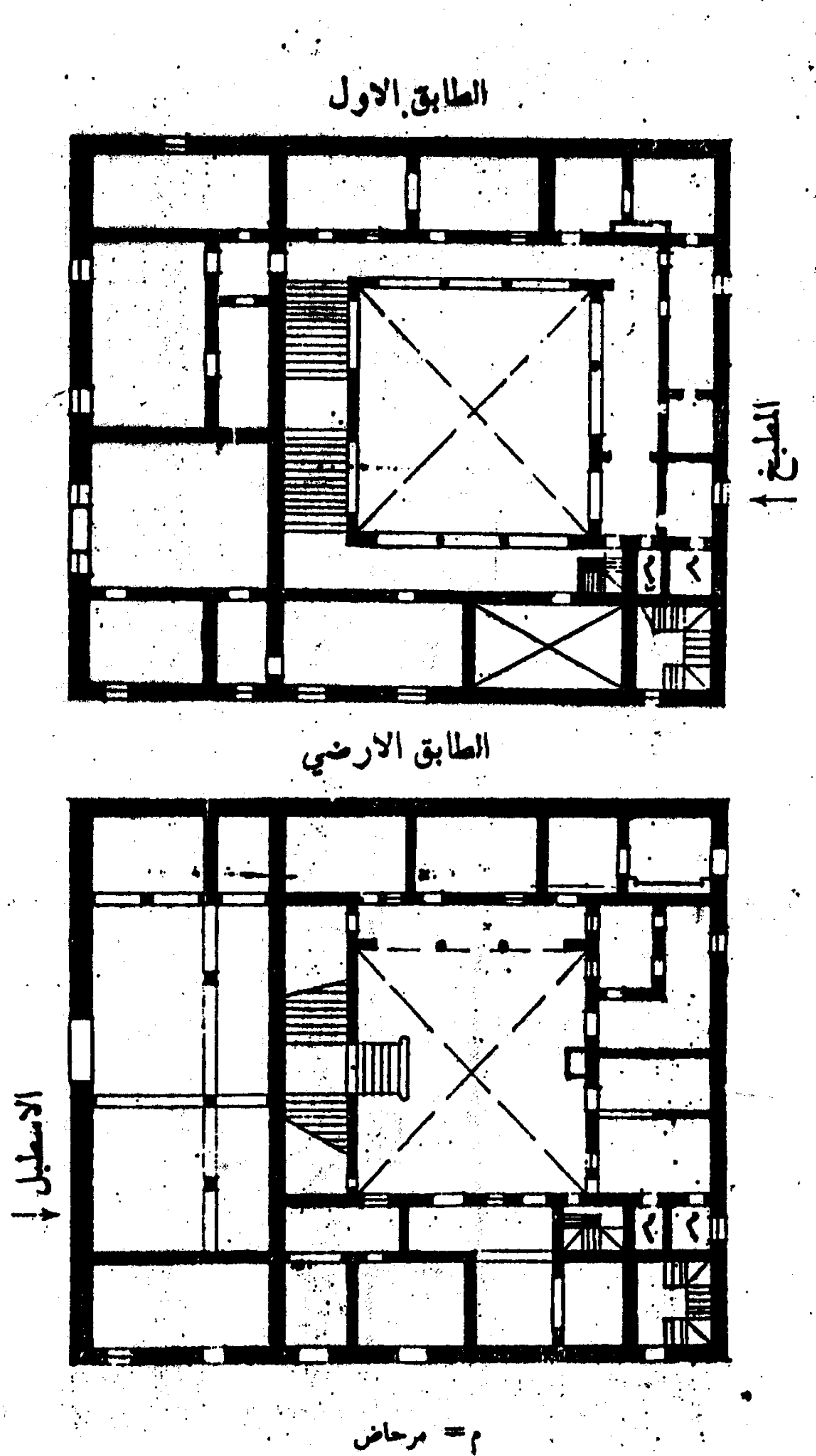
شكل (١١) مسقط أفقي لمسجد بن مقيل (النصف الثاني من القرن ١٠هـ/١٦م)

(عمل الباحث)

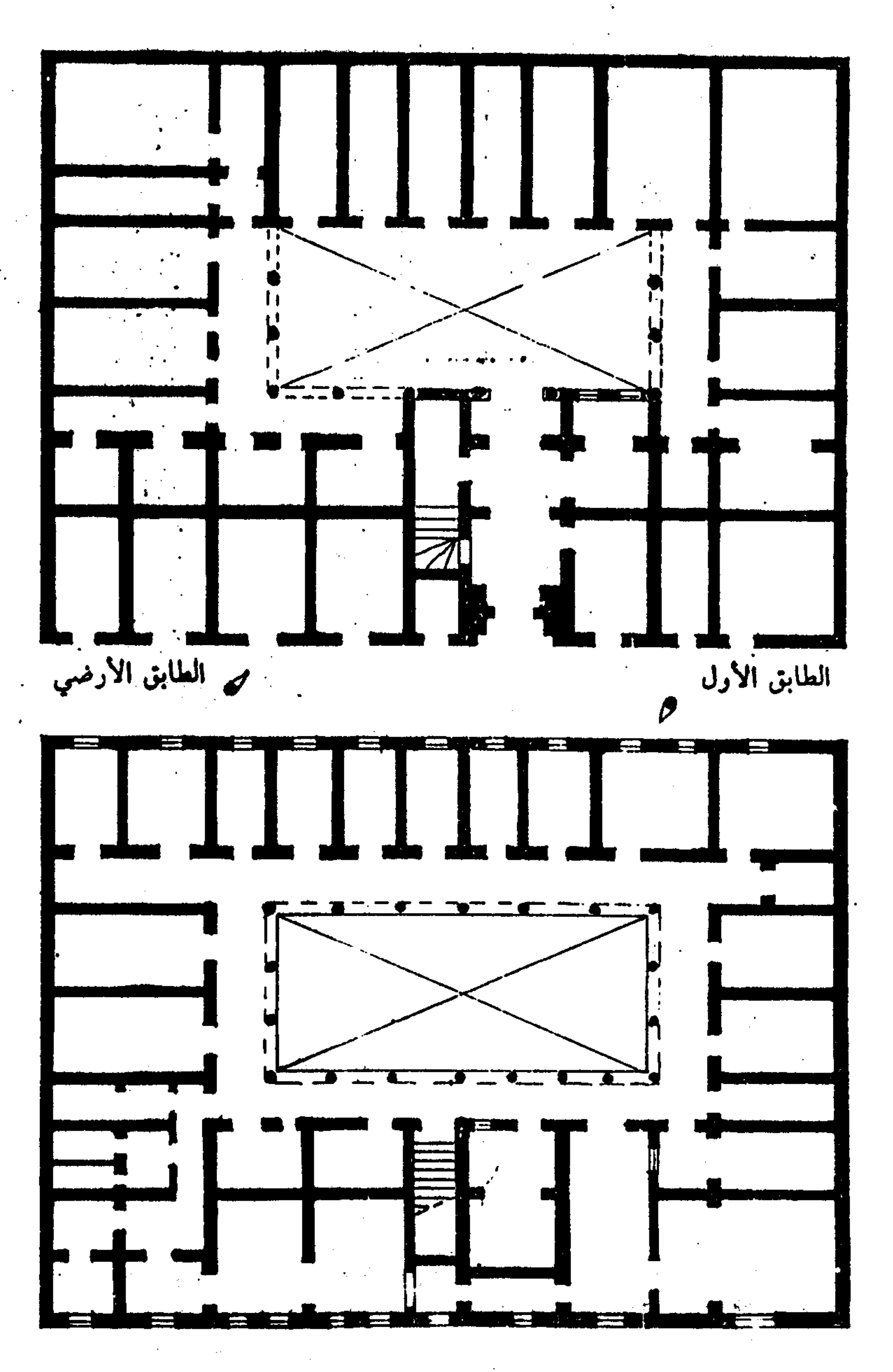


شكل (١٢) مسقط أفقي لمدرسة عثمان باشا الساقزلي بطرابلس ٠

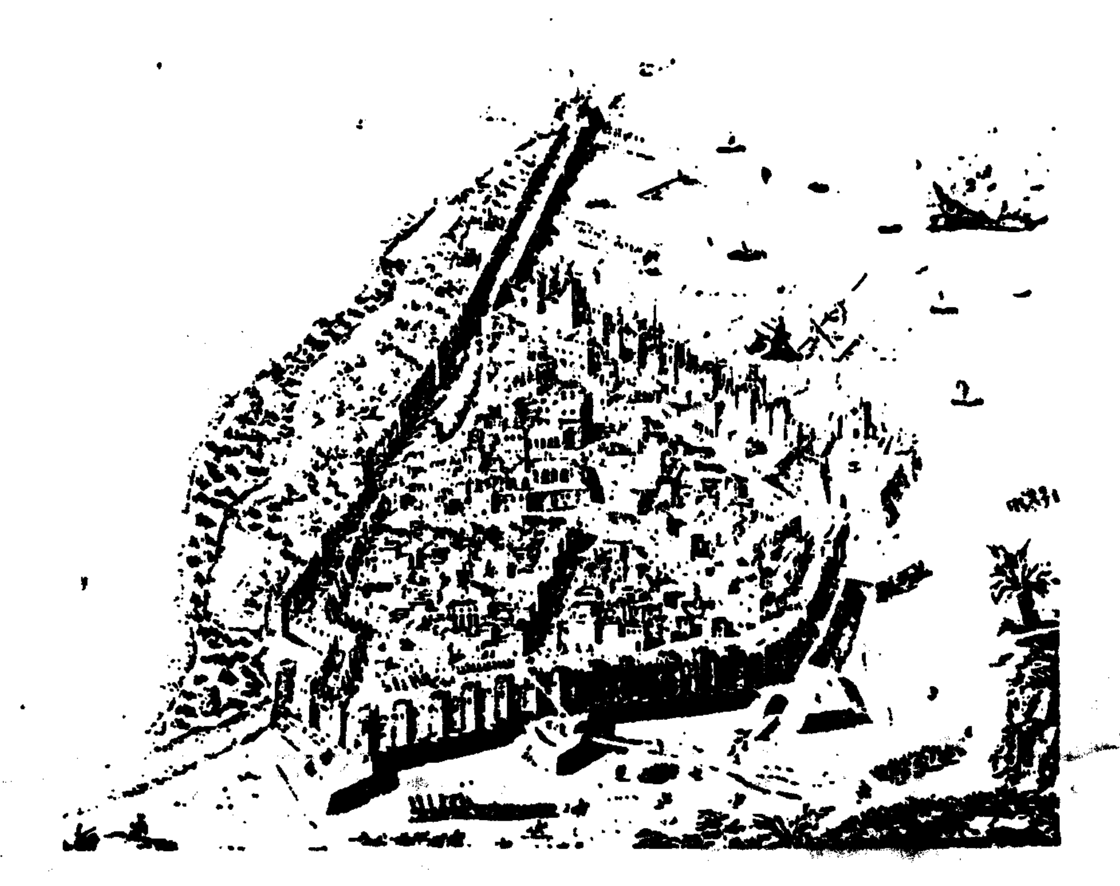
عن القسم الهندسي بمصلحة الآثار بطرابلس ٠



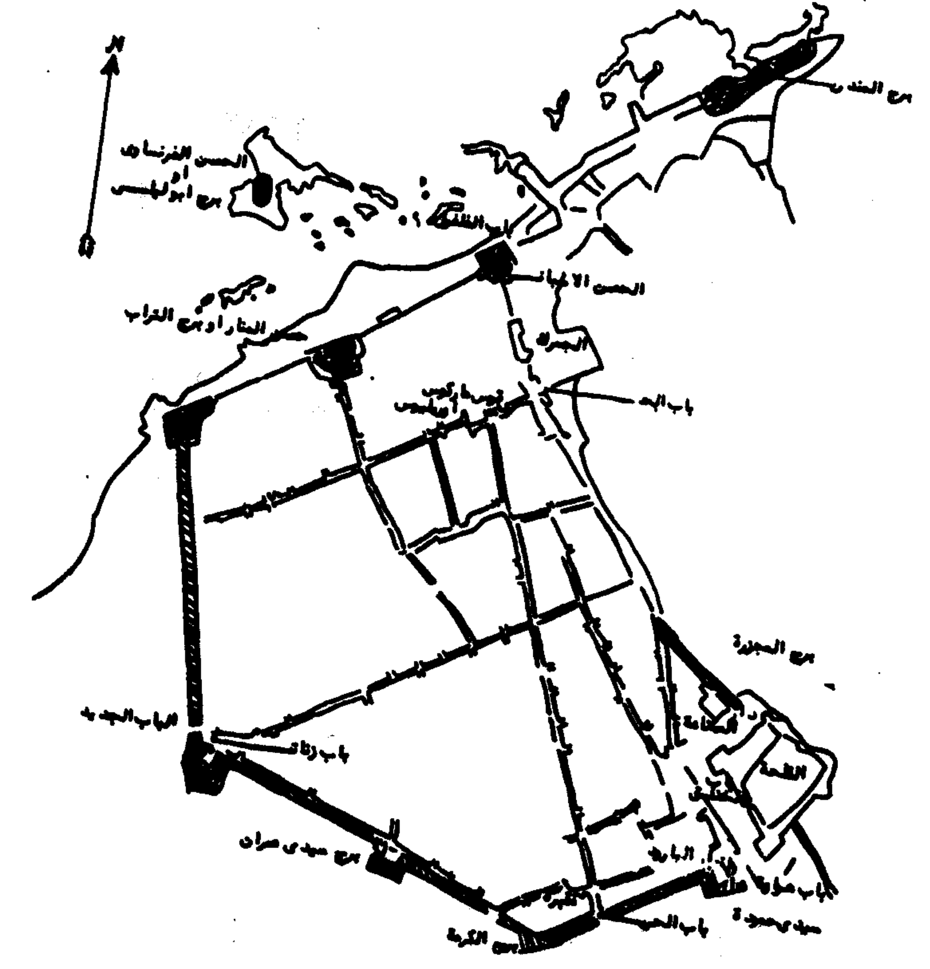
شكل (١٣) مسقط أفقي للطابق الأرضي والأول بمنزل طرابلس



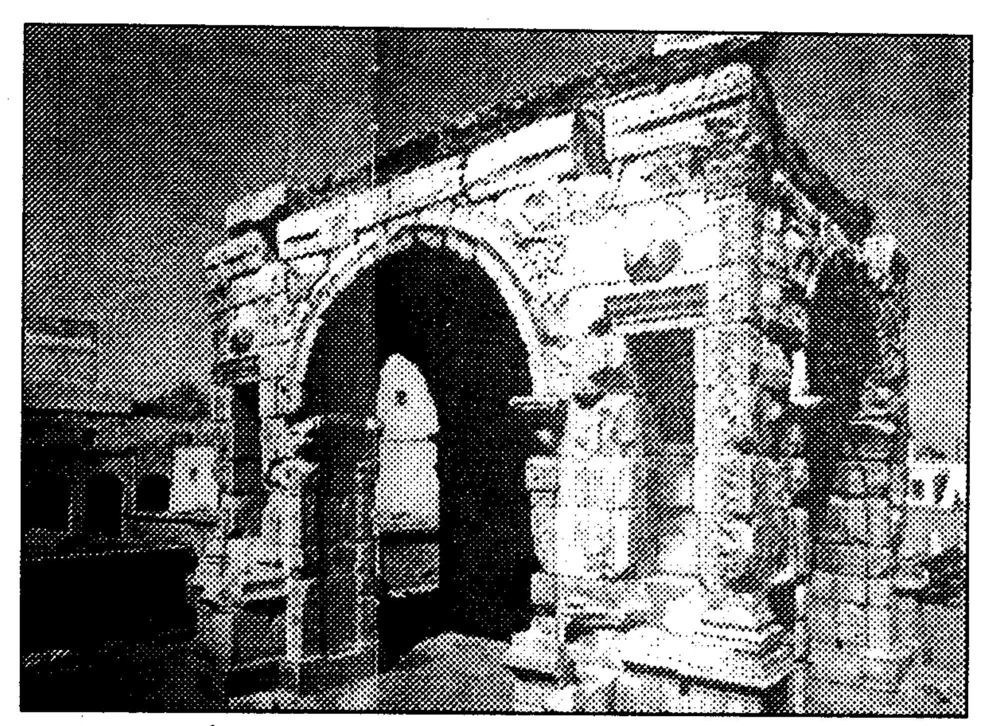
شكل (١٤) مسقط أفقي للطابق الأرضي والأول لفندق الزهر بطرابلس



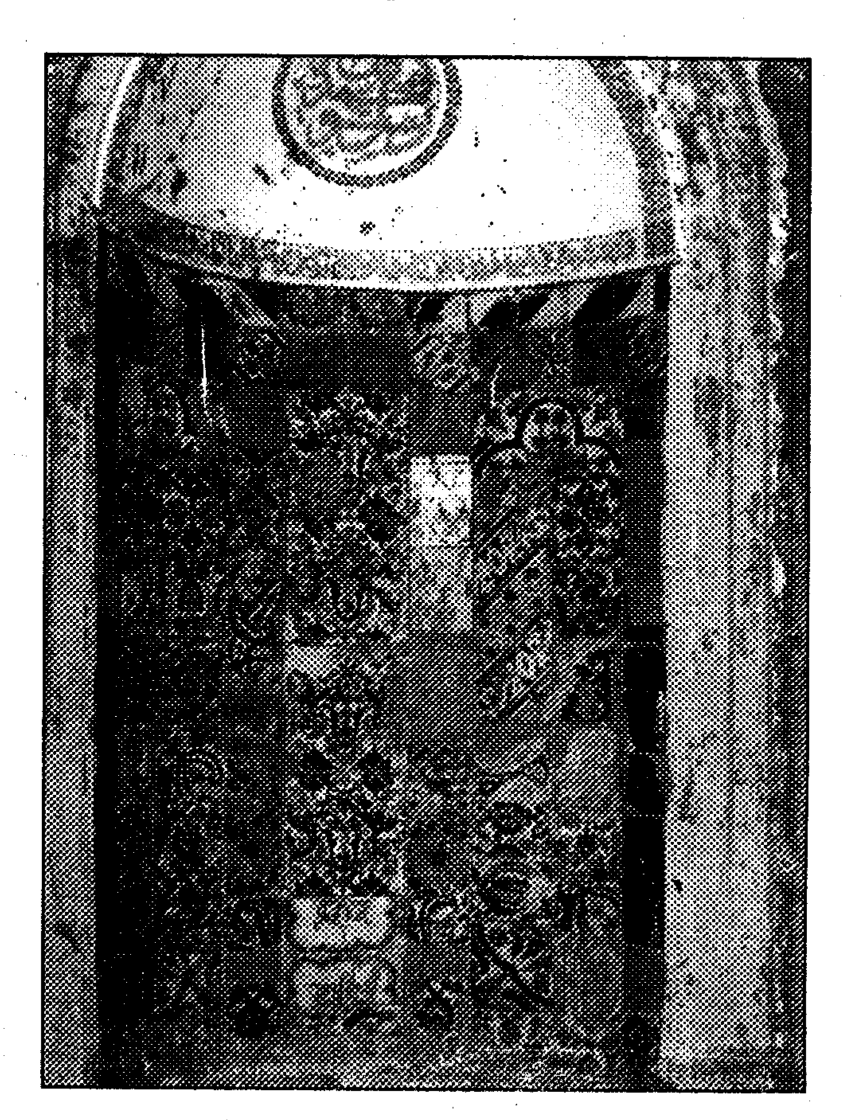
شكل (١٥) مدينة طرابلس القديمة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي



شكل (١٦) أسوار وحصون وأبواب طرابلس سنة ١٩١١

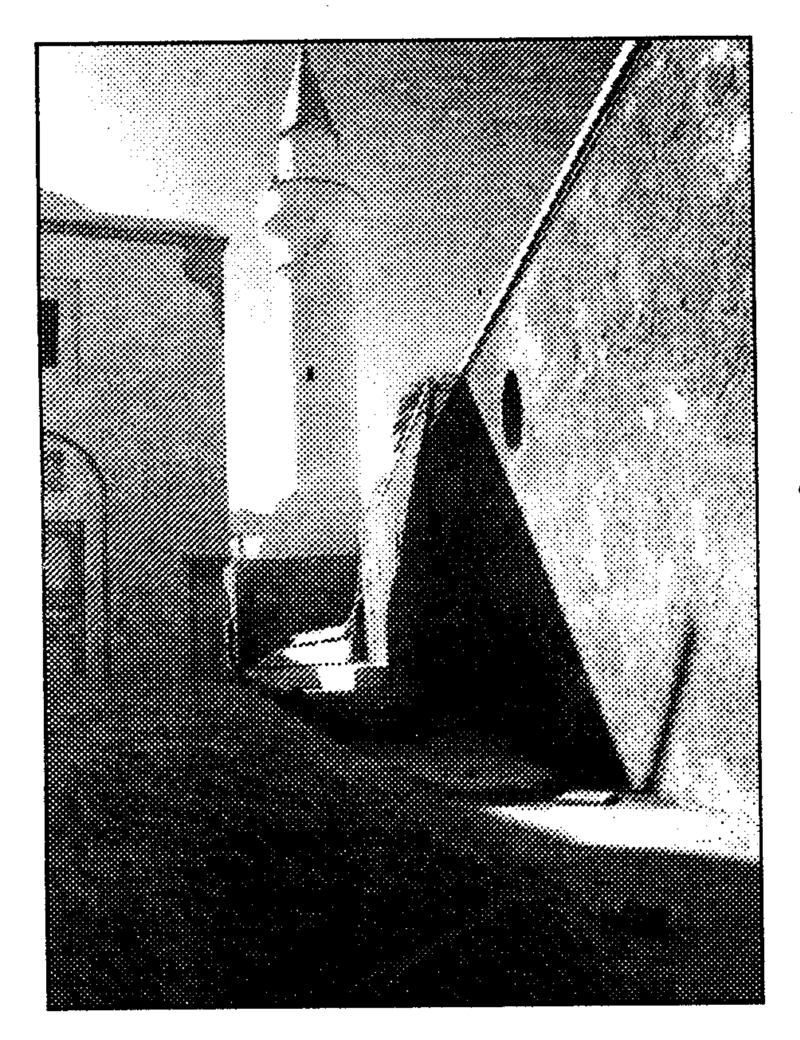


صورة ١ : قوسي النصر الخاص بالإمبراطور ماركوس أوريليوس

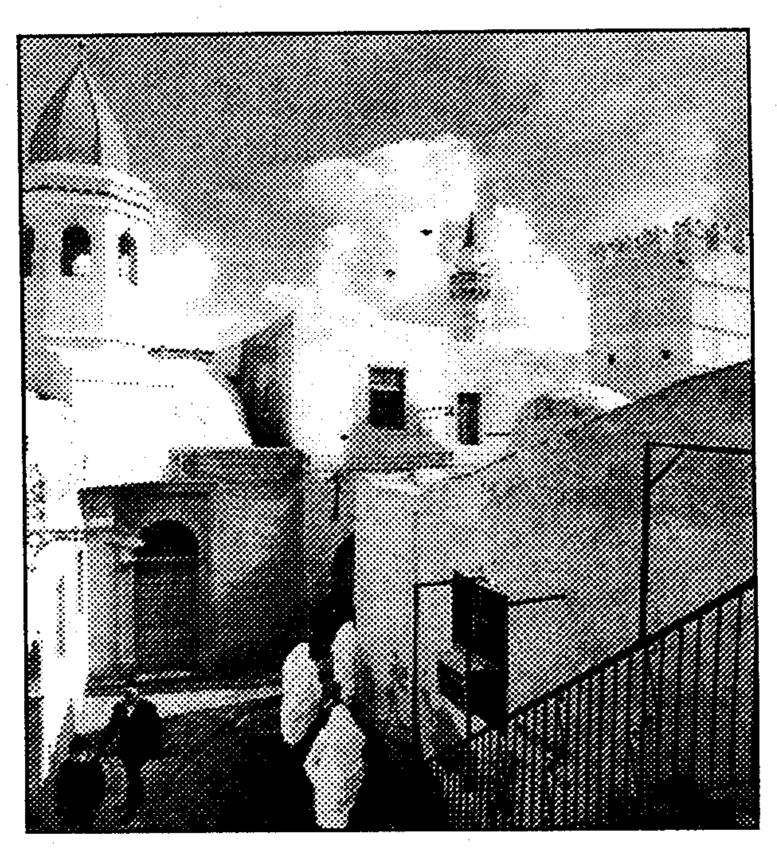


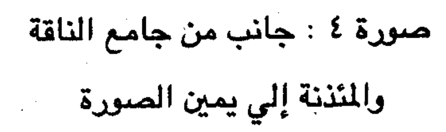
صورة ٢ : البلاطات الخزفية

في المحراب القديم بجامع درغوت

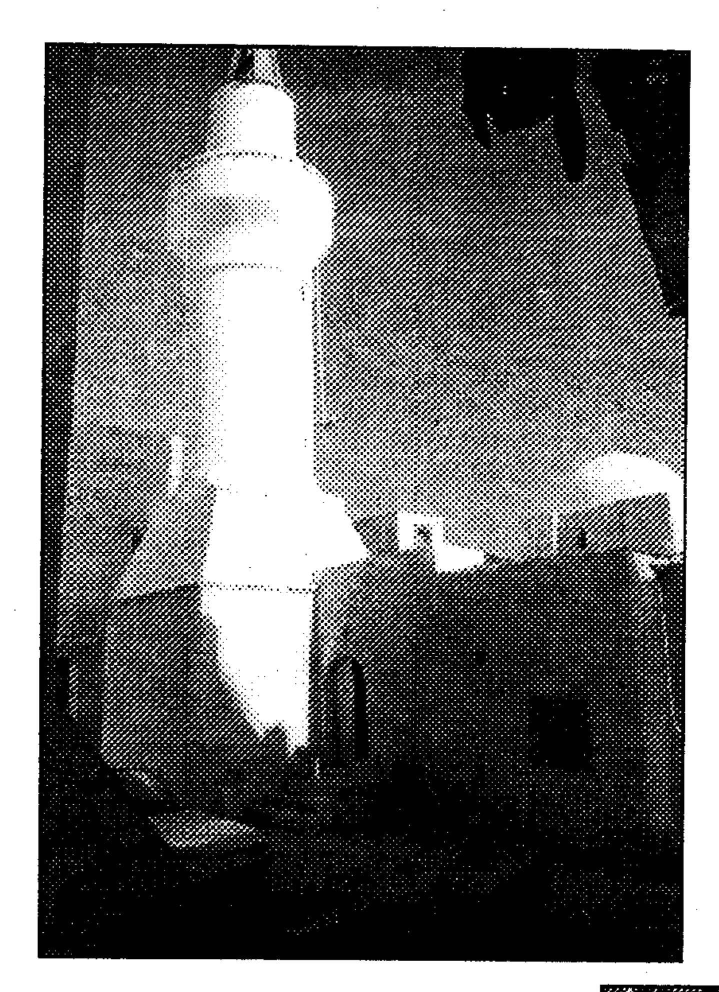


صورة ٣ : جانب من جامع درغوت
تظهر به المئذنة

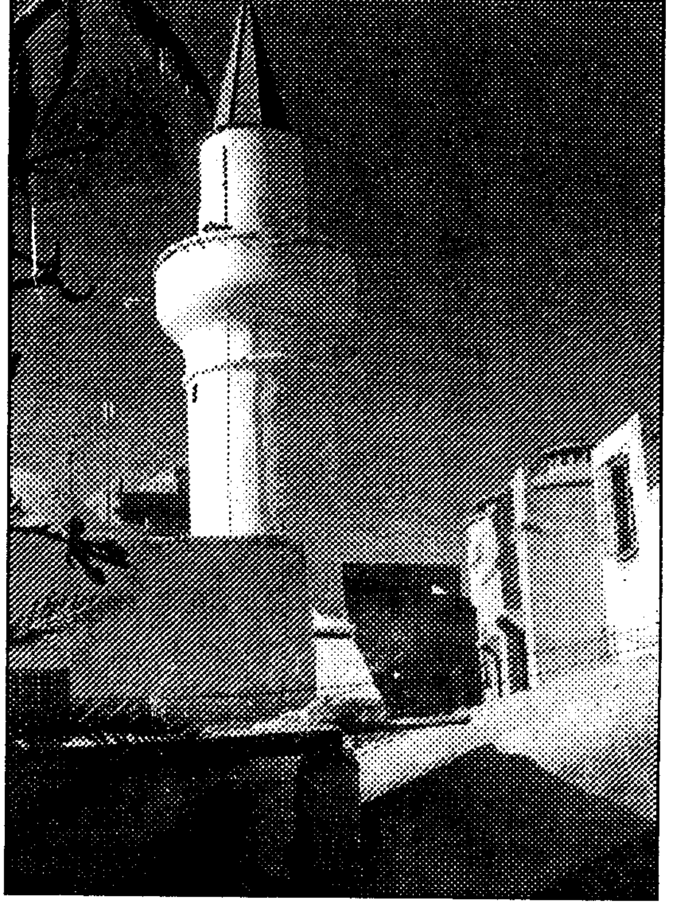


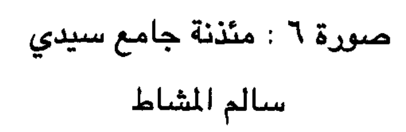


صورة ٤ : جانب من جامع الناقة
والمئذنة إلي يمين الصورة

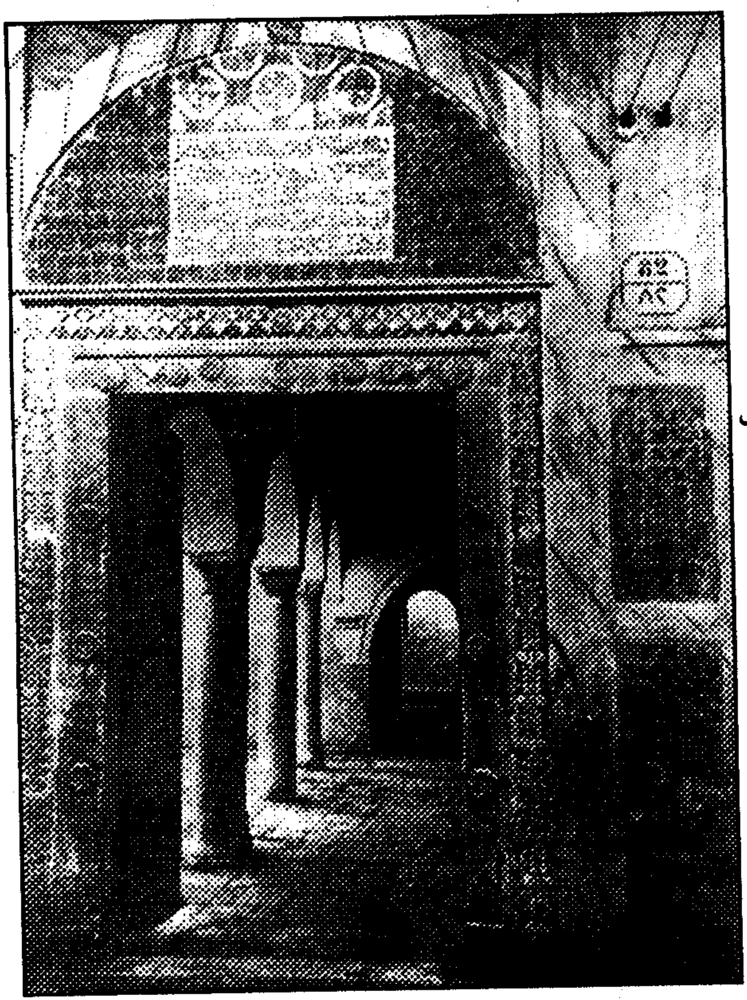


صورة ٥ : منظر عام لجامع سيدي سالم
المشاط تظهر به المئذنة وقبة الضريح

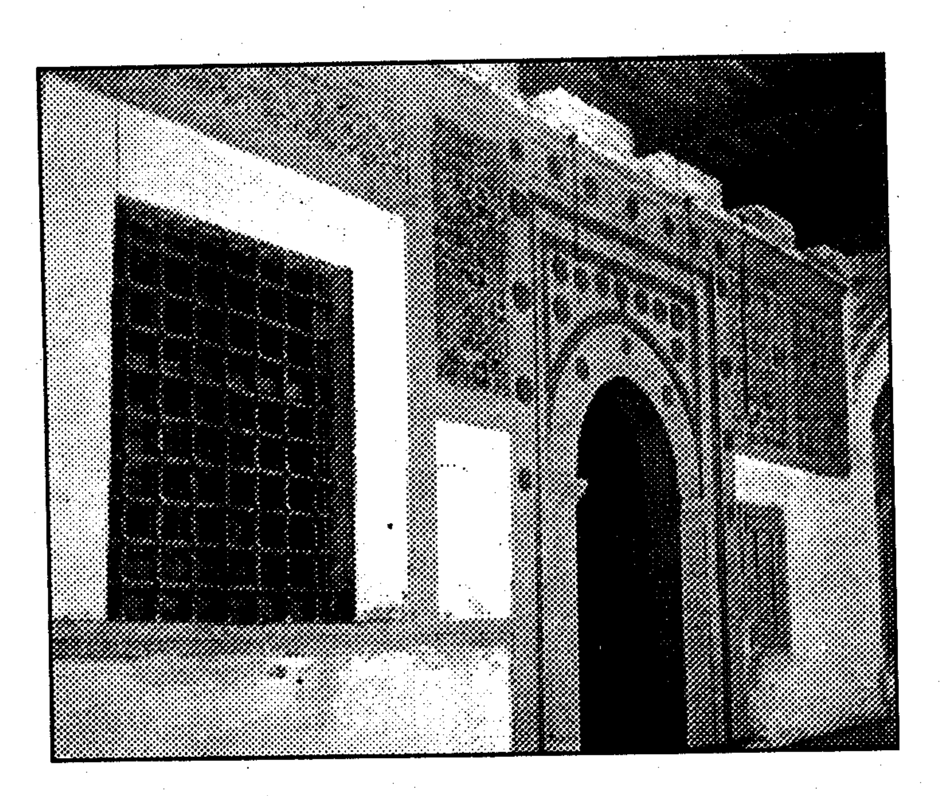




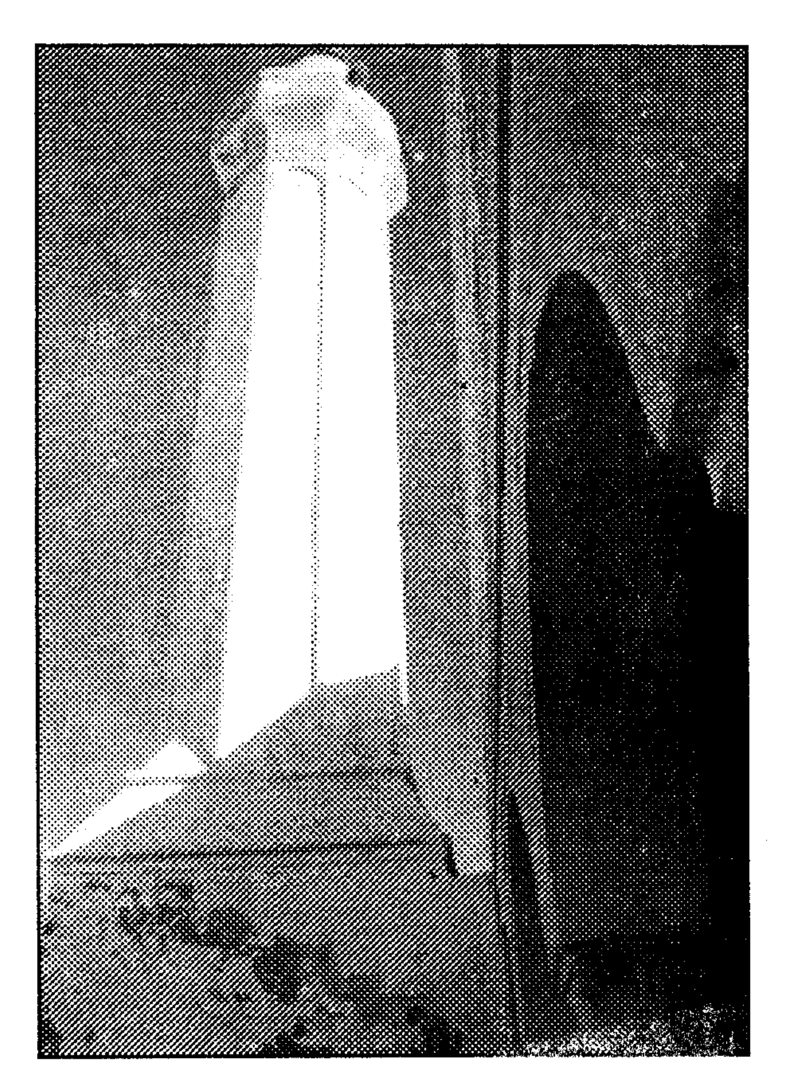
صورة ٦ : مئذنة جامع سيدي
سالم المشاط



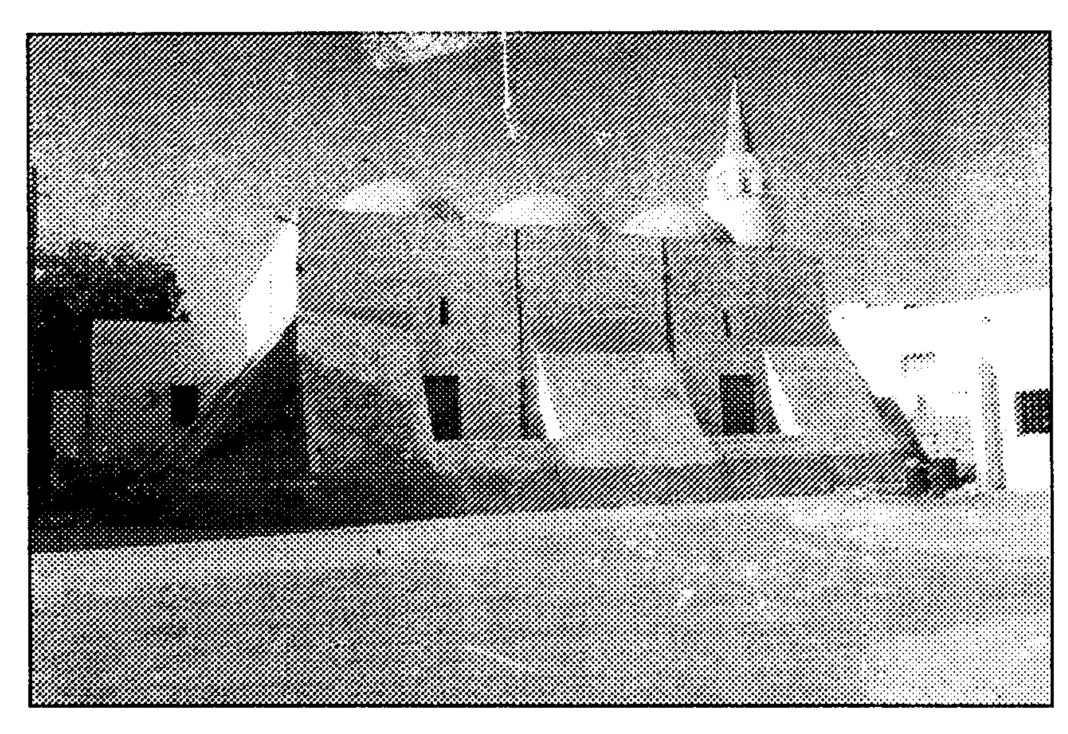
صورة ٧ : المدخل الرئيسي لجامع شائب العين وأعلاه اللوحة التأسيسية



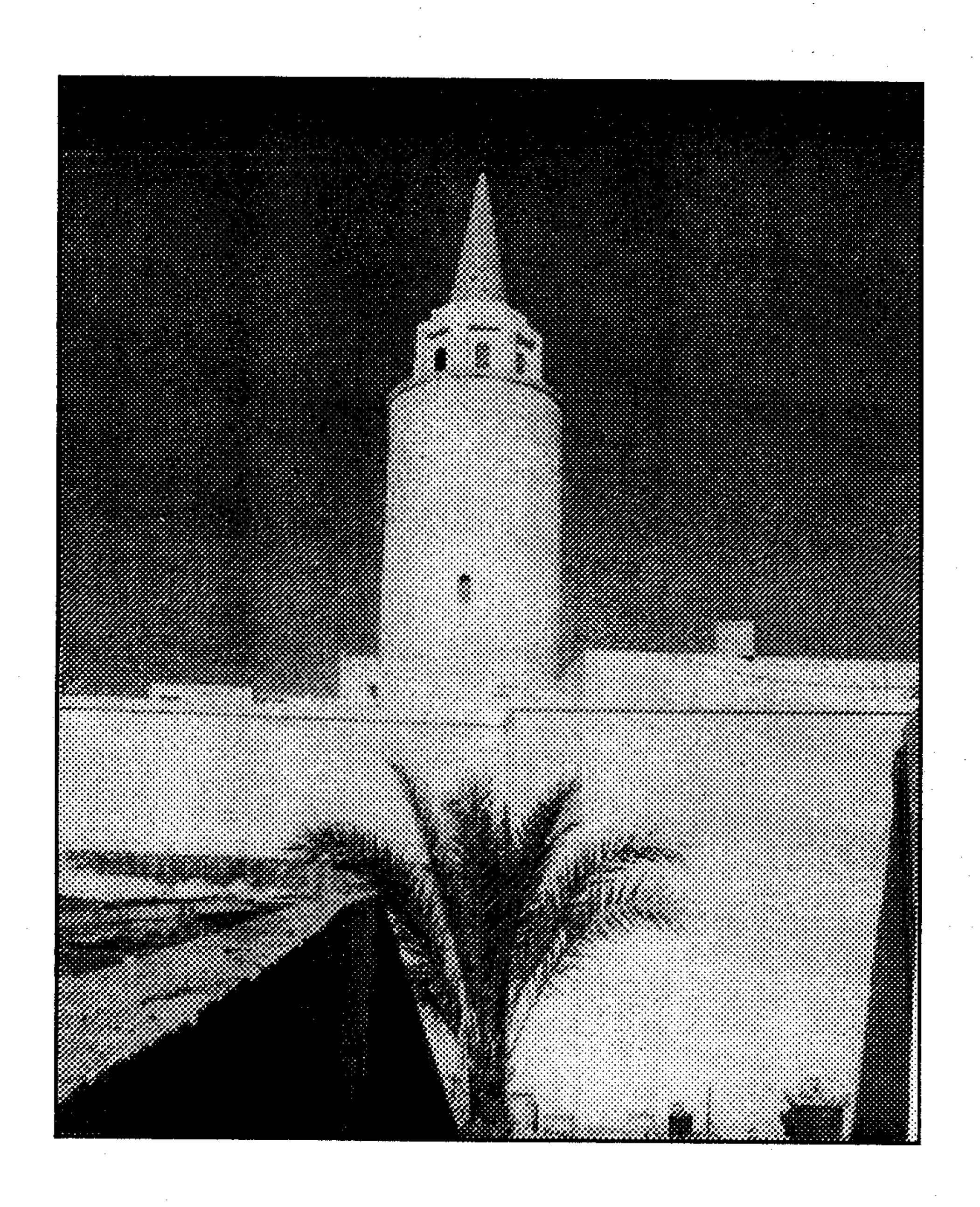
صورة ٨ : البلاطات علي الجدار الشمالي الغربي بيت الصلاة بجامع شائب العين



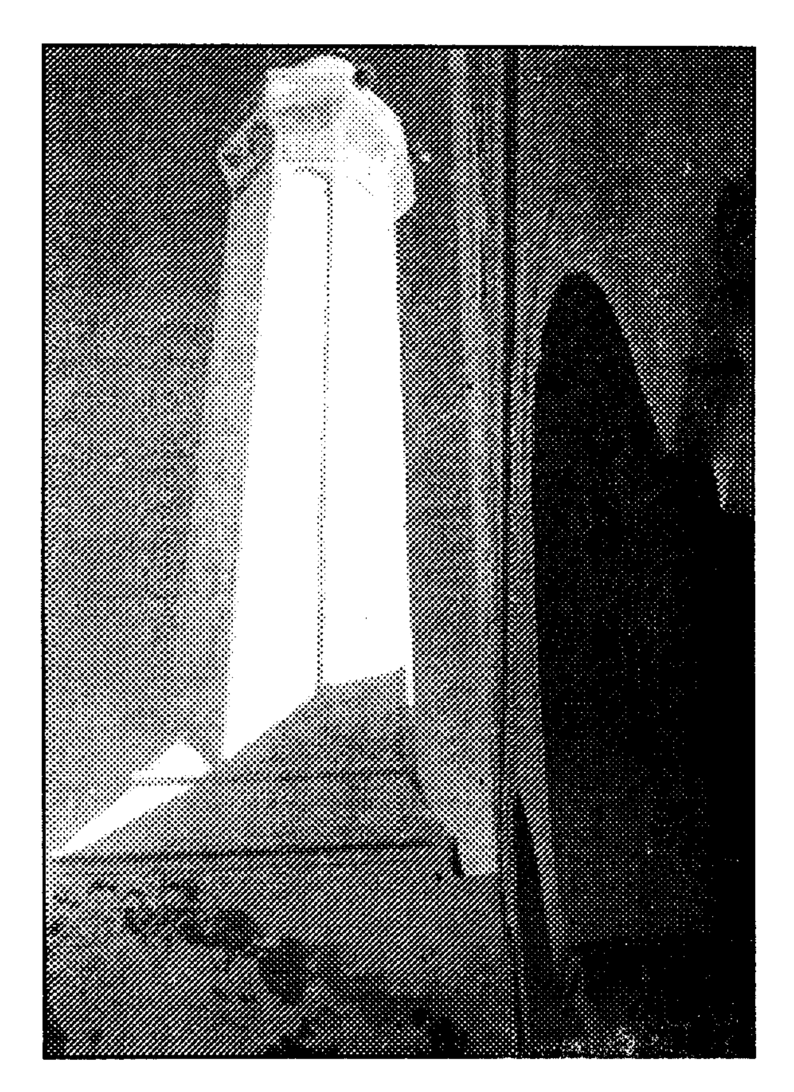
صورة ٩ : مئذنة جامع شائب العين



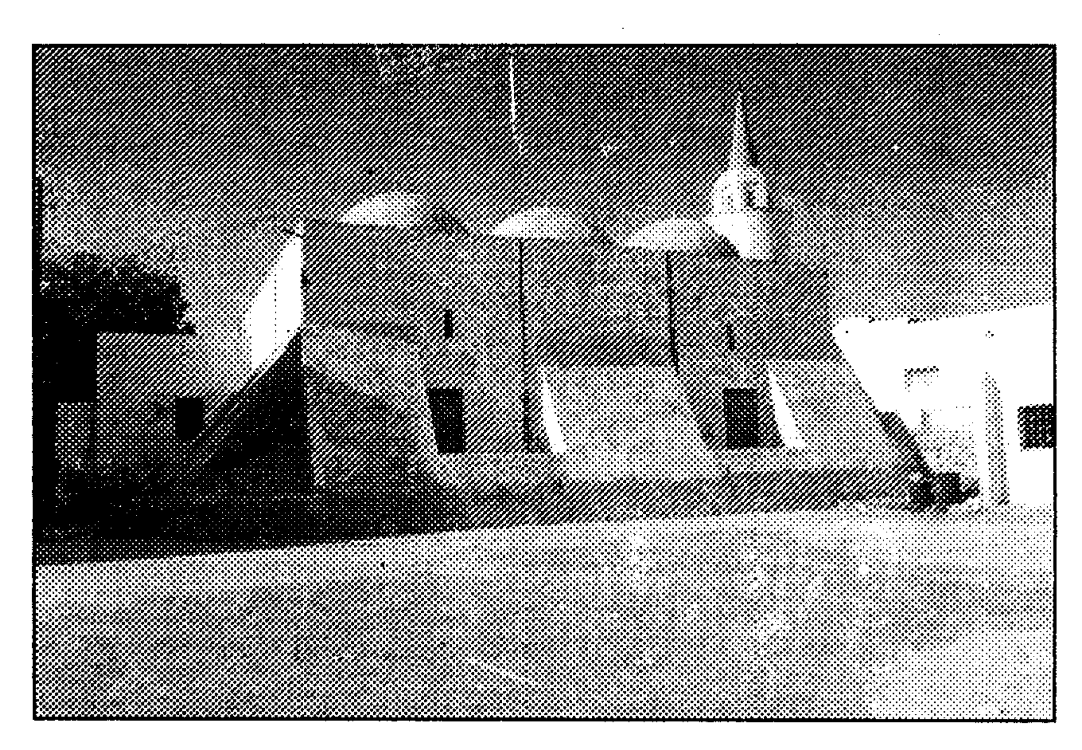
صورة ١٠ : منظر عام لجامع خليل باشا



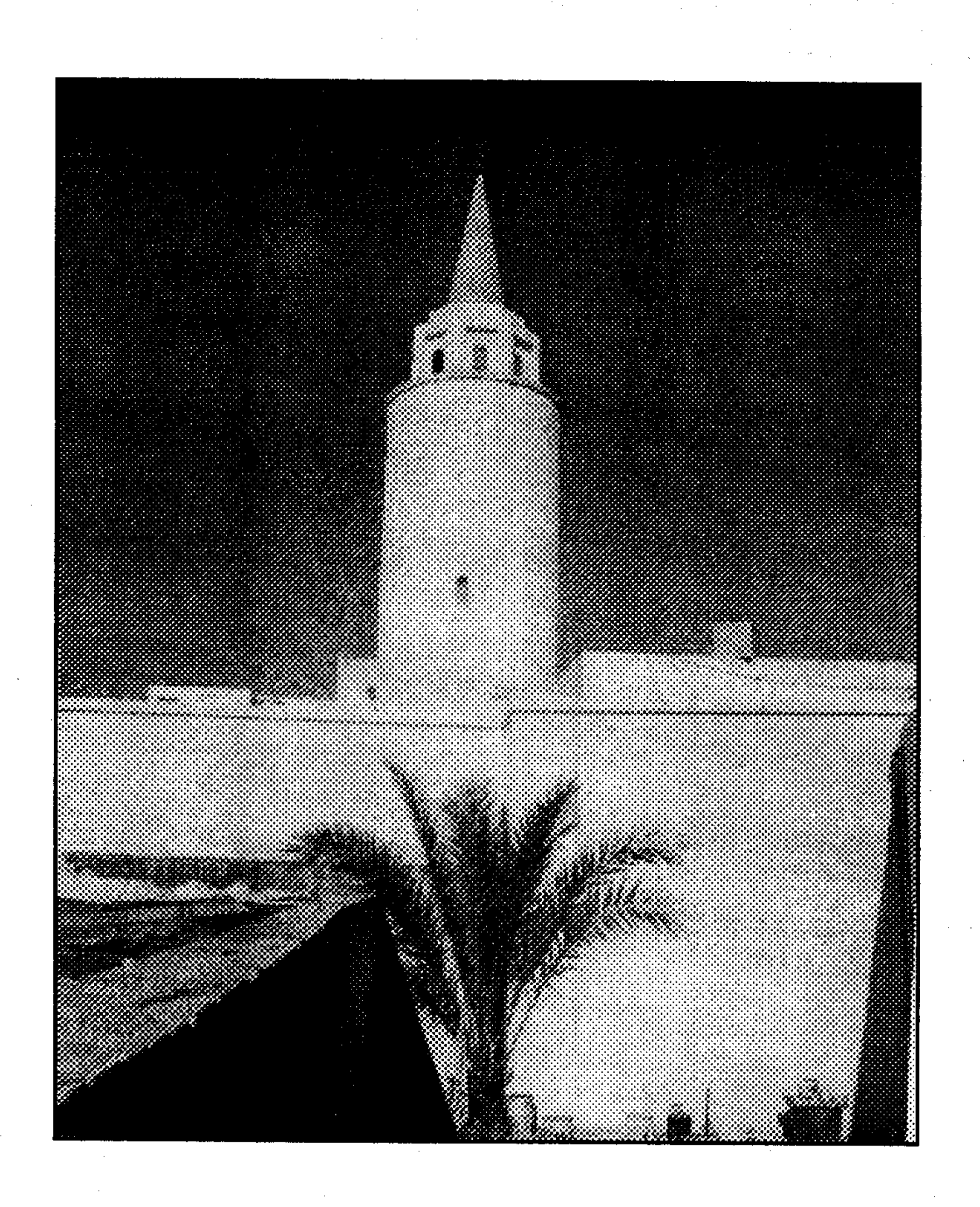
صورة ١١ : مئذنة جامع خليل باشا



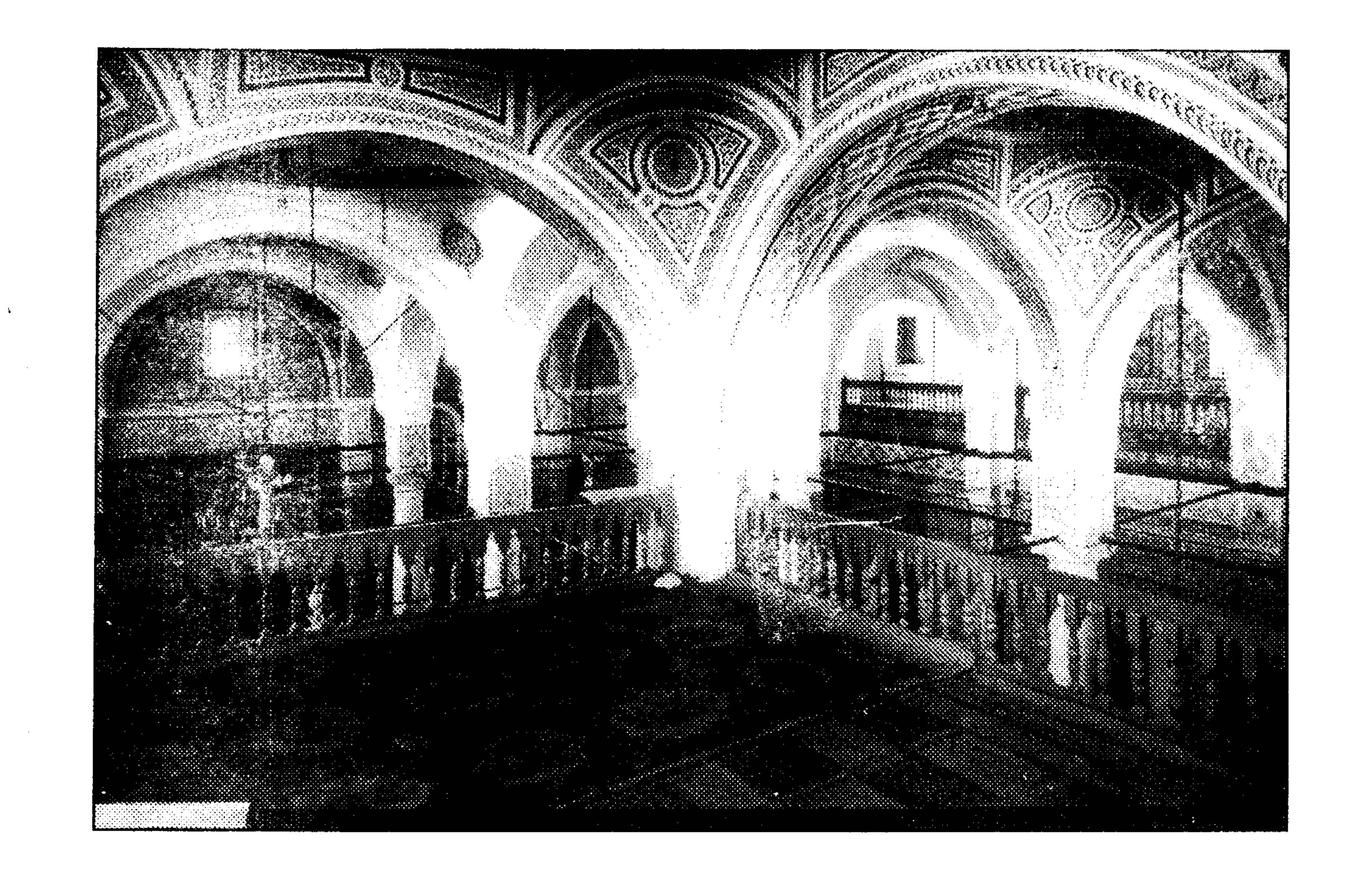
صورة ٩ : مئذنة جامع شائب العين



صورة ١٠ : منظر عام لجامع خليل باشا



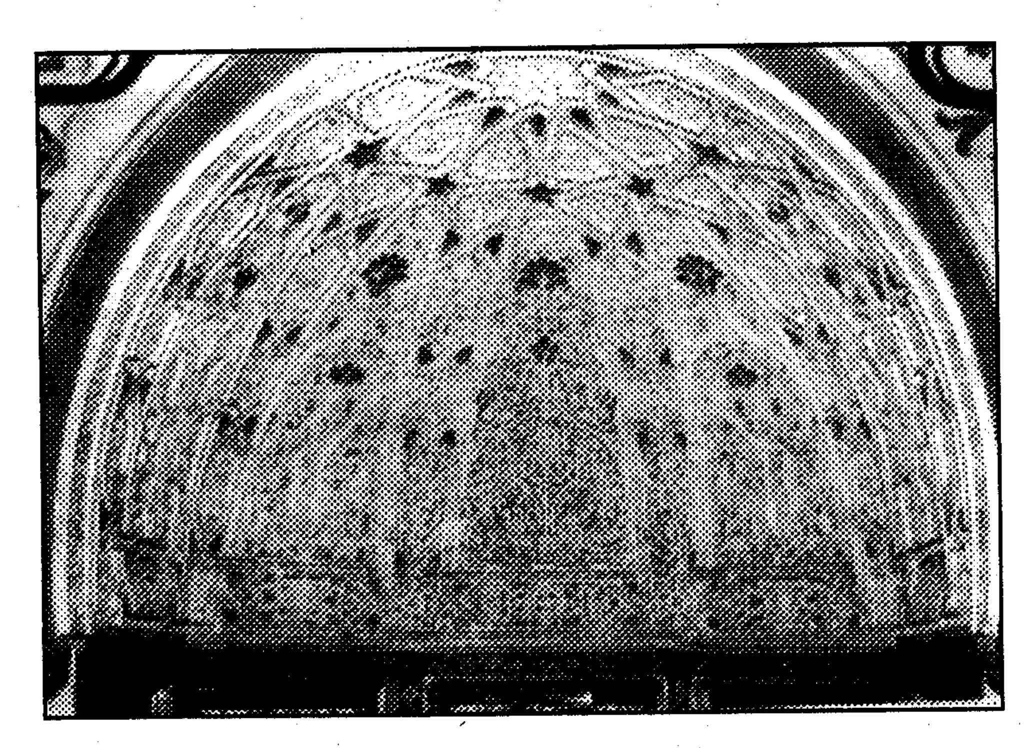
صورة ١١ : مئذنة جامع خليل باشا



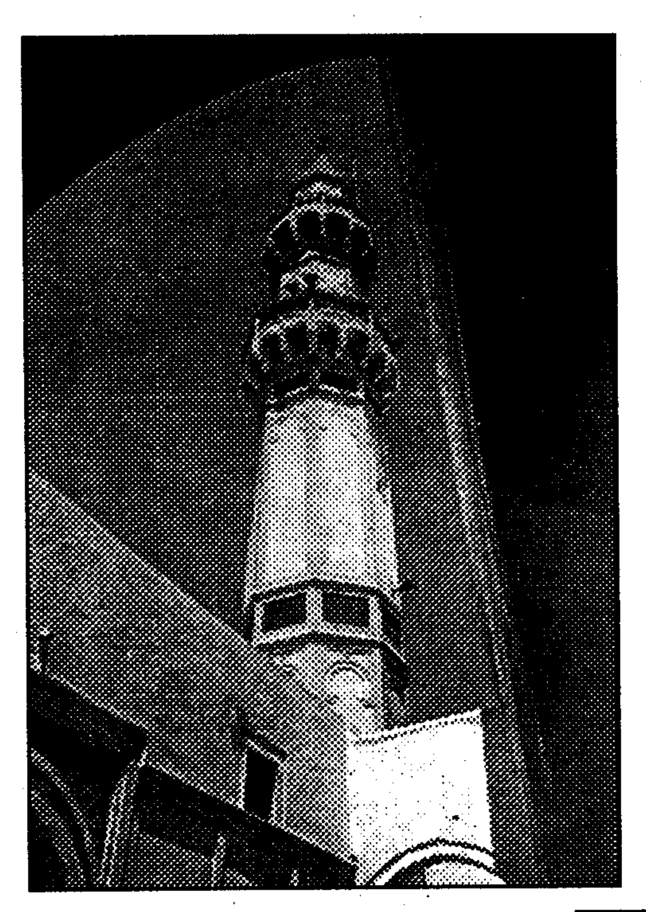
صورة ١٥ : الشرفة الداخلية علي جوانب بيت الصلاة بجامع أحمد باشا



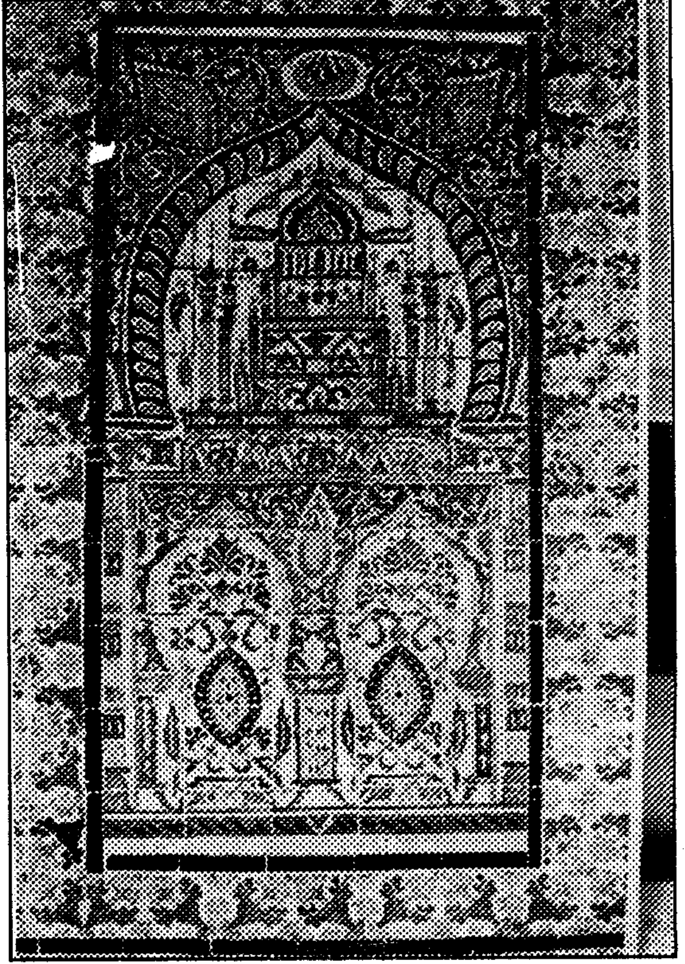
صورة ١٦ : الاضرحة بجامع أحمد باشا

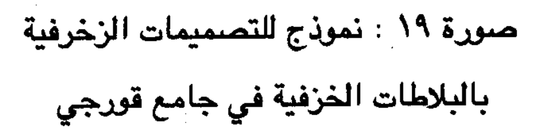


صورة ١٧ : الزخارف الجصية بمحراب قورجي

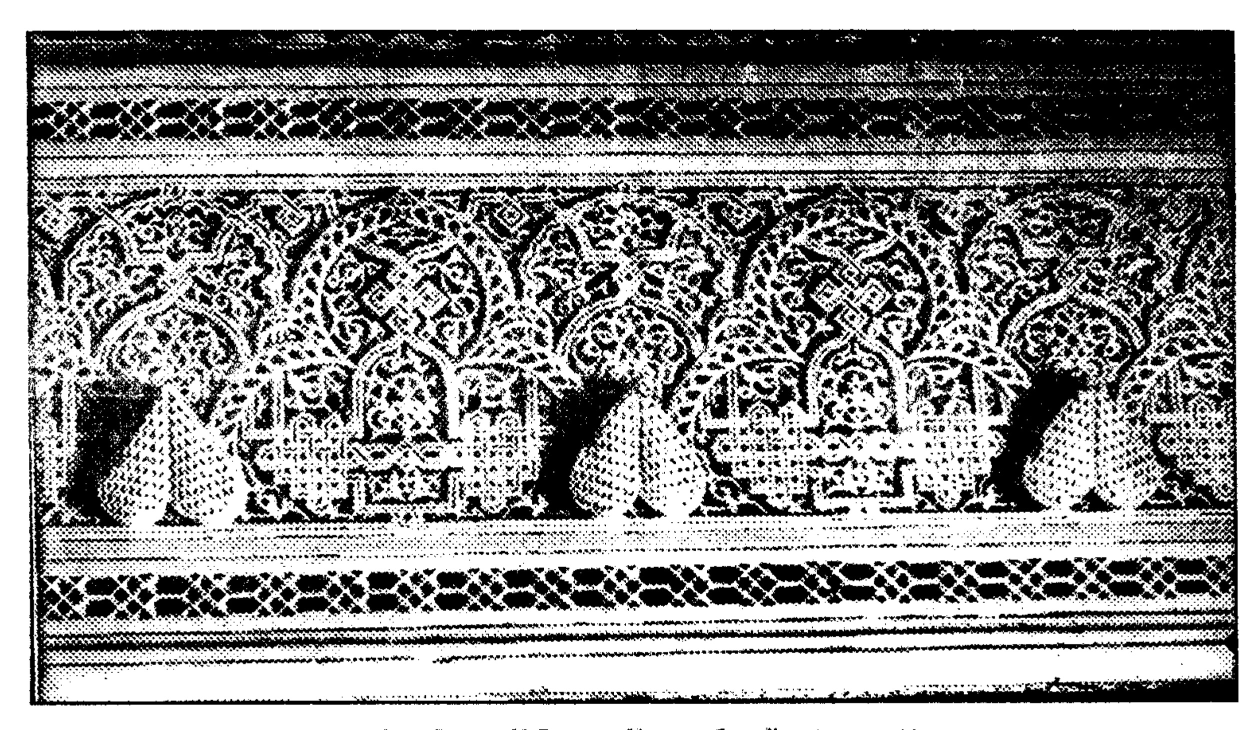


صورة ١٨ : المئذنة بجامع قورجي





صورة ١٩ : نموذج للتصميمات الزخرفية بالبلاطات الخزفية في جامع قورجي

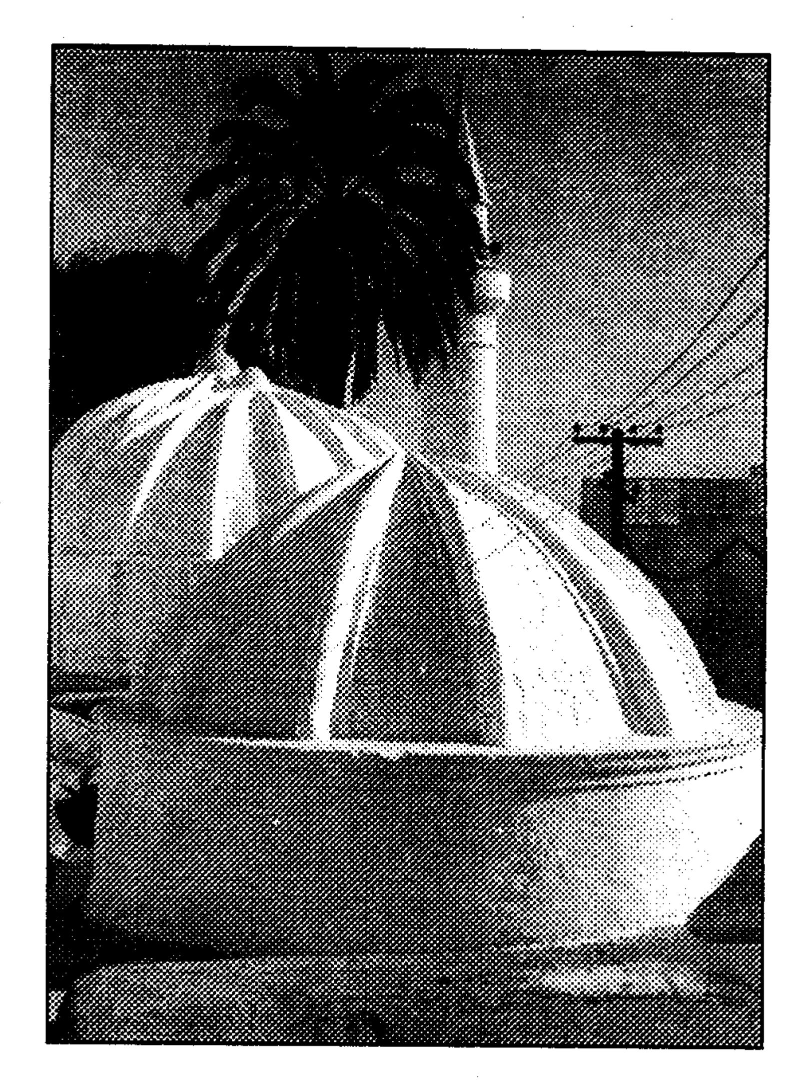


صورة ٢٠ : نموذج للتشكيلات الزخرفية الجصية بجامع قورجي

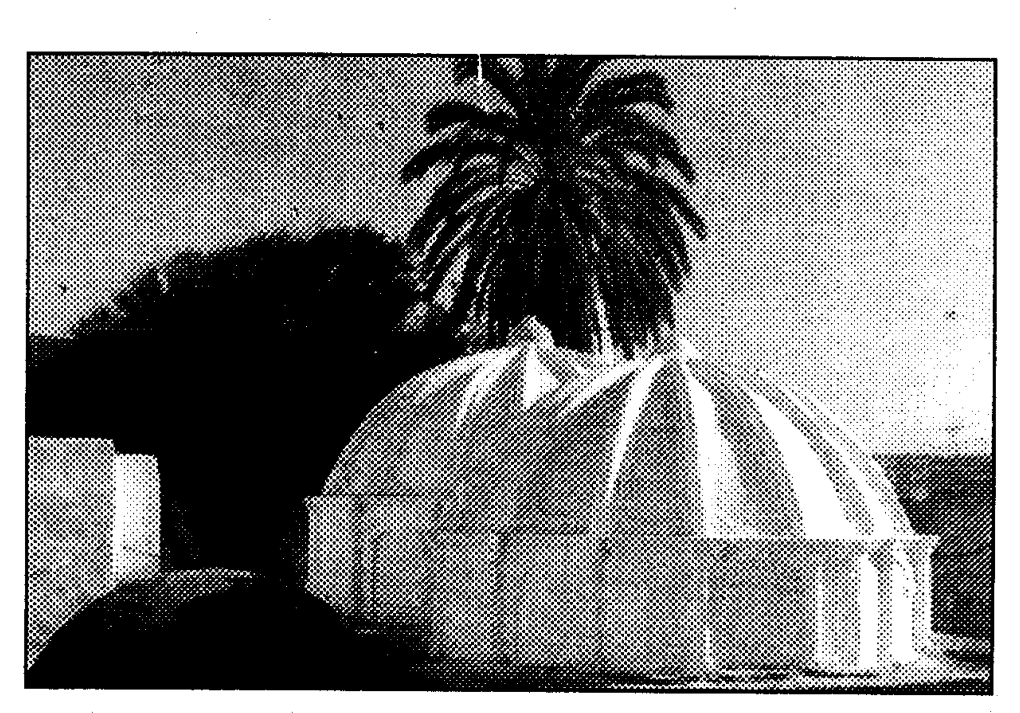


صورة ٢١ : مدخل بيت الصلاة

بجامع قورجي



صورة ٢٦ : قبة الدركاة وقبة المسجد
بمدرسة عثمان باشا

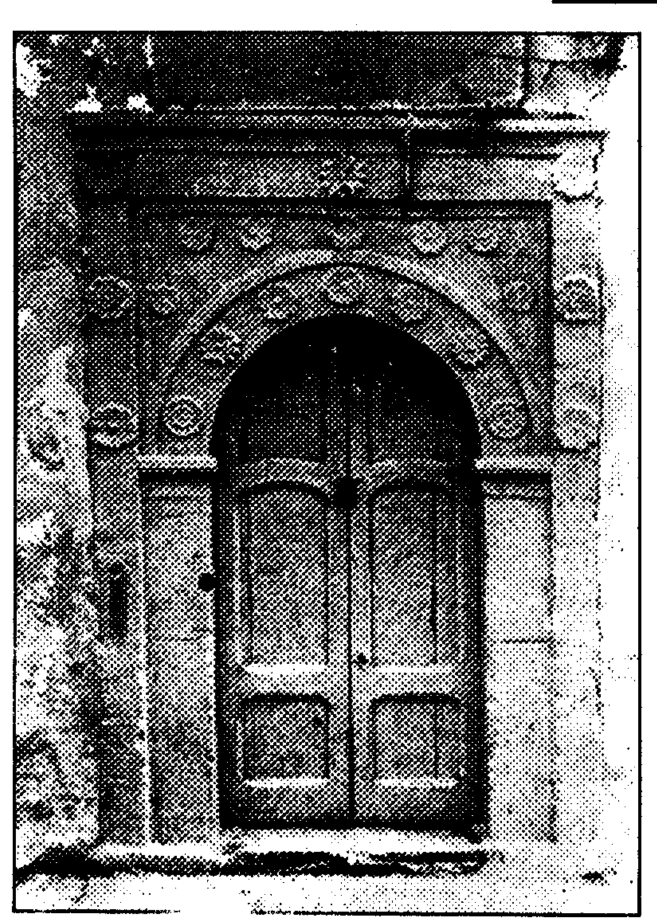


صورة ٢٧ : قبة المسجد وقبة الضريح بمدرسة عثمان باشا



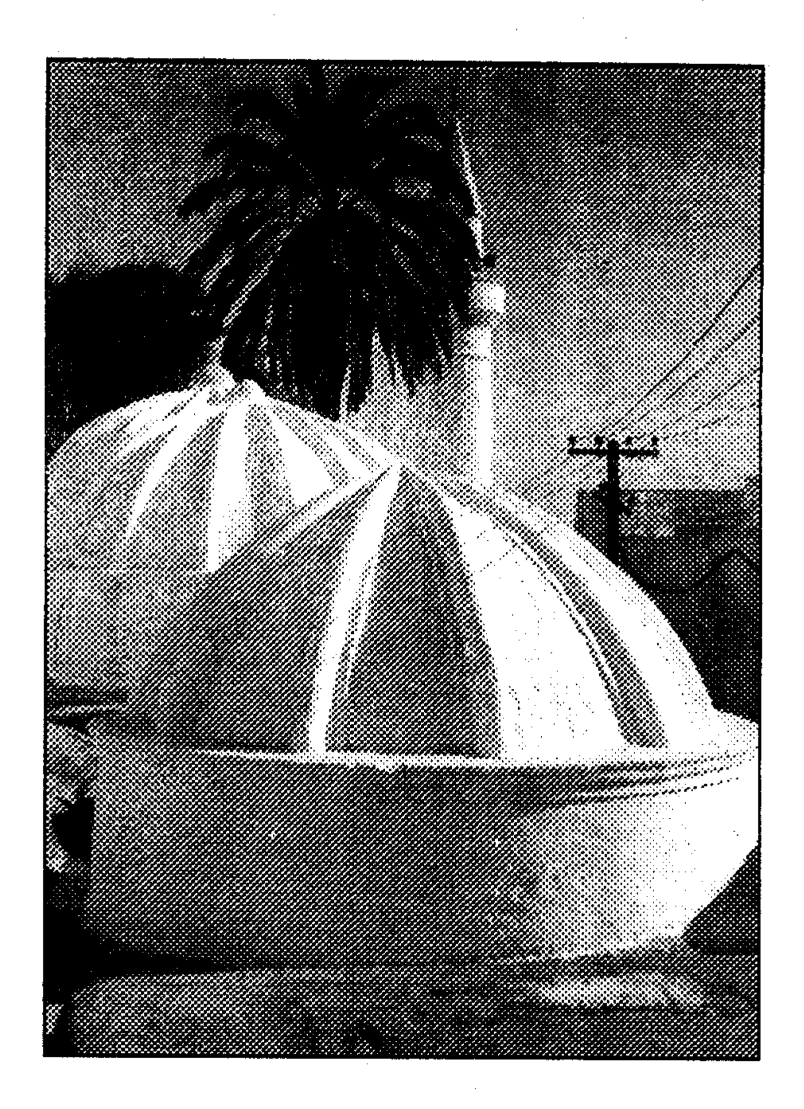
صورة ٢٨ : الفناء والرواق والحجرات

في ڤيلا «فولبي»

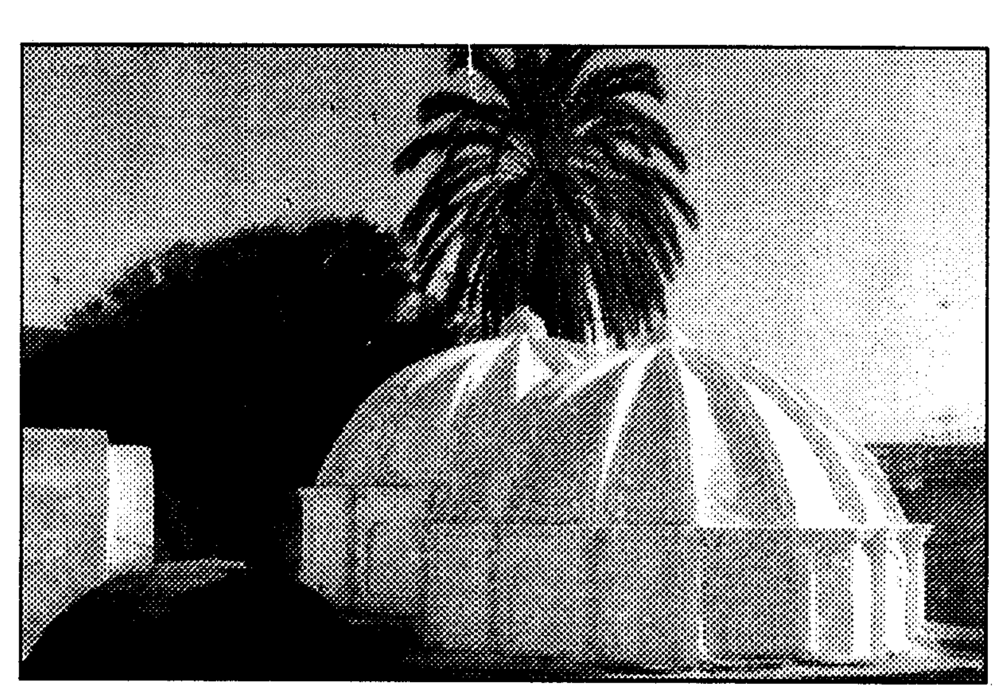


صورة ٢٩ : أحد المداخل بمنزل قديم

بطرابلس



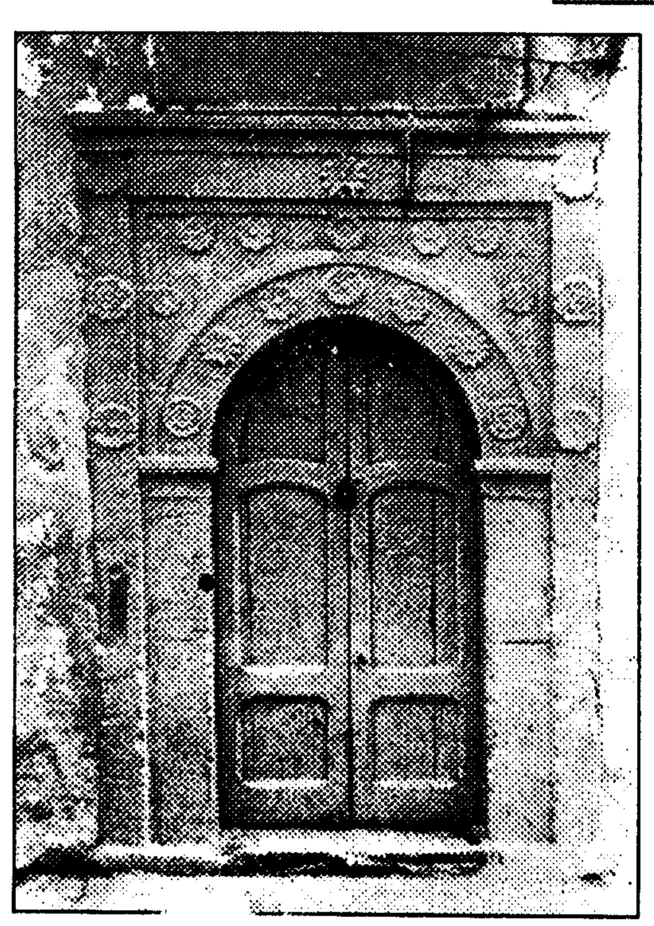
صورة ٢٦ : قبة الدركاة وقبة المسجد
بمدرسة عثمان باشا



صورة ٢٧ : قبة المسجد وقبة الضريح بمدرسة عثمان باشا



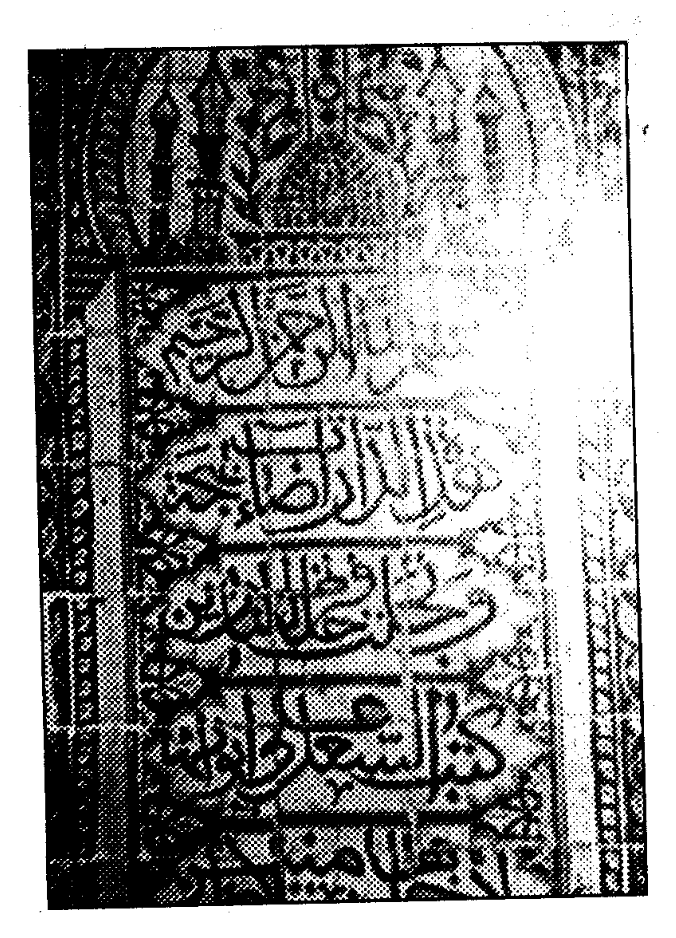
صورة ٢٨ : الفناء والرواق والحجرات
في ڤيلا «فولبي»



صورة ٢٩ : أحد المداخل بمنزل قديم
بطرابلس

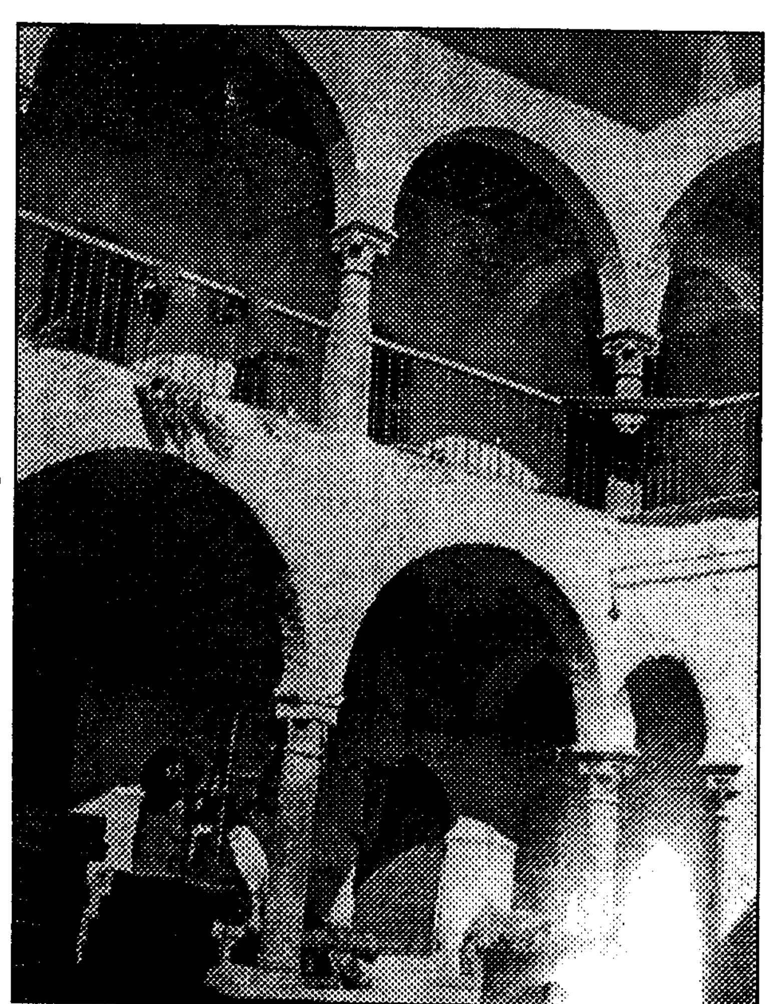
صورة ٣٠ : تشكيل زغرفي بالبلاطات الخزفية

في منزل طرابلسي

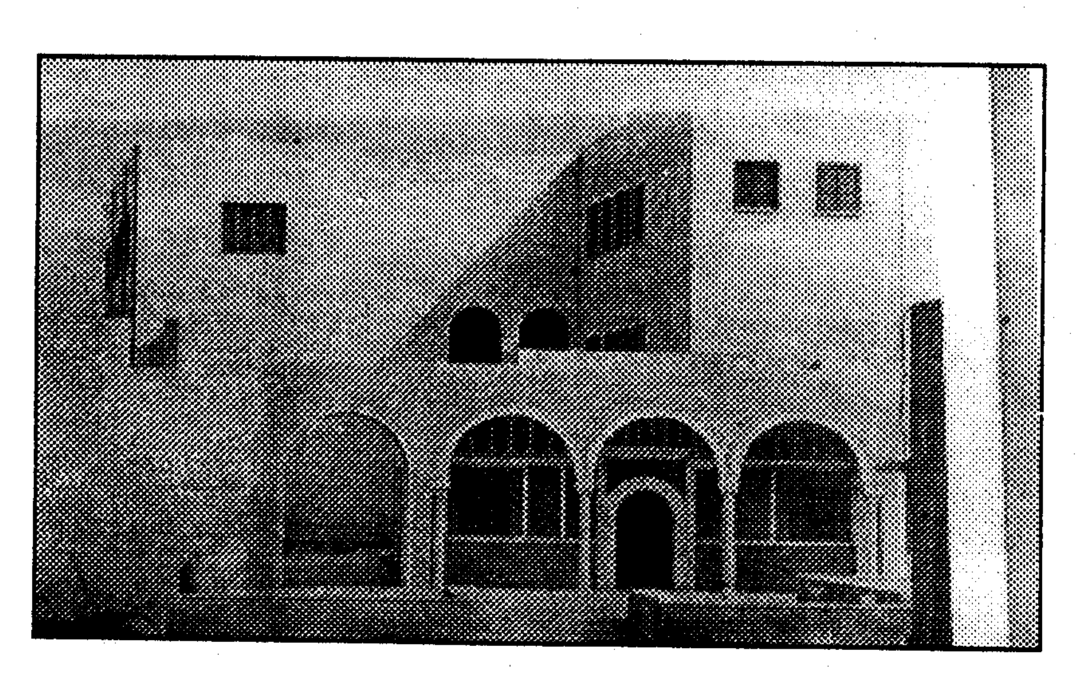


صورة ٣١ : الزخارف والكتابات علي البلاطات

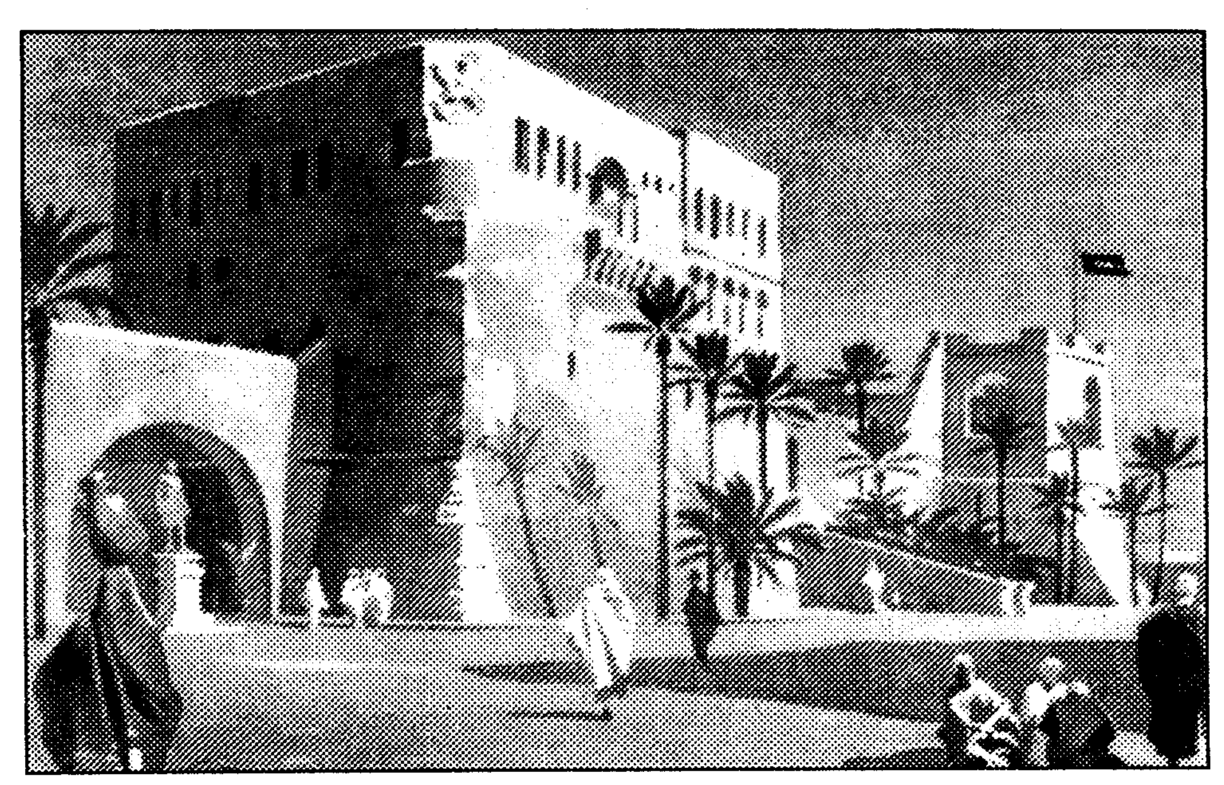
في واجهات منازل طرابلس القديمة



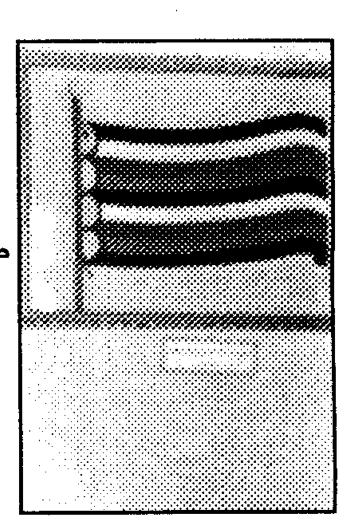
صورة ٣٢ : الرواق والشرفة في فندق زميت بطرابلس



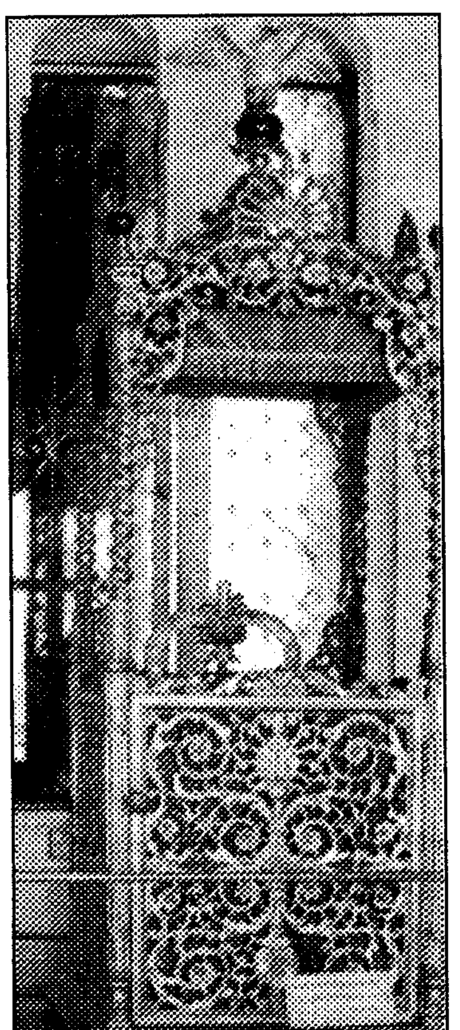
صورة ٣٣ : الجزء القرمانلي في قلعة طرابلس



صورة ٣٤ : صورة قديمة لمبني قلعة طرابلس



صورة ٣٥ : أحد أعلام
طرابلس في العصر القرمانلي



صورة ٣٦ : كرسي العرش الخاص
بيوسف باشا القرمانلي